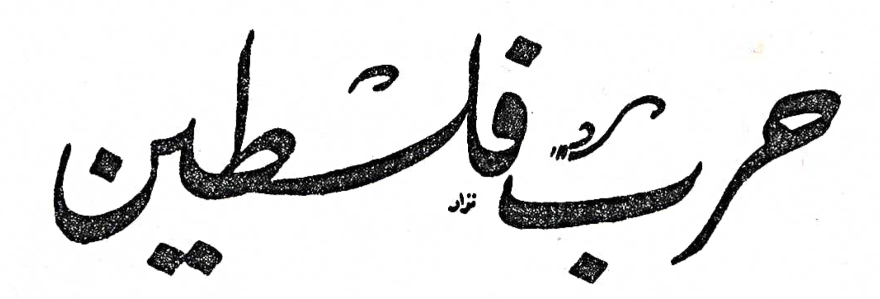
تأليف
العميد الركن
شكري محمود نديم

حرب فلسطين



شركة النبراس للنشر والتوزيع
بغداد

الطبعة الرابعة



١٩١٤ ـ ١٩١٨

"دراسة علمية"

تأليف

العميد الركن

شكري محمود نديم

★

دار النبراس للنشر والتوزيع

بغداد

الإهداء

الى الدماء الزكية التي سالت على ثرى فلسطين الطاهر في الماضي والتي ستسيل في المستقبل للحفاظ عليها مسلمة عربية

وافقت وزارة الدفاع العراقية على نشره وتعميمه بين منتسبي الجيش بموجب كتاب مدير التدريب العسكري المرقم ت/ش ٤/٢٩٩/١٦٦٩١ والمؤرخ ١٩٦٤/٢/٢٥



الجيش العربي يدخل دمشق الشام في ٣٠ ايلول ١٩١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الرابعة

أضع بين يدي القارىء الكريم هذه الطبعة الثالثة التي قامت باخراجها مشكورة «دار مكتبة الحياة في بيروت» وذلك بعد نفاد الطبعتين السابقتين بفضل تشجيع وتقدير القراء الأكارم الذين شملوا الكتاب بعطفهم ولطفهم.

وفيما يتعلق بالكتاب نفسه أعيد ما سبق لي بيانه عنه في مقدمة الطبعة الاولى .

يدرس ضباط الجيش العراقي المعارك التي دارت في (سيناء وفلسطين وشرقي الاردن ، وسوريا) خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) كجزء من دراستهم للتأريخ العسكري ، ولهذه الدراسة فائدة مزدوجة ، إذ أنها ، بالاضافة لما تزخر به من أمثلة لتطبيق مبادىء الحرب الاساسية وللعوامل المؤثرة على قرارات القادة وعلى تنفيذ خططهم ، فانها دارت في جزء عزيز من الوطن العربي الكبير كان دوماً مطمح أنظار الغاصبين ، ولا يزال اليوم جزء منه تحت سيطرتهم مع الاسف الشديد .

ولا يخفى أن لدرس تأثير الأرض على الحركات العسكرية قيمة كبيرة في تفهم طبيعتها تفهماً تاماً ، على أن يوضع نصب العين دوماً ، أن هذا التأثير في تطور مستمر بالنظر لتبدل طبيعة الاسلحة وما يطرأ على قابليات القوات العسكرية من تغير ، نتيجة ما يبتكره العلم الحديث لتسهيل عملها .

وقد قمت بتأليف هذا الكتاب بناء على الحاح الكثير من اخواني وتلامذتي مستفيداً مما أعددته من معلومات خلال تدريسي لهذا الموضوع سنوات طوالاً، ورجائي أن أكون عند حسن ظنهم وان أوفق في وضع مصدر اضافي آخر عن الموضوع بين أيديهم ، ليكون متمماً لما يتيسر لديهم من معلومات. واستميح القارىء الكريم عذراً لتكراري ما سبق لي بيانه في كتب اخرى عن التأريخ العسكري – قمت بتأليفها في وقت مضى – ذلك ان لدراسة التأريخ العسكري قواعد ينبغي على التلميذ الالمام بها كي لا تذهب جهوده أدراج الرياح فيتيه في بحور من الاسماء والاوقات والتفاصيل فيندفع وراء الزبد ولا يستفيد من النافع ، وقد استهدفت في هذه الدراسة ان اعالج الموضوع بأسلوب علمي يستند على تحليل الوقائع للتوصل الى دروس مستحصلة تكوّن جوهر الموضوع وثمرة الدراسة .

وقد توخيت عند البحث ، الرجوع الى كافة المصادر المتيسرة باللغتين التركية والانكليزية وهما اللغتان اللتان كتبت بهما معظم الكتب الباحثة في حرب فلسطين (١٩١٤–١٩١٨) ... وكان للمصادر التركية التي ظهرت في السنين الاخيرة قيمة كبيرة في توضيح بعض نواحي البحث التي تركتها المصادر الانكليزية مبهمة ، لا سيما ما يتعلق بالدور الذي لعبه السرطان الصهيوني في هذه الحرب ، أو لم تفها حقها ، وكما فعلت في تقدير جهود القوات العربية التي قاتلت لتحقيق أهدافها القومية وطمنها حلفاؤها الذين قاتلت الى جانبهم من الخلف فور تحقق النصر لهم . وقد اتاحت لي خدمتي مع القوات العراقية في فلسطين سنة ١٩٤٨ فرصة لا تثمن لدرس المعارك في سوحها ، ودراسة ما جاء ببطون الكتب من وصف في المحلات التي جرى فيها القتال فاستطعت أن أفهم الموضوع على وجه أتم ، وان احيط به بصورة اكمل .

وأخيراً أرى لزاماً عليّ شكر كافة من آزرني من اخواني الضباط القدامى الذين عملوا في الجيشين العربي والعثماني وساهموا فعلاً في حرب فلسطين ، حيث كان لما استقيته منهم من المعلومات قيمة لا تثمن ولا يمكن العثور عليها في

الكتب . كما اشكر في الوقت نفسه المساعدات القيمة التي تفضل بها كثير من الاخوان المرشدين والمؤازرين . وأود أن أذكر أني لاقيت صعوبة كبيرة في تثبيت الاسماء الصحيحة للمحلات والعوارض الطوبوغرافية ، فبعضها قد تبدل اسمه بمرور الزمن والبعض الآخر طمس ذكره ، وقسم من الاسماء اتفق عليه آنياً في ساحة المعركة من قبل القوة المحلية العاملة في المنطقة . وقد كان خير معوان لي في تثبيت الاسماء على الوجه المبين في الكتاب وما ارفقت به من خرائط ، خريطة فلسطين التي اعدتها واصدرتها (الهيئة العربية العليا لفلسطين ببيروت في كانون الثاني ١٩٦٢) .

هذا ولئن وجد القارىء الكريم في مجهودي هذا فائدة تستحق الاضافة الى مكتبتنا العسكرية العربية فذلك حسبي والله ولي التوفيق .

بغداد في ١٥ ربيع اول ١٣٨٥
١٣ تموز ١٩٦٥

شكري محمود نديم
(العميد الركن المتقاعد)

١

المدخل

الموقف السياسي . الوصف
الطوبوغرافي العام . المواصلات

الموقف السياسي

اندلعت شرارة الحرب العالمية الاولى بأعلان النمسة الحرب على صربيا (يوغوسلافيا) في ٢٨ تموز ١٩١٤ واعلنت الامبراطورية العثمانية اثر ذلك حيادها المسلح ، ثم اعلنت النفير العام في ٢ آب ١٩١٤ . وكان من المتوقع ان تنحاز الى جانب ألمانية وحلفائها ، بالنظر للتقارب الالماني التركي الذي بدا واضحاً في السنوات التي سبقت الحرب ، وذلك للعداء القديم المستحكم بين الروس والاتراك ، ولنشاط البعثة العسكرية الالمانية التي كانت تعمل منذ سنوات برئاسة الجنرال ليمان فون ساندرس لاعادة تنظيم الجيش التركي. وأعد الالمان المسيطرون على دائرة الاركان العامة العثمانية خطة الحرب التركية بشكل روعيت فيه المصالح الالمانية بالدرجة الاولى ، وقد تقرر بموجبها زج القسم الاكبر من الجيش التركي في هجوم من الفيلقين الثاني عشر والثامن في سوريا للتقدم به وللهجوم نحو قناة السويس ومصر لتثبيت أكثر ما يمكن من القوات البريطانية ومنعها من الاشتراك في القتال الدائر بالجبهة الغربية في فرنسة.

امـا الاحوال السائـدة في دار الحركات السورية نفسها (ونقصد بسورية هنا سورية الكبرى التي تشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن) فقد كانت سورية جزءاً من الامبراطورية العثمانية منذ احتـــلال السلطان العثماني ياووز سليم لدمشق في سنة ١٥١٥ ، حيث تقدم منها نحو مصر واستولى عليها في سنة ١٥١٧، وقد بقيت سورية جزءاً من الامبراطورية العثمانية ومن الولايات التابعة لخليفة المسلمين ، حتى اثارت سيطرة كتلة الاتحـاد والترقي التي اتخذت من الطورانية شعاراً بديلاً عن الرابطة الاسلامية ، مخاوف العناصر غير التركية ومنها العرب أهل هـــذا الجزء من الامبراطورية العثمانية الذي يشمل سورية باعتبارها قسماً من الوطن العربي الاكبر . وبدأ نشاط الجمعيات السرية العربية منذ سقوط السلطان عبد الحميد في سنة ١٩٠٩ وكان هذا الشعور القومي العربي المتزايد يسمُ المنطقة بطابع عدائي للعثمانيين ،انقلب فيما بعد الى اشتباك مسلح عندما اعلن الحسين شريف مكة الثورة في ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ المصـادف ١٠ حزيران ١٩١٦ م. وكان للبنان طابع خاص نتج عن الفتن الطائفية التي أثارتها أصابع المستعمرين بين ١٨٥٧ – ١٨٦٠ حيث أدى ذلك الى وضع نظام جديد للبنان في سنة ١٨٦١ فرضته الدول الأوربيـة وعلى رأسـها فرنسة وانكلترة التي دخلت قواتها بيروت فتقرر بموجب هذا النظام جعل لبنان لواء مستقلاً تابعـــاً الى الاستانة مباشرة على أن يتولى ادارته متصرف مسيحي ينصبه السلطان بعد موافقة الدول الاوربية .

ولا بد من التطرق ايضاً الى السرطان الصهيوني لعلاقتـه بالموضوع فقـــد بدأت محاولات الصهيونيين للسيطرة على فلسطين العربية منـذ سنة ١٨٩٧ ، حيث اقر ذلك المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في « بازل » وكان السلطان عبد الحميد الثاني قــد وقف وقفته المشهورة سنة ١٩٠١، عندمـــا رفض العرض الصهيوني المتضمن طلب موافقة السلطان العثماني على تأسيس مستعمرات يهودية في فلسطين مقابل عرض مغر ، تضمن تقديم المساعـدة المالية لتنظيم الاقتصاد العثماني المزعزع والمشورة الفنية لتنمية موارد الامبراطورية العثمانية الاقتصادية وقد رفض السلطان العثماني العرض رفضاً باتاً اذ كان قد أدرك ببصيرته الثاقبة

مـــا ينطوي عليه من خطر على المسلمين . وقد حـــاول الصهيونيون بمؤازرة أصـدقائهم الانكليز اقامـة مستعمرات لهم في شبه جزيرة سيناء ، الا أن تصلب المصريـين الذين كانوا في تلك الفترة تحت السيطرة البريطانيـة (حيث احتل البريطانيون مصر منذ سنة ١٨٨٢) أدى إلى قبر هذا المشروع في سنة ١٩٠٢ ولا بد من الاشارة هنا الى ان مطامع الصهيونيين في فلسطين ترجع الى عهد أبعد من ذلك ، اي منـــذ انشائهم أولى مستعمراتهم في فلسطين سنة ١٨٨٢ وهي المستعمرة المعروفة بأسم (ريشون لوزيون) أو كما يسميها الفلسطينيون (عيون قارة) التي أسسها حوالي ثلاثة آلاف يهودي كانوا قد هربوا من أوربة الشرقية اثر موجة اضطهاد ضد اليهود قامت هناك ، وقد وقفت الامبراطورية العثمانية في وجه هـــذا الزحف اليهودي بعد تأسيس بضع مستعمرات ، وكان ذلك على عهد السلطان عبد الحميد الثـــاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) حيث منعت بقانون اصدرته سنة ١٨٨٨ الهجره اليهودية الجماعية الى الاراضي العثمانيـة ، وحددت فترة مكوث اليهود الزائرين لفلسطين بثلاثة اشهر فقط . وقد هدد الصهيونيون السلطان عبد الحميد بأنهم سيعملون ضـده بكل ما يملكـون من قوة جزاء تعنته ، وقـــد حقق اليهود تهديدهم فقـد ضمت الهيئة التي بلغت السلطان عبد الحميد بقرار خلعه عن العرش في سنة ١٩٠٩ والتي كانت مؤلفـة من أربعة أشخاص بينهم يهودي وآخر أرمني وقد أصغى اليهما السلطان وقلبه يقطر اسى . ومارس اليهود المقيمون في فلسطين أثنـــاء الحرب العالمية الأولى أعمال تجسس خطيرة أنزلت بالعثمانيين كوارث كثيرة . وكان البريطانيون قد شكلوا لواء يهودياً في السنة الاخيرة من الحرب ، وقد أوفدوه الى مصر للمساهمة في حرب فلسطين استغلالاً لهذه الناحية وتثبيتاً لوعد بلفور المشؤوم .

ان المطامع الاستعمارية في الشرق العربي ليست بحديثة عهد ، بل انهـــا ترجع الى ما قبل تسعة قرون عندما تقنعت بقناع ديني في الحروب الصليبية . وفي اثنـــاء الحرب العالمية الأولى اتفقت دولتا الاستعمار الكبيرتان فرنسة وبريطانية على اقتسام الهـــلال الخصيب بمعاهدة « سايكس - بيكو » التي

وقعت في لندن في مايس ١٩١٦ . وبذا تجاهل المستعمرون وعودهم وعهودهم للشريف حسين الذي أخفوا عنه هذه المعاهدة وتناسوا ما كان العرب قد بذلوه لمساعدتهم طيلة الحرب . احتل البريطانيون مصر سنة ١٨٨٢ بحجة حماية أرواح الاجانب وقالوا ان احتلالهم موقت ، وعند توتر الموقف العالمي وإعلان الحرب العالمية الاولى عزلوا خديوي مصر عباس حلمي الثاني (١٨٩٢ – ١٩١٤) المعروف بنزعته الوطنية منتهزين فرصة وجوده في تركية ونصبوا في محله السلطان حسين كامل ثم أعلنوا حمايتهم على مصر متخذين منها قاعدة عسكرية لحركاتهم في الشرق العربي ومستغلين موقعها السوقي الخطير .

ونستخلص مما سبق عن الموقف السياسي في المنطقة ، توفر قاعدة جيدة لحركات البريطانيين في مصر المحتلة ، وعدم استقرار الوضع بالنسبة للاتراك من جراء الشعور القومي العربي،والموقف الخاص في لبنان،ودسائس الصهيونيين داخل المنطقة وخارجها .

الوصف الطوبوغرافي

جرت الحركات في ثلاث مناطق متباينة وهي سيناء وفلسطين وسورية ، وفيما يلي وصف مجمل لطبيعتها الطوبوغرافية .

١ – سيناء :

شبه جزيرة مثلثة الشكل يبلغ طول قاعدة المثلث فيها ١٤٠ ميلا تكاد تكون صحراء قاحلة ، وتقسم سيناء الى ثلاثة اقسام . فالقسم الشمالي سهل ضيق واقع على البحر ، يحده من الجنوب خط من التلال الرملية (الكثبان) يتراوح عرضه بين خمسة أميال وخمسة عشر ميلا حيث يصعب على النقلية الآلية سلوك هذه التلال ، والمسير بها شاق حتى بالنسبة للقطعات الراجلة . أما القسم الأوسط فهو هضبة صخرية قاحلة معدل ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم والتنقل بها أسهل من القسم الشمالي . أما القسم الجنوبي فمؤلف من مجموعات من الجبال الصخرية التي يصل ارتفاع بعضها الى ١٠٠٠ قدم وتحتوي سيناء على كمية ماء

تتغير بتغير المواسم الممطرة حيث تمتلىء الصهاريج القديمة والاقنية بمياه السيول.. ولا توجد في سيناء أنهار دائمة الجريان .

٢ – فلسطين :

ونحددها لأغراض البحث بالمنطقة الممتدة من بانياس الى بئر السبع طولاً ويبلغ ذلك ١٥٠ ميلاً تقريباً ، ومن البحر الابيض المتوسط الى سكة حديد الحجاز عرضاً ويبلغ ذلك ٧٥ ميلاً تقريباً ، ويجري نهر الاردن في وسط المنطقة في مستوى منخفض عن سطح البحر يبلغ انخفاضه ١٣٠٠ قدم عند البحر الميت . والعارضة البارزة في شرقي الاردن هي سلسلة جبال موآب التي يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ قدم اما في غربيه فتوجد سلسلة اخرى هي سلسلة جبال يهوذا وتؤلف العمود الفقري لمنطقة فلسطين بين نهر الاردن والبحر . اما منطقة السهل الساحلي القريب الى البحر فيحدها غرباً خط من التلال الرملية الواطئة المشرفة على البحر وقد يصل ارتفاعها الى ١٥٠ قدماً وتمتد منطقة السهول شرقاً بمعدل ١٠–١٥ ميلاً الى سلسلة يهوذا وهي سهول تقطعها أنهار صغيرة أهمها نهر العوجة الذي يفصل القسم الجنوبي من السهل الساحلي المعروف باسم سهل فلسطيا عن السهل المركزي المسمى سهل شارون ، وتفصل هذا القسم عن القسم الشمالي المسمى سهل اسدرلون سلسلة جبلية تمتد الى البحر ، وهي فرع من سلسلة يهوذا يعرف باسم جبل الكرمل ... ترتفع جبال يهوذا بشكل نجد يبلغ معدل ارتفاعه ٢٤٠٠ قدم ويصل ارتفاع أعلى القمم الى ٣٥٠٠ قدم وتشبه في شكلها العام الهيكل العظمي لسمكة حيث تمد طنوفها المتعددة شرقاً وغرباً بزوايا قائمة وتشكل الوديان التي بين الطنوف موانع لا يستهان بها تجاه أي زحف من الجنوب الى الشمال وبالعكس. ويتموّن السكان بالماء من آبار عميقة تسد احتياجاتهم بصورة كافية .

٣ – سورية :

والعوارض البارزة فيها هي سلسلتا لبنان وآنتي لبنان المُمتدتان من الشمال

الى الجنوب وتمتاز بأنها أخصب من فلسطين والمياه فيها متوفرة بشكل يزيد كثيراً على ما في فلسطين ، واراضيها مكشوفة مستوية ولا سيما بين حمص وحلب حيث تعتبر مساعدة على المناورة جداً .

المواصلات

كان في فلسطين في سنة ١٩١٤ طريقان فقط يصلحان لمرور النقلية ذات العجلات ، يمتد أولهما من الشمال الى الجنوب ماراً بالناصرة — نابلس — القدس — الخليل وينتهي في بئر السبع اما الآخر فيمتد من الشرق الى الغرب ماراً بأريحا — القدس — يافا . أما المواصلات البحرية فتحددها قلة الموانىء الناتجة عن قوة التيارات قرب الساحل وكانت الموانىء الصالحة في ذلك العهد في شمال سورية هي الاسكندرونة وبيروت وفي الجنوب حيفا ويافا وهذه الاخيرة مرسى مكشوف . أما السكة الحديد فلم تكن شبكاتها كافية وقد سبب ذلك مصاعب جمة للاتراك في ادامة قواتهم عبر خط المواصلات الطويل الذي يبلغ طوله من محطة حيدر باشا في استانبول الى خط غزة بئر السبع حوالي ١٢٧٥ ميلاً ، وكانت الخطوط في المنطقة بثلاثة قياسات مختلفة بالاضافة الى ان الخط الرئيسي كان يمتد بعرض قياسي من نقطة البداية أي رأس السكة في استانبول الى مفرق المسلمية الواقع شمال حلب حيث ينقطع لعدم اكمال الانفاق في سلسلتي طوروس وآمانوس ، ولم تتم هذه الانفاق فتمر منها القطارات الا في أواخر سنة ١٩١٨ أي قبيل الهدنة وكان هذا الخط شريان المواصلات الرئيسي لجبهتي العراق وفلسطين . وبالاضافة لهذا الخط كان هناك خط سكة حديد الحجاز الذي تم انشاؤه لاغراض الحج الى بيت الله الحرام ، وجمعت نفقاته من تبرعات المسلمين في شتى بقاع الارض ، وكان يمتد من دمشق الى المدينة المنورة ماراً من درعا — عمان — معان . ويبلغ طوله ١٨٥٠ ميلاً ، وقد مدت خطوط فرعية منه على الوجه التالي .

بيروت — رياق — دمشق وطوله ١٥٠ ميلاً .

درعا – العفولة – حيفا وطوله ١٠٠ ميل .

وكان هناك خط قصير آخر يربط يافا بالقدس ويبلغ طوله ١٠٠ ميل وقد تمكن الاتراك من ربط فرع من هذا الخط الى بئر السبع في تشرين الاول ١٩١٥ ويرتبط الفرع بمحطة الملتقى المسماة (وادي الصرار) ثم شرع الاتراك في محاولة لايصال الخط الى غزة في سنة ١٩١٧ وشرعوا بمد الخط اليها من محطة التينة الكائنة على خط بئر السبع الا أنهم لم يستطيعوا ايصال الخط الى غزة بسبب تطور الموقف العسكري .

وقد لاقى الاتراك كثيراً من المشاكل في تسيير خطوطهم الحديدية بسبب نقص الشاحنات وشحة الوقود وقلة الفنيين وضعف امكانيات التصليح . وبالنظر لموقف شبكة السكك الحديد هذا فلقد كان يتطلب نقل التقويات من استانبول الى خط الجبهة مدة تتراوح بين شهر وستة أسابيع على الاقل ، وكان الجنود يضطرون أحياناً الى السير على الاقدام من الرياق الى خط الجبهة في جنوب فلسطين حيث يقطعون مسافة تبلغ ٢٥٠ ميلاً .

٢

معارك سيناء

موقف الاتراك . موقف البريطانيين . وصف طوبوغرافي لقنـاة السويس وصحراء سيناء . الخطة التركية . خطة الدفاع البريطانية . تطور الحركات . الانسحاب التركي . التدابير الادارية التركية . الدروس المستحصلة .

موقف الاتراك

كانت منطقة مفتشية الجيش الثاني التركي تشمل ولايات أطنة ، حلب ، سورية ، بيروت ، الحجاز وقضاء القدس المستقل . وتتألف هذه المفتشية من الفيلق السادس ومقره في حلب ، والفيلق الثامن ومقره في دمشق ، وفرقة مستقلة في الحجاز . وقد تضمنت خطة النفير سحب الفيلق السادس الى منطقة استانبول ، وسوق الفيلق الثـاني عشر من الموصل الى سورية لتعويضه وتشكل الجيش الرابع في سورية من الفيلق الثاني عشر الذي نيط به واجب الدفاع عن سورية وحماية سواحلها ، والفيلق الثامن الذي كلف بواجب التقدم نحو مصر . وقد عين لقيادة الجيش الرابع في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٤ وزير البحرية جمال باشا (السفاح) ليحل محل الفريق زكي باشا الحلبي الذي قدم للقيادة العامة تقريراً منطقياً اوضح فيه صعوبات التقدم نحو قناة السويس وما ينطوي عليه من مجازفة وضرورة اعداد العـدة الكاملة قبل التقدم . وبلغ مجموع القوات التركية في المنطقة باستثناء فرقة الحجاز حوالي ٦٥٠٠٠ محارب و ١٠٠ مدفع .

موقف البريطانيين

كانت الحامية البريطانية في مصر قبل الحرب العظمى تبلغ ٥٠٠٠ جندي تقريباً وقد شرع بتعزيزها عند اعلان الحرب بقطعات امبراطورية من بريطانية والهند ونيوزيلندة واسترالية وكان معظمها لا يزال غير مكتمل التدريب . وبلغت قوة حامية مصر في أواخر سنة ١٩١٤ حوالي ٧٠,٠٠٠ محارب يساعدها في اكمال أعمالها الادارية وعلى خطوط المواصلات القطعات المصرية والسودانية . وكانت القيادة العامة منوطة بالجنرال السر جون ماكسويل وعهد هذا بواجب الدفاع عن القناة الى الجنرال ويلسن الذي كانت بأمرته الفرقتان الهنديتان ١٠ و ١١ ولواء من الخيالة وقد بلغ مجموع القوة المكلفة بالواجب ٣٠,٠٠٠ جندي .. وفتح الجنرال ويلسن مقره في الاسماعيلية .

وصف طوبوغرافي

قناة السويس :

تم حفر قناة السويس لربط البحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر سنة ١٨٦٩ في عهد الخديوي اسماعيل ، وتبعد القناة ٣٠ ميلاً عن دلتا النيل المأهولة ويبلغ طولها حوالي ١٠٠ ميل .. وتقع مدينة بور سعيد في مدخلها الشمالي ومدينة السويس في مدخلها الجنوبي ، وتؤلف القناة المحفورة ثلثي القناة ، اما القسم الباقي فانه مؤلف من البحيرات الطبيعية التي تمر منها القناة ، وهي من الشمال بحيرة المنزلة وبحيرة البلح ، وبحيرة التمساح ، والبحيرة المرة الكبرى ، والبحيرة المرة الصغرى.. وكان عرض القناة في سنة ١٩١٤ يتراوح بين ٦٥-١٠٠ يارد ، وعمقها ٣٤ قدماً ويبلغ ارتفاع ضفافها بين ٥ - ٢٥ قدماً وتقع مدينة الاسماعيلية في منتصفها . وعلى مقربة من القناة توجد قناة أخرى ضيقة توازيها وهي قناة المياه العذبة التي تأخذ ماءها من نهر النيل ويبلغ عرضها ٣٠ قدماً وعمقها أقل من خمسة أقدام ويتراوح بعدها عن قناة السويس بين الميل والخمسة عشر ميلاً .

ويمكن تقسيم القناة من جهة طبيعة العوارض الى القواطع التالية :

١ – القاطع الشمالي : وهو الكائن بين بورسعيد والقنطرة ويبلغ طوله ٢٥ ميلا وقد حفر المجرى طوار الضفة الشرقية لبحيرة المنزلة ، وضفاف القناة واطئة ويقع على شرقيها سهل التينة المنخفض الذي يمكن غمره بالمياه عند الخطر ، فتزداد بذلك مناعة القناة الدفاعية .

٢ – القاطع الثاني : ويقع بين القنطرة والاسماعيلية ويبلغ طوله ٢٠ ميلا وهو يمر بمنطقة قاحلة مرتفعة الضفاف.

٣ – القاطع الثالث : ويبدأ من الاسماعيلية في الحافة الشمالية من بحيرة التمساح، ويمتد الى شمالي البحيرة المرة وطوله ١٥ ميلا وتبلغ قناة المياه العذبة بعدها الاقصى في هذا القاطع .

٤ – القاطع الجنوبي: ويبدأ من شمال البحيرة المرة الكبيرة وينتهي في السويس ويبلغ طوله ٤٠ ميلا والضفاف في هذا القسم عالية وقد ترتفع الى ٢٥ قدماً ، والضفة الشرقية أعلى من الغربية .

والاسماعيلية أهم المدن الواقعة على قناة السويس ففيها معمل تصليح السفن ومفرق السكة الحديد المتصلة بالقاهرة ، ويمر بها خط السكة الرئيسي الموازي للقناة والذي يمتد من بورسعيد الى السويس . ويمر بالاسماعيلية ايضاً خط البرق الدولي وتتوزع منها قناة المياه العذبة شمالاً وجنوباً طوار القناة .

ويتضح من دراسة قواطع القناة ان القاطع الثالث الذي تقع فيه الاسماعيلية هو اهمها ولا سيما الجزء الكائن بين بحيرتي التمساح والمرة الكبيرة حيث يؤدي لاهم الاهداف ، وتتسلط به الضفة الشرقية على الغربية بين طوسوم وسيرابيوم .

خطورة قناة السويس العسكرية

سبق لنا بيان الاساس الذي استندت اليه خطة الحرب (لائحة الحركات)

للقيادة العامة التركية وهو قبول ساحة الحركات الاوربية كساحة الحرب الحاسمة ، وتكريس جميع الجهود التي تبذلها القوات التركية لتخفيف الضغط عن المانية وفسح المجال للجيش الالماني لكسب الحرب في الجبهة الاوربية ، وهذا المبدأ وان كان منطقياً من الوجهة العسكرية البحتة فانه لا يأخذ العامل البشري بنظر الاعتبار ولا يقيم وزناً لشعور الجيش التركي ، أو ما يسببه ضياع الاراضي العثمانية من اثر . وتطبيقاً لخطة الحركات هذه توجهت الجيوش التركية نحو القفقاس لتهديد روسيا وارغامها على سحب قواتها من الجبهة الاوربية . وتوجهت أيضاً نحو قناة السويس لتهديد البريطانيين لنفس الغرض. ويمكن اجمال الاهداف المتوخاة من الزحف التركي نحو قناة السويس بما يلي :

١ — ارغام البريطانيين على نقل قواتهم عن طريق طويل وهو طريق رأس الرجاء الصالح ، أي حول قارة افريقيا بسد الطريق الاقصر وهو قناة السويس . وبذلك يضيع عليها كثير من الجهد والوقت ، بالاضافة الى التعرض لخطر الغواصات الالمانية .

٢ — فتح جبهة جديدة للبريطانيين تمنعهم من حشد قواتهم في الجبهة الغربية الاوربية أو استخدامها في حركة انزال تهدد الامبراطورية العثمانية بصورة مباشرة .

٣ — تهديد خطوط التموين البريطانية التي تصل بين الهند وأوربة عن طريق السويس .

٤ — خطورة موقع مصر السوقي وقاعدة الاسكندرية البحرية وقطع المواصلات السلكية العالمية التي تمر بها لربط الشرق بأوربة .

وكان الاتراك يعقدون الآمال الكبيرة على احتمال حدوث ثورة في مصر ضد البريطانيين وعلى ما سيقدمه السنوسيون في طرابلس الغرب من مساعدات لتهديد مصر من الغرب .

طرق التقرب عبر سيناء

لا توجد في شبه جزيرة سيناء أنهار دائمة الجريان أو منابع مياه دائمية وتقتصر منابع مياهها على الغدران والصهاريج والآبار التي تمتلىء بالماء عند هطول الامطار شتاء . ويمكن حفر الآبار فيها الا أن ماءها تغلب عليه الملوحة ، ولا توجد فيها مدن أو قرى عامرة باستثناء العريش والنخل وكانتا قريتين صغيرتين . وتوجد في سيناء ثلاث طرق تربط فلسطين بمصر وهي :

١ - الطريق الساحلي: ويمر من غزة - العريش - بئر المزار - بئر العبد - قاطية - دويدار - القنطرة (على قنال السويس) . ويمر هذا الطريق بعدة آبار الا أنه واقع تحت تأثير نيران الاسطول البريطاني المسيطر على البحر . وهو الطريق الرئيسي الذي اجتازه الفاتحون العظام في التأريخ ويبلغ طوله ، من العريش الى قناة السويس ١٠٠ ميل .

٢- الطريق المركزي : ويمر من بئر السبع - العوجة - حسانة - جفجافة - الاسماعيلية - . ويمتاز هذا الطريق بصلابة سطحه الا أن مياهه اقل من الطريق الشمالي .

٣- الطريق الجنوبي : (طريق الحجاج) ويمر من القصيمة - النخل - السويس ويتصل بالحجاز عن طريق العقبة ولذا كان الحجاج الذاهبون على الطريق البري يسلكونه فيما مضى . والمياه في هذا الطريق أقل من الطريقين الآخرين .

وتوجد مسالك عرضانية تربط بين الطرق الثلاثة المذكورة آنفاً .

الخطة التركية

الخريطة رقم (١)

تلقت قيادة الفيلق الثامن التركي أمر التقدم للهجوم نحو مصر في ٨ ايلول ١٩١٤ وكانت الخطة تقوم على آمال قوية ، وخيالات عن ثورة تنشب في مصر لمساندة العثمانيين ضد البريطانيين ، وقيام تعاون وثيق مع شريف مكة

والمتطوعين العرب . كان الفيلق الثامن بقيادة جمال باشا المرسيني الذي عرف باسم جمال الصغير لتمييزه عن جمال السفاح، وعين لمنصب رئاسة أركان الفيلق العقيد الالماني كريس فون كريسنتاين أو كما اشتهر (فون كريس) وبالنظر للدور الخطير الذي لعبه هذا الضابط الالماني في هذه الصفحة من الحركات ، نرى من المفيد بيان بعض التفاصيل عنه . كان العقيد الركن فون كريس من أبناء أسرة عريقة من نبلاء بافاريا ومن ضباط المدفعية وقد قدم الى تركية ضمن اعضاء البعثة العسكرية الالمانية ، لاعادة تنظيم الجيش التركي ، وكان يرأس هذه البعثة الجنرال ليمان فون ساندرس، وقد عهدت اليه آمرية مدرسة المدفعية وكسب بسرعة قلوب الضباط الاتراك وذلك لسعة علمه وكريم خلقه ، وقد وصفه الجنرال التركي (علي فؤاد آردن) رئيس أركان الجيش التركي الرابع بمذكراته[1] بقوله (كان فون كريس دؤوباً بعيد الهمة لا يريح فكره ولا تقف رجلاه وما من يوم من ايام الصيف ولا أيام الشتاء ذر فيه قرن الشمس الا وهو متهيء لمباشرة اعماله . ولم يعرف له مثيل في شدة عزمه وبأسه وجرأته وطموحه وفي قدرته على اقناع مخاطبه والتأثير عليه تأثيراً يسحر قلبه ويخلب لبه ، بالاضافة لقدرته على الاختراع والابداع وغير ذلك من المناقب النادرة ، ولم يكن يعوزه غير شيء واحد وهو الرأي الصائب وبعد النظر وكأن الطبيعة وهبته كل شيء ليكون عسكريا بارعاً ، ثم عدلت عن ذلك حين بغتة فحرمته العقل الراجح) . اشترك فون كريس في حملة قناة السويس فكان في بدايتها رئيساً لاركان الفيلق الثامن كما سبق ذكره ، ثم ولي قيادة قوة الصحراء ، ثم رئاسة أركان الجيش الرابع ، ثم قيادة الفيلق الثاني والعشرين ، وأخيراً قيادة الجيش الثامن .. وقلما ذكر التأريخ جندياً بذل من التضحية والعزيمة والهمة في سبيل فكرة يقدسها ويعتقد بصحتها مثل فون كريس فقد اختلف بسببها مع كبار الضباط من أتراك وألمان ، الا أنه بقي متمسكاً بأفكاره لا يحيد

---

(١) كيف غزونا مصر – مذكرات الجنرال التركي علي فؤاد . نقله الى العربية الدكتور نجيب الارمنازي . منشورات دار الكتاب الجديد – بيروت ١٩٦٢ .

عنها .. قررت القيادة العامة التركية بعد أن اعلنت الحرب بـين تركية وبريطانية في ٥ تشرين الثاني ١٩١٤ القيام بالتعرض على قناة السويس في شهر كانون الثاني ١٩١٥ لتجنب حرارة الطقس والاستفادة من توفر المياه بسبب موسم الامطار ، واختيرت الليالي المقمرة الطويلة للتقدم ، وكانت القوات المتيسرة عناصر من الفرق الثلاث التي تؤلف الفيلق الثامن ، وهي الفرق ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ وقد نظمت القوة الزاحفة نحو القنال بشكل جحفل مرتب يتألف من :

١١ فوج مشاة وثلاث سرايا رشاشات .
٧ بطريات مدفعية مختلفة العيار (ميدان وجبلية وقوس)
لواء هجانة (لواء خيالة ، استعيض عن الخيل بالجمال)
كتيبة هندسة ذات ست سرايا .
قطار جسور وقوارب تكفي لعبور لواء مشاة .
قوة من المتطوعين العرب (١٥٠٠) شخص .

وبلغ مجموع القوة حوالي ١٤،٠٠٠ شخص و ١٠،٠٠٠ جمل و ١٠٠٠ جواد .

ولم يتعاون شريف مكة مع القوة الزاحفة كما كان مؤملاً ، وقد انتحل شتى الاعذار للتملص من ذلك . وكانت القوة المشار اليها تؤلف القدمة الاولى ، على أن تعقبها القدمة الثانية المؤلفة من الفرقة ١٠ وهي من خيرة الفرق التركية . وكانت قيادة الفيلق الثامن ومحورها فون كريس ، تصر على وجوب القيام بالتعرض بأسرع ما يمكن ، وحتى قبل اكمال الاستعدادات مستصغرة شأن العدو ومبينة خطورة عدم فسح المجال له لحشد قواته للدفاع عن القنال .

اخلت القوات البريطانية العريش والنخل فور اعلان الحرب وانسحبت بجميع قواتها الى ما وراء القناة واخترق الاتراك الحدود في يوم ١٥ تشرين

الثاني ١٩١٤ واستطاعوا حشد لواء أي خوالي ٥٠٠٠ جندي و ٣٠٠٠ من المتطوعين العرب في العريش . وقامت القوات البريطانية باغمار الاراضي الواقعة بين بور سعيد والقنطرة بالمياه لتقصير الجبهة المدافع عنها .

انفتحت القوات التركية للتقدم على الطرق الثلاثة التي تقطع شبه جزيرة سيناء كما سبق شرحه ، وكانت الخطة هي التقدم بالقسم الاكبر على الطريق المركزي وبقوات صغيرة على الطريقين الشمالي والجنوبي لحماية الاجنحة . وكانت القوات موزعة كما يلي :

١ – الجناح الايمن – الطريق الساحلي : فوجا مشاة وبطرية مدفعية .
٢ – القسم الاكبر – الطريق المركزي : ويتألف من سبعة أفواج مشاة وباقي المدفعية والصنوف المساندة .

٣ – الجناح الايسر : الطريق الجنوبي : فوجا مشاة وكتيبة خيالة من الفرقة ٢٢ المستقلة المرابطة بالحجاز ، ولم تشترك هذه بالهجوم لتأخرها عن الرتلين الآخرين .

ولم تتوفر للحملة التركية طائرات لاسنادها أو أجهزة لاسلكي لمواصلاتها . وكان العامل الرئيسي المؤثر على خطة التقدم التركية قلة مصادر المياه . وتوخت الخطة المباغتة بالتقدم على جبهة واسعة ونصت على تجمع الارتال الثلاثة في مناطق تحشد تبعد عن قناة السويس بمسافة ٢٥ – ٣٠ كيلومتراً وكان العامل الاداري خطيراً اذ كان الموقف الاداري لا يساعد على مكوث القوات في منطقة السويس لمدة تزيد على ستة أيام ، ويتحتم عليها اذا فشلت في العبور خلالها ان تنسحب اذ ان مصادر المياه المتيسرة لا تكفيها لاكثر من ذلك والتوقف معناه الموت من العطش . شرعت القدمة التركية الاولى بالحركة برتلها الايمن من خان يونس ، وبرتلها الايسر من ممان ، وغادر الرتل المركزي بقيادة مقر الفرقة ٢٥ بئر السبع في ١٥ كانون الثاني ١٩١٥ . اما القدمة الثانية المؤلفة من الفرقة ١٠ فقد غادرت بئر السبع يوم ٢٢ كانون الثاني معقبة القدمة الاولى على الطريق المركزي ايضاً .

خطة الدفاع البريطانية

استلم القيادة العامة في مصر الجنرال السر جون ماكسويل في أوائل أيلول سنة ١٩١٤ وقد تحشدت في مصر الفرقتان الهنديتان ١٠ و ١١ ولواء خيالة امبراطورية والفرقة ٤٢ البريطانية والقوات الاسترالية والنيوزيلاندية . وبلغ مجموع القوة المتيسرة في كانون الثاني ١٩١٥ حوالي ٧٠,٠٠٠ جندي وقد وزعها الجنرال ماكسويل على الوجه التالي :

١ – قوة الدفاع الشرقية : وهي المكلفة بواجب الدفاع ازاء العدو المتقدم من الشرق ، ويقودها الجنرال ويلسن قائد الفرقة ١٠ الهندية وتتألف من الفرقتين الهنديتين ١٠ و ١١ ولواء الخيالة الامبراطوري ولواء هجانة وتسندها السفن الحربية البريطانية والفرنسية كمدفعية اضافية ويبلغ مجموع هذه القوة حوالي ٣٠,٠٠٠ محارب .

٢ – رتل الصحراء الغربية : وهو مكلف بواجب حماية الحدود الغربية من تحركات السنوسيين في ليبيا ، وكان الرتل بقيادة العقيد سنو .

٣ – الاحتياط المركزي : وقد كلف بواجبات السيطرة على القطر المصري والمحافظة على الامن الداخلي .

وقد بنى البريطانيون خطتهم على اخلاء سيناء والدفاع عن القناة مستفيدين منها كمانع طبيعي ، لقناعتهم بعدم استطاعة الاتراك التغلب على الصعوبات الادارية التي تتطلبها عملية عبور سيناء . ودرس البريطانيون الاماكن التي تصلح للعبور بعد اخراج البحيرات والاراضي التي يمكن غمرها بالمياه ، وكان الباقي اكثر من نصف طول القناة . وقد قسم البريطانيون القناة لاغراض الدفاع الى اربعة قواطع على الوجه التالي :

١ – القاطع الاول – من بور سعيد الى القنطرة .

٢ – القاطع الثاني – ويشمل القنطرة – فردان – المعبر .

٣ – القاطع الثالث – وهو بين بحيرة التمساح والبحيرة المرة ويشمل

طوسوم – سيرابيوم – دفرسوار .

٤ – القاطع الجنوبي – ويشمل شالوفة – الكوبري – السويس .

وعهد واجب الدفاع عن الخط الامامي الى الفرقة ١٠ وقسم من الفرقة ١١ ونظمت المواقع الدفاعية بصورة حسنة وأحيطت بالاسلاك الشائكة وجهزت بالانوار الكشافة في كل من القنطرة والاسماعيلية والكوبري واحتفظ بباقي الفرقة ١١ ولواء الخيالة الامبراطوري وبقطار مدرع متنقل كاحتياط عام . وربطت المواقع بمواصلات سلكية متقنة ، وغمرت الاراضي المنخفضة أمام خط الدفاع بالمياه ، وربطت ضفتا القناة بجسور خفيفة لعبور مفارز الاستطلاع والحماية التي تزود المدافعين بالمعلومات ، بالاضافة الى التقارير الجوية التي كانت تقدمها القوة الجوية البريطانية . كان البريطانيون بفضل استخباراتهم وتيسر القوة الجوية لديهم مزودين بمعلومات دقيقة وفورية عن سير الزحف التركي وقد توافر لديهم يوم ١٣ كانون الثاني ١٩١٥ معلومات عن وصول الاتراك الى العوجة والقصيمة بأعداد متزايدة وفي يوم ٢٦ كانون الثاني قدروا القوات التركية الموجودة على الآبار المختلفة ضمن ٢٥ ميلاً عن القناة بحوالي ٥٤٠٠ ثم تزايد العدد حسب التقدير البريطاني حتى بلغ ٩٤٠٠ عندما هاجم الاتراك تل الراقم ٧٠ الواقع على بعد سبعة أميال عن القناة يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩١٥ .

تطور الحركات

شرع الاتراك ببعض المناوشات على الاجنحة ، بقصد غش القيادة البريطانية واغفالها عن قاطع الهجوم الاصلي ، فهاجموا في يومي ٢٦ و٢٧ كانون الثاني منطقة القنطرة في الجناح الايمن ومنطقة الكوبري في الجناح الايسر الى أقصى الجنوب ، في الوقت الذي كانوا يحشدون فيه قواتهم في المركز . ولم تنجح هذه المحاولات في اغفال القيادة البريطانية التي استطاعت أن تحصل على معلومات موثوقة عن التحشد التركي في القاطع المركزي وقدرته بحوالي ١٢,٠٠٠ الى ١٥,٠٠٠ محارب وقدرت ان الهجوم سيتوجه الى القاطع بين سيرابيوم الواقعة

على بعد أربعة أميال جنوب بحيرة التمساح ، وفردان التي تبعد سبعة أميال الى شمال الاسماعيلية ، وأسست الدوريات البريطانية التماس مع الاتراك شرقي القناة على طول هذه الجبهة التي بلغت حوالي ٢٠ ميلاً .

كانت خطة الهجوم التركية تستند على المباغتة بالدرجة الاولى وقد حدد الهدف بمنطقة طوسوم وسيرابيوم الكائنتين الى جنوب الاسماعيلية بعشرة أميال تقريباً بين بحيرة التمساح والبحيرة المرة وقد خصصت خمسة أفواج للقيام بعملية العبور على أن تقوم قوات اخرى بمظاهرات لإيهام العدو على جبهة واسعة طوار القناة ، وحددت القنطرة هدفاً لرتل الجناح الايمن والسويس هدفاً لرتل الجناح الايسر ، أما الرتل المركزي الذي كان يقوده اللواء ٦٨ فكان هدفه النهائي الاسماعيلية . وكلفت المدفعية الثقيلة بضرب سفن العدو الموجودة في القنال لتخريبها واغراقها وسد القناة . وكانت أوامر الحركات التركية التي أعدها فون كريس رئيس أركان الفيلق واصدرها بالساعة ١٨٠٠ من يوم ١ شباط متقنة ومفصلة وواضحة ، الا انها تجاهلت المعلومات عن العدو لعدم التأثير على معنويات المهاجمين ! واخذ فون كريس على عاتقه استصحاب آمري السرايا في استطلاع مفصل لتحديد مناطق ونقاط العبور ومحلات نصب الجسور ونقاط فتح القوارب . وفي ليلة ٢و٣ شباط المحددة للهجوم كانت الفرقة العاشرة التركية قد وصلت بلوائيها ٢٨ و٢٩ الى موضع اجتماع يبعد ١٠ كيلومترات عن القناة وراء الرتل المركزي . وهبت بعد ظهر يوم ٢ شباط عاصفة رملية هائلة استمرت حتى المساء فأخلت بجميع استحضارات الهجوم وأعماله فضلت سرايا الهجوم طريقها وتأخر وصول الزوارق ومعدات العبور ولم تستطع المدفعية دخول مواضعها بالوقت المعين ولم تفلح المخابرة بتأمين المواصلات السلكية وتأخرت حركة العبور التي كان من المقرر اجراؤها مساء الى ما بعد منتصف الليل . وتوقف سير السفن في قناة السويس يوم ٣ شباط وشعر البريطانيون ببدء الهجوم المتوقع وقابلوه بنيران شديدة متفوقة عجز المهاجمون عن اسكاتها ، وكشفت الانوار الكشافة

تحركات المهاجمين وفتكت رشاشات المدافعين بأقواسها المتقاطعة على المحلات الصالحة للعبور بالقطعات العابرة فتكاً ذريعاً واضطرت القيادة التركية لزج اللواء ٢٨ من الفرقة العاشرة بالمعركة لتعزيز خط الهجوم واندفع الاتراك بعزم واستطاعوا انزال القوارب الى القناة حاملة الموجة الاولى التي بلغت قوتها ٦٠٠ جندي للعبور الى الضفة الغربية وتوقف العبور تماماً عند طلوع الشمس بتأثير النيران البريطانية الكثيفة التي انصبت على نقاط العبور وسببت غرق معظم القوارب الخشبية التي لم تستطع العودة وأدت الى تلف معدات الجسور . وحاول الاتراك تجديد المحاولة بالساعة ٠٩٣٠ من يوم ٣ شباط بين طوسوم وسيرابيوم الا أن جهودهم فشلت بسبب التفوق الناري للمدافعين . وفشلت المدفعية التركية في محاولاتها للتغلب على مدافع السفن الحربية والمدفعية البريطانية التي كانت ترمي بدقة مستفيدة من الرصد الجوي لطائراتها . وفي يوم ٣ شباط كان موقف القطعات التركية بعد الظهر حرجاً جداً ، فقد أعيا الجنود الجوع والعطش وأنهكهم القتال المستمر وقد نفد معظم العتاد وتلفت معدات العبور .

الانسحاب التركي

كان الموقف التركي عصر يوم ٣ شباط كما يلي : تحتل خمسة أفواج من الفيلق الثامن خطاً يبلغ طوله ٤ كيلومترات بمجابهة طوسوم وسيرابيوم على بعد يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ متر من القناة ولم يبق في الاحتياط الا فوج واحد من اللواء ٢٨ وقد اشغل فوج آخر من هذا اللواء موضعاً في الجناح الايسر باتجاه الجنوب لحماية هذا الجناح من هجوم مقابل فيما اذا حاول البريطانيون العبور . وقد سيطرت المدفعية البريطانية التي تسندها السفن من البحيرة المرة وبحيرة التمساح على المدفعية التركية وكسب المدافعون التفوق الناري برشاشاتهم الكثيرة المعبأة بصورة جيدة ، وقد أصبحت كافة القطعات التركية التي نجحت بالعبور بين قتيل وأسير . ولعل خير ما يصور الموقف قبيل الانسحاب هو نقل ما كتبه الجنرال (علي فؤاد آردن) مدير شعبة

الحركات للجيش الرابع في مذكراته وهو (بعد مواجهتي لقائد الفيلق الثامن اختار قائد الفيلق مشافهة قائد الجيش بالامر فقصدنا سوية مرصد قائد الجيش في نحو الساعة ١٦٣٠ يوم ٣ شباط فسأل قائد الجيش قائد الفيلق عن رأيه بصراحة ووضوح دون لبس فأجابه « مس الجنود الاعياء وينبغي ادخال اللواء ٢٩ في خط القتال ولكن لا بد ان يصيب هذا اللواء ما أصاب الآخرين وستقل الاعتدة بتمادي القتال ولا يمكننا الصمود طويلاً بهذا الوضع اذا ما زاد عناء الجنود وتناقص العتاد » ثم وجه قائد الجيش الكلام الى فون كريس رئيس أركان الفيلق الثامن وقال له « ليس القصد من هذا الاجتماع عقد مجلس حرب بل ان غرضي هو معرفة حقيقة الموقف فيقتضي ابداء الرأي بغير حيطة وحذر » فالتمس فون فرانكنبرغ رئيس أركان الجيش الرابع أن يوجه السؤال له أولاً بحكم منصبه وقال « لا يرجى النجاح أبداً من الاستمرار في الهجوم ويجب قطع التماس فوراً ليتسنى لنا انقاذ الحملة والانسحاب بانتظام ، واذا ما تأخرنا فالعاقبة ليست محمودة » ووجه قائد الجيش كلامه الى فون كريس مجدداً قائلاً « اذا كان هناك أمل بالنجاح بنسبة ٣٠ او ٤٠ بالمائة فانني لا أحجم عن المخاطرة بالحملة ، والحل الاخير متوقف على ما يراه فون كريس الذي تحمل أعباء العمل التحضيري السابق للحملة ، ومن الصواب أن يكون مستقبلها بيده . وأجاب فون كريس قائد الجيش جمال باشا قائلاً « لا يرجى النجاح مطلقاً ، ولكن الحمية والمروءة تقضيان على الحملة الاستمرار بالهجوم على القناة وان فنيت عن آخرها وذلك خير من أن تنكص على أعقابها ، فمن رأيي المثابرة على القتال » وعلق قائد الجيش على هذا الرأي الشاعري الخيالي بقوله « اذا لم يكن هناك أمل بالنجاح فأني أضن بابادة الحملة في سبيل الشرف المحض » وعلى أثر ذلك أصدر قائد الجيش أمره بالانسحاب ولم تكن هناك بارقة أمل فقد فشل الهجوم) .

وعادت الحملة التركية أدراجها على الطرق التي تقدمت عليها ، تسترها مؤخرة ضعيفة وعبر لواء الخيالة الامبراطوري يوم ٤ شباط فلم يجد أثراً للعدو ولم

يحاول مطاردته وكانت ليلة ٤ و ٥ شباط هادئة تماماً ، وأخبرت الطائرات بانسحاب الاتراك يوم ٥ شباط واستؤنف سير السفن بقناة السويس بنفس اليوم . وتذكر المصادر التركية أن خسائرها بلغت ١٩٢ شهيداً و ٥٦٦ جريحاً و ٧١٢ مفقوداً ، اما المصادر البريطانية فتقدر الخسائر التركية بانها ٢٣٨ شهيداً دفنوا بساحة المعركة و ٧١٦ أسيراً ولم تتجاوز الخسائر البريطانية ١٥٠ رجلا بين قتيل وجريح .

التدابير الادارية التركية

ان اجتياز صحراء سيناء التي لا يزيد عمقها على ١٥٠ ميلا ، لا يشكل معضلة في الحرب الحديثة نتيجة الاستعمال الواسع للمعدات الحديثة كوسائط النقل الآلية والتموين الجوي وما يدعم به العلم الحديث الجيوش من معدات هندسية ووسائل لمد أنابيب المياه والبنزين مع القوات الزاحفة ووسائل أخرى كالارزاق الخاصة والتجهيزات المصممة للتغلب على تأثير عوامل الطبيعة والمناخ ، ومن المفيد ان نذكر ان الحركات في سيناء خلال العدوان المثلث الغاشم (البريطاني الفرنسي الصهيوني) على الشقيقة الكبرى مصر لم تستغرق أكثر من سبعة أيام أي من ٢٩ تشرين الاول الى ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦ وبالرغم من الظروف السياسية الخاصة التي احاطت بالقتال لم يبرز أي مشكل اداري يتطلب جهوداً خارقة للتغلب عليه وقد استخدمت خلال العمليات التي دارت قوات من جميع الصنوف .

وبعد هذه المقدمة التي بينت الاوضاع في الحاضر ، نرى ان في الرجوع للمصاعب التي برزت في الماضي فائدة تاريخية وعسكرية حيث توضح لتلميذ التاريخ العسكري المعاضل والحلول وتفاعلها مع العامل البشري ، ولهذا الغرض نرى من المفيد التطرق للتدابير الادارية التي لجأ اليها الجيش التركي في عبوره صحراء سيناء في سنة ١٩١٥ لبيان المعاضل وجهود المسؤولين في التغلب عليها على الوجه التالي :

١ – تقليص الملاكات في الاشخاص والمعدات .

أعدت رئاسة أركان الفيلق الثامن ملاكاً خاصاً للبادية ، حذفت منه الاشخاص غير الضروريين ، وخففت الاثقال الى الحد الادنى، فخصص لكل ضابط ٥ كيلوغرامات لتجهيزاته الشخصية ، وخفضت الحيوانات للحد الادنى لتقليل استهلاك العلف والماء واستصحب الائمة فقط ، من غير المحاربين .

أما الخيم فلم يخصص لكل فوج سوى اثنين منها لإيواء الجرحى والمرضى.

٢ – الأرزاق : خصص لكل شخص يومياً ٦٠٠ غرام من البقصم (الكعك) الجـاف و ١٥٠ غراماً من التمر والزيتون و ٩ غرامات من الشاي . وخصص لكل حيوان نصف كيلو شعير يومياً . ويستدل من هذا على أن القيادة التركية كانت تنوي التضحية بالحيوانات ولا سيا الجمـال ؛ اذ ان ما خصص لها لا يكفي مطلقاً وقد أدى هذا الى هلاك ٧،٠٠٠ جمل من أصل ١٠،٠٠٠ رافقت الحملة .

٣ – خطوط المواصلات : شكلت لتنظيمها مفتشية الصحراء التي كان مقرها في بئر السبع وقامت هذه بتأسيس منازل في قواطع بين كل منها ٢٥ الى ٣٠ كيلومتراً ، تؤلف مراحل الحركة وكانت المنازل في (الخلصة – الحفـير – وادي العريش – الابن – الخبرة الاولى – جفجافة – الخبرة الثانية) ، ويضم المنزل مقراً ادارياً ونقـاط ماء ومركز اسعاف طبي ومنارة توقد ليلا للدلالة . وكان مجموع المسافة من بئر السبع الى الاسماعيلية حوالي ٣٠٠ كيلومتر .

٤ – القوافل وأرتال التموين : ألفت لهذا الغرض خمس كتائب هجانة لنقل الارزاق والماء ونظمت الكتائب بزمر مؤونـة تتألف كل منها من ١٢٨ بعيراً وزمر إسقاء لحمل الماء تتألف كل منهـا من ٩٢ بعيرا . وكان حمل البعير كيسين من الشعير وكيس من البقصم أو ١٨٠ كيلوغرام مـاء . وبالاضافة لذلك كانت هنـاك مفارز نقلية جمال مخصصة لحمـل العتاد

بأنواعه المختلفة وكانت هذه القوافل تعمل بين آخر موقف للقطـــار والجبهة .

٥ – الماء : بالنظر لطبيعة صحراء سيناء وندرة المياه فيهـــا فقد أصبحت لموضوع تموين الماء أهمية عظمى وبذلت مفتشية الصحراء جهوداً خارقة في التحري عنها ، وتحسين منابعها من آبار وصهاريج وغيرها . وبالنظر لندرة الماء فقد كان استحقاق الفرد الواحد اليومي زمزمية واحدة فقط أي لتر من الماء . أما الجمال فكانت تسقى مرة واحدة كل ثلاثة أيام .

٦ – العتاد : بالنظر لما تفرضه صعوبة الموقف الاداري من تحديد على النقلية، فقد وضعت خطة تموين العتـاد على الوجه التالي : لكل بندقيـــة مع الوحدات ٢٩٥ طاقة وفي القدس أو معان ٣٤٥ وفي دمشق ٣٦٠ فيكون المجموع ١٠٠٠ إطلاقة لكل بندقية. أما عتاد المدفعية فقد كان المخصص لكل مدفع في البطريات ٥٨٦ قنبلة وفي القدس ومعان ١٨١ قنبلة وفي دمشق ٢٣٣ قنبلة فيكون المجموع ١٠٠٠ قنبلة لكل مدفع .

٧ – تدابير المسير : تقرر المسير ليلا ، لان برد الليل القارس في الصحراء في شهر كانون الثاني يحول دون النوم في العراء وللاقتصاد في استهلاك الماء وتجنب رصد القوة الجوية البريطانية ، ومن المهم ملاحظـــة أن الفرق بدرجة الحرارة بين الليل والنهار كان يبلغ ٣٠ درجة تقريباً ، وكانت الاوامر تقضي برمي من يتخلف عن رتل المسير دون اذن فوراً . وكان الأئمة والضباط يعظون الجنود ، ويذكون نار الحمـــاس في صدورهم ، محببين اليهم الاستشهاد في سبيل الله والوطن .

الدروس المستحصلة

١ – توخي الهدف

لا بد لكل عملية عسكرية من هدف متوخى يكون التوصل اليه الفرض منها ويضع قائد القوة المكلفة بالواجب هذا الفرض نصب عينه على الدوام ،

وبالنظر لذلك لا بد من التساؤل عن الهدف المتوخى من عملية عبور سيناء التي قام بها الجيش التركي . ويبدو لمن يدرس تأريخ الحملة غموض هذا الهدف وعدم وضوحه حتى لدى القائمين بالعملية فيقول جمال باشا في مذكراته (دعاني أنور باشا – القائد العام التركي – الى داره بعد دخولنا الحرب بخمسة أيام وقال لي أريد الهجوم على قناة السويس ومصر لاشغال بال البريطانيين في مصر ومنعهم من سوق قواتهم الهندية المهمة من مصر الى الجبهة الغربية وابقائها هناك وفي عين الوقت منعهم من سوق قواتهم الى مضيق جناق قلعة..) فهل كان يستهدف أنور باشا غارة سوقية محدودة وموقتة ؟

ويقول فون كريس في كتابه (سيناء) الذي ألفه بعد الحرب أن الهدف كان الاستيلاء على قسم من القناة لمدة بضعة أيام والقيام بتخريبها ووضع السدود فيها .. ويقول مؤرخون آخرون ان الهدف كان الاستيلاء على مصر وطرد البريطانيين منها بالتعاون مع ثورة داخلية تنشب في مصر ، وكذلك مع السنوسيين الذين سيقومون بالتعرض من الغرب. وهذا القول يمكن عده ضرباً من الخيال ، لما يتطلبه من قوى هائلة واستعدادات ضخمة لا قبل للاتراك بها ، واذا نظرنا للموضوع باعتباره غارة فهل كان حجم القوة المستعملة مناسباً للواجب وهل أمكن تأمين المباغتة والاستعدادات اللازمة لنجاحها ؟ ويمكن الاجابة على هاتين النقطتين بالقول بأن حجم القوة كان كبيراً بالنسبة للواجب اذا كانت الغارة هي الهدف . وان الاعمال التحضيرية كانت ناقصة جداً والمباغتة معدومة . ولا بد من القول عند النظر للموضوع من الناحية السوقية أنه بالرغم من أن سير السفن في القناة قد توقف لمدة لا تتجاوز ٤٨ ساعة فقط وأن الاتراك لم يفلحوا في وضع موانع تسد القناة ، فانهم نجحوا في إثارة مخاوف البريطانيين وتهديدهم مما أرغم البريطانيين على الاحتفاظ بقوة تجاوزت ٢٥٠,٠٠٠ جندي لحماية مصر على حساب ساحات الحرب الخطيرة الاخرى كالجبهة الاوربية وغاليبولي .

٢ – خطة الدفاع البريطانية :

أثار الدفاع البريطاني عن قناة السويس سخرية لاذعة ، وقال المتندرون (هل ان حامية مصر تحمي القناة أم أن القناة تحمي حامية مصر ؟) وفي الحقيقة ان هذا القول يوضح غموض الغرض البريطاني ايضاً . فاذا كان غرض الدفاع البريطاني الدفاع عن مصر فلا شك أن الدفاع عن القناة يكون امراً مقبولاً ، اما اذا كان الغرض هو الدفاع عن القناة لابقائها مفتوحة لمرور السفن كخط مواصلات حيوي للامبراطورية البريطانية فالدفاع عليها كما جرى فعلا والسماح للعدو بالوصول اليها خطيئة لا تغتفر . ومن الواضح ان الغرض الحقيقي كان الدفاع عن القناة لا عليها ، وهذا يتطلب الصمود في خط دفاع الى شرقها بمسافة كافية تمنع العدو من الوصول اليها أو التأثير على السفن المارة فيها بنيران أسلحته الخفيفة او الثقيلة .

٣ – سلبية الدفاع البريطاني :

والنقد الثاني الذي يوجه الى الدفاع البريطاني هو انه كان سلبياً مستكناً فسح المجال للقوة التركية المنسحبة للتملص دون خسارة تذكر ، بينما كان في الامكان ابادتها بهجوم مقابل ومطاردة عنيفة لا سيما وأن مجموع القوةالهاجمة كان حوالي ١٤٠٠٠ بينما كانت القوة المدافعة تزيد على ٣٠٠٠٠ ضمنها لواء خيالة ، ولم يكن هناك سبب لجعل المشاة البريطانيين أبطأ من المشاة الاتراك، ومن المؤكد ان البريطانيين بالرغم من تيسر المعلومات الدقيقة لديهم عن حجم القوة التركية،لم يسبقوا النظر في مقابلة الضربةواعداد القوة اللازمة للمطاردة.

٤ – الاستخبارات :

من الامور الجديرة بالملاحظة انعدام المباغتة في حركات الاتراك فقد شعر البريطانيون بها منذ البداية ، وكانت قوتهم الجوية تزودهم بتقارير دقيقة عن حركة الاتراك الذين لم تتيسر لهم قوة جوية ، هذا بالاضافة لمصادر الاستخبارات الاخرى التي كان يستفيد منها البريطانيون فكانت تقديراتهم

لتنقلات الاتراك وحجم قوتهم مقاربة للحقيقة جـداً ، ولم تغشهم تشبثات الاتراك في اخفاء قاطع الهجوم الحقيقي .

٥- الاستخبارات التركية :

كانت الاستخبارات التركية ناقصة فقد تأخر حشد قوات الجناح الايسر حيث لم تشترك هذه القوات في المعركة ، وكانت معلوماتهم عن منابع المياه قليلة ، ولم تبذل جهود كافية لاستثمارها . وقـد اعتقد الاتراك أن السفن الحربية لا تستطيع القتال وهي في القناة ، بينما اشتركت السفن الحوبية باسناد خط الدفاع البريطـاني من القناة وقامت بتكثيف النار الدفاعية وكان عملها مثلاً حسناً للتعاون مع مدفعية الجيش . وقد جعل الأتراك رأس الحربة في الهجوم الفرقة ٢٥ وهي فرقة ناقصة الملاك وضعيفة التدريب ولم يستخدموا الفرقة العـاشرة التي كانت من خيرة فرقهم حيث كانت تؤلف القدمـة الثانية وبالرغم من أن هذا التبديل كان يؤدي لتأخير العملية بضعة ايام الا أن المعتقد أن له ما يبرره .

٦ – الطقس والعوامل الطبيعية

يتبين تأثير عامل الطقس في تحديد موعد القيام بالعملية فقد فرضت عوامل الطقس اجراءهـا في الشتاء للتغلب على صعوبة تموين الميـاه وحرارة الطقس ، ويلاحظ ان تأخير الموعد عن شهر شباط كان معناه بدء موسم الحر وانحباس الامطار . ويبدو تأثير الطقس أيضاً في تأثير الزوبعة الترابية التي هبت عصر ٢ شباط وأثرت تأثيراً كبيراً في الاستحضارات التركية للهجوم والتي يعتبرها مؤرخو الاتراك سبباً رئيسياً لفشل الهجوم ، وهو أمر لا نتفق واياهم عليه ، لان السبب الرئيسي يكمن في ضعف القوة الهاجمـة وفشلهـا في تأمين التفوق الناري واسكات نيران المدافعين وتأزم موقف الاتراك الاداري .

٧ – المجازفة :

إن الانجاز الذي حققه الاتراك بنقل قوة مؤلفة من ١٤٠٠٠ شخص ومدفعيتها ومعدات عبورها عبر صحراء قاحلة لمسافة ١٥٠ ميلا بالاحوال السائدة في الجيش التركي في سنة ١٩١٥ ومن ثم قيام هذه القوة بالهجوم على خط دفاع يستند الى مانع طبيعي من الدرجة الاولى وهو قناة السويس وذلك المانع المحصن بصورة جيدة بجميع الوسائل كالمنعات الكونكريتية والمجهز بالانوار الكشافة والذي تشغله قوة تبلغ ٣٠٠٠٠ أي ضعف القوة الهاجمة حيث تسندها مدفعية قوية تتفوق على مدفعية الهجوم بالعدد والنوع وتدعمها مدفعية بحرية وقطارات مدرعة ، أمر ينطوي على مجازفة كبرى ولا سيما اذا أخذ الموقف الاداري بنظر الاعتبار. وبالرغم من فشل القوة التركية في تحقيق هدفها وهو اغلاق القناة أو الاستيلاء عليها ، فإن نجاحها بالانسحاب بخسائر تقل عن ١٠٪ أمر يدعو الى الاعجاب والتقدير ولا شك في انه كان من المحتمل أن تؤدي هذه المجازفة الى ابادة القوة التركية عن آخرها، لو كان البريطانيون أكثر نشاطاً واقداماً .

٨ – الموقف الاداري :

سبق بيان تأزم الموقف الاداري للجيش التركي بسبب طول خط مواصلاته مع قاعدته في استانبول وبطء التنقل على خط المواصلات هذا وقلة وسائط النقل والموارد المحلية التي يمكن الاستفادة منها . وقد ظهر تأثير هذه العوامل في اجتياز الحملة صحراء سيناء حيث حددت القوة التركية المتحشدة وسرعة حشدها وكانت حراجة الموقف الاداري سبباً لانسحابها وعدم تمكنها من الصمود على الضفة الشرقية للقناة لنفاد العتاد والارزاق والماء ولعجز القيادة التركية عن تأمين منظمة ادارية تديم سيلا مستمراً من التموين لسد النقص والادامة اليومية كما تقضي الاصول .

٩ – العوامل المعنوية :

قدر الاتراك العوامل المعنوية حق قدرها ، وكان الجهد الخـــارق الذي بذله الجنود الاتراك يستند بالدرجة الاولى على الحماس الديني والقومي . فقـد استصحبت الحملة الائمة كما سبق ذكره ، وكان هؤلاء يذكون الحماس في صدور الجنود ويبشرونهم بما وعد الله تعالى به المجاهدين في سبيل إعلاء كلمته ونصرة دينه والامتثال للجهاد المقدس الذي اعلنه خليفة المسلمين على اعداء الاسلام . وقد استصحبت القوة القادمة من الحجاز معهـــا علماً قيل انه يرجع الى عهد الرسول (صلعم) وعرف هذا باللواء الشريف . ومن الجدير بالذكر أن كلمة (اللواء الشريف) كانت سر الليل في ليلة الحملة على قناة السويس وقد أصدر قائـــد الجيش أمراً يومياً أوضح فيه الموقف مستثيراً حماس الجنود نحـا فيه منحى القائد العربي الاشهر طارق بن زياد ، قـال فيه (أيها الابطال وراءكم صحراء مترامية الاطراف وأمامكم عدوكم الالد وخلفـه أراضي مصر الخصبة التي تنتظركم بفارغ الصبر فان تقاعستم فان مصيركم الموت وان تقدمتم فأمامكم الجنة) وجاء فيه أيضاً أن الارزاق والمياه والنجاة والظفر كلها في الضفة الثانية من القناة وبين أن أسر الشهداء ستعطى مرتبات ومنحاً وستخصص لها مزارع وقرى في مصر عند فتحها . وأمر قائد الجيش كل رئيس باعـــدام من يحجم ويتثاقل من مرؤوسيه. ولعب كل ذلك دوراً في اثارة النخوة والحمية في الجند التركي الذي امتطى القوارب تحت وابل من النيران في معركة يائسة للالتحام بالعدو عبر قناة السويس وكان الضباط يلقون بأنفسهم في القنـاة ليدفعوا الزوارق المثقوبة نحو الساحل ، معتمدين على سواعدهم بعبور القناة غير مبالين بنيران العدو التي كانت تحصدهم حصداً تحت أضواء الانوار الكشافة .

٣

شباط ١٩١٥ ـ كانون الأول ١٩١٦

الموقف في سنة ١٩١٥ ـ الموقف العام ـ حركات الصحراء الغربية والقتال ضد السنوسيين ـ الموقف في أواخر سنة ١٩١٥ ـ الموقف في سنة ١٩١٦ ـ خطة الدفاع البريطانية الجديدة ـ اعادة تنظيم القيادة البريطانية في مصر ـ تقدير الجنرال موراي للموقف ـ مناوشات في صحراء سيناء ـ الثورة العربية ـ معركة الروماني ـ تطهير سيناء والتهيؤ لغزو فلسطين ـ احتلال العريش ـ احتلال رفح ـ الدروس المستحصلة .

الموقف في سنة ١٩١٥

شكل الاتراك بعد انسحابهم من السويس قيادة باسم (قيادة قوة الصحراء) بأمرة الزعيم الالماني فون كريس وكانت تتألف من ثلاثة افواج وبطريتين من المدفعية الجبلية وسرية هجانة ويبلغ مجموعها حوالي ٣,٠٠٠ محارب ، وعهد اليها بواجب استطلاع تحركات البريطانيين وازعاجهم . وقد قسم فون كريس قوته الى ثلاث مجموعات وضع اليمنى منها في العريش والمركزية مع مقره في الابن واليسرى في النخل. واستمر على القيام بالغارات والتخريب وزرع الالغام في القناة وايفاد مفارز من المغاوير لعبور القناة وتخريب السكة الحديد وقد سببت هذه الاعمال قلقاً كبيراً للبريطانيين .

الموقف العام :

شهدت سنة ١٩١٥ صراعاً كبيراً بدأ بالانزال الحليف في غاليبولي في ١٨

مارت ١٩١٥ حيث حاول الحلفاء بقوات جسيمة اقتحـــام مضيق الدردنيل والاستيـلاء على الاستانة عاصمة الامبراطورية العثمانية لاخراجها من الحرب بضربة قاضية سريعة ، وقد أدت هذه الحركة الى مبادرة الاتراك الى حشد قوة من ٢٥٠,٠٠٠ محارب من خيرة قطعاتهم لصد هذا الانزال وقذف القوات النازلة في البحر وتم هذا على حساب جُبهـــات الجيش العثماني الاخرى ومنها بطبيعة الحال فلسطين فسحبت منهـا الفرقتان ٨ و ١٠ الى غاليبولي . وعند اخلاء غاليبولي في كانون الاول ١٩١٥ وانسحاب الحلفـاء منها توافر للطرفين أعداد كبيرة من المحاربين وقام كلاهما بتعزيز قطعاته المرابطة في جبهة فلسطين التي اقتصرت الحركات فيها خلال فترة القتال المرير في الدردنيـل على عمليات محدودة وبنطاق ضيق وقام الاتراك في سنة ١٩١٥ بنشاط فعال في برقة على جبهة مصر الغربية بالاستفادة من اصدقائهم السنوسيين .

حركات الصحراء الغربية والقتال ضد السنوسيين :

أوفد الاتراك في ربيع سنة ١٩١٥ هيأة عسكرية يرأسها العقيد الركن جعفر العسكري العراقي الى طرابلس الغرب لتنظيم التعـــاون مع السنوسيين لتهديد مصر من الغرب . وقد عمل جعفر العسكري على تنظيم قوة للقيام بهذا الواجب ، وكانت غواصات القيادة الالمانية العاملة في البحر الابيض المتوسط تمد القوة بما تحتاج اليه ، وفي الخريف تم اعداد قوة مؤلفة من ٥٠٠٠ محارب مجهزة بالرشاشات والمدافع الجبلية. وفي ٦ تشرين الثاني ١٩١٥ قصفت القوات السنوسية قرية السلوم واستولت عليها وتقدمت على السهل الساحلي . وأوفد الجنرال ماكسويل القائد العام البريطاني قوة بقيادة الجنرال والس لمقابلتهـا ، واشتبكت هـــذه القوة بالسنوسيين بين ١٣ و ٢٥ كانون الاول قرب مرسى مطروح وارغمتهم على التراجع . وانسحب السنوسيون الى هزالين الواقعة ٢٥ ميلاً جنوب غربي مرسى مطروح. وفي ٢٣ كانون الثاني ١٩١٦ حدث اشتباك غير حاسم في هزالين بين قوة والس المؤلفة من جحفـــل لواء مشاة وكتيبة خيالة والسنوسيين ، وقد انسحب السنوسيون محتفظين بقواتهم دون خسائر

كبيرة . وبالنظر لتفاقم الخطر السنوسي وتهديده لوادي النيل في ظروف حرجة بالنسبة للبريطانيين ، قررت القيادة البريطانية انزال ضربة قاصمة بالسنوسيين ، فحشدت قوة مؤلفة من جحفل لواء مشاة وكتيبة خيالة وبعض المدرعات واشتبكت هذه القوة بالسنوسيين يوم ٢٦ شباط ١٩١٦ في العجاجية الكائنة على مسافة ١٤ ميلا جنوب غربي سيدي براني وكبدتهم خسائر فادحة وقد جرح قائدهم جعفر باشا العسكري وسقط أسيراً بايدي البريطانيين واستولى البريطانيون يوم ٢٧ شباط على سيدي براني وفي ١٤ آذار تم لهم الاستيلاء على السلوم ، وقد تم التخلص من خطر السنوسيين نهائياً في شباط ١٩١٧ بالاستيلاء على واحة سيوة. والملاحظ ان الغلطة الكبيرة التي ارتكبها السنوسيون كانت محاولتهم القتال كقوة نظامية اراء عدو متفوق وتخليهم عن أساليب القتال كقوة غير نظامية تعتمد على تطبيق أساليب حرب الانصار التي تكسبهم المبادأة بالاستفادة من سرعة حركتهم ، وقد أدى ذلك الى نجاح عدوهم في القضاء عليهم .

الموقف في اواخر سنة ١٩١٥ :

لم يكن الموقف الحربي بالنسبة للبريطانيين وحلفائهم – بقدر ما يتعلق بهذه الدراسة – مشجعاً في أواخر سنة ١٩١٥ . ففي الدردنيل اضطروا الى الانسحاب بعد معاناة خسائر فادحة ، وانزل بهم الاتراك ضربة قللت كثيراً من مكانتهم . وفي العراق هزم الجنرال طاونسند في معركة سلمان باك في تشرين الثاني ١٩١٥ واضطر لقبول الحصار في الكوت في كانون الاول وأخذ البريطانيون يحشدون قوات كبيرة من جبهات الحرب الاخرى لانقاذه . أما في مصر فقد كان الموقف ينذر بالخطر لتوارد معلومات عن حشد الاتراك لقطعاتهم المنتصرة في غاليبولي بجبهة بئر السبع استعداداً لتعرض جديد على قناة السويس . وكان السنوسيون في أوج نشاطهم في الصحراء الغربية ، وكان علي دينار سلطان دارفور في جنوبي السودان نشطا أيضاً حيث أغار على كوردوفان في السودان . ولذا كانت مصر مهددة من كل جانب . وفي شهر

تشرين الثاني ١٩١٥ زار الجنرال اللورد كتشنر وزير الحرب البريطاني مصر وقرر تغيير خطة الدفاع البريطاني عن قناة السويس تغييراً جذرياً فبدلاً من السماح للعدو بالاقتراب من القناة كانت الخطة الجديدة تستهدف مقاتلته بالصحراء على بعد يمنع تأثير مدفعيته البعيدة المدى بنيرانها على القنال . وقد أسس لهذا الغرض خطاً من المواقع المستحكمة على بعد ٨-١٠ أميال شرقي القناة وتطلب هذا تعبيد الطرق ومد السكة الحديد وخط أنابيب مياه في الصحراء، واستنزف ذلك كثيراً من الجهد والمال وأدى الى استخدام أعداد كبيرة من العمال .

الموقف في سنة ١٩١٦

بدأت سنة ١٩١٦ بموفقية للبريطانيين حيث تمكنوا من السيطرة على منطقة الصحراء الغربية والتخلص من خطر السنوسيين كما مرّ ذكره . بالاضافة لذلك فقد قام الروس بهجوم عام في القفقاس في كانون الثاني ١٩١٦ اضطر الاتراك لسحب قطعاتهم من جبهة فلسطين وغيرها الى جبهة القفقاس لصد هذا الخطر، ونزل عدد من القطعات التركية في جبهة فلسطين الى ٦٠,٠٠٠ أما البريطانيون فقد انشغلوا في أوائل سنة ١٩١٦ بمعارك ضارية في العراق محاولين انقاذ الجنرال طاونسند المحصور في الكوت وهي المعارك التي عرفت باسم (معارك الانقاذ) والتي انتهت في أواخر شهر نيسان عندما استسلم طاونسند للاتراك. وقام البريطانيون باعادة تنظيم قواتهم المنسحبة من الدردنيل في مصر وأصبح عدد القوات الموجودة فيها ١٢ فرقة مشاة وعدداً من ألوية المشاة المستقلة وألوية الخيالة المستقلة وبلغ مجموع هذه القوة التي اعتبرت الاحتياط السوقي للامبراطورية حوالي ٤٠٠,٠٠٠ محارب .

وفي شباط ١٩١٦ زار وكيل القائد العام التركي أنور باشا جبهة فلسطين لدراسة موضوع القيام بحركة أخرى نحو قناة السويس لتثبيت اكبر عدد ممكن من القوات البريطانية في مصر ومنع البريطانيين من الاستفادة من هذا الاحتياط السوقي الهائل . وكان موقف القوات التركية كما يلي :

١ - في سيناء - قوة الصحراء بقيادة فون كريس بقوة ٣,٠٠٠ محارب.

٢ – في فلسطين – الفيلق الثامن ومقره في القـــدس وتبلغ قوته ٢٠,٠٠٠ محارب .

٣ – في سورية – مقر الجيش الرابع وقيادة الفيلق الثـــاني عشر وبأمرته ٣٠,٠٠٠ محارب لحماية السواحل ضد الانزال البريطاني المحتمل في الموانىء السورية والفلسطينية، فقد كان هناك خطر كبير يهدد منطقة الاسكندرونة الحيوية حيث وردت معلومات عن احتمال قيام الحلفاء بانزال بحري فيها لعزل جبهتي العراق وفلسطين .

٤ – وصـــل في نيسان ١٩١٦ سرب من القوة الجوية الالمانيـــة أمن التفوق الجوي للاتراك . ووصلت أيضاً مدفعية ثقيلة نمسوية (بطريتان) لتعزيز المدفعية التركية .

خطة الدفاع البريطانية الجديدة

سبق ذكر زيارة اللورد كتشنر لمصر في شهر تشرين الثاني ١٩١٥ وانتقاده لخطة الدفاع المستكن غربي القناة وقد بيّن كتشنر أن صحراء سيناء وان كانت مانعاً عظيماً يصعب اجتيازه فانها تستر بنفس الوقت تنقـــلات العدو وحركاته . وأوفد كتشنر في كانون الاول ١٩١٥ الجـنرال هورن لانتخاب خط دفاع جديد . وقد تم اختيار خط الدفاع الرئيسي شرقي القناة ويبلـغ معدل بعده عنها ١١,٠٠٠ يارد تقريباً لتصبح القناة خارج مدى المدفعية الثقيلة التي كانت متيسرة في تلك الفترة . وتم انتخاب خط ثان خلف هذا الخط وفي منتصف المسافة بينه وبين القناة واخـــيراً أقيم خط ثالث من رؤوس الجسور المحصنة على الضفة الشرقية من القناة . وتطلب انشاء هـــذه الخطوط جهوداً كبيرة وقلب خط السكة الحديد المؤدي الى القناة الى خط مزدوج ومدت خطوط السكة الخفيفة في الصحراء شرقي القنـــاة وعبدت الطرق ومدت الانابيب لتأسيس تسع نقاط ماء وحفرت خطوط طويـــلة من الخنادق وتم اكساؤها لمنع انهيار الرمال فيها . ولتأمين هـــذه الاعمال شكل صنف

جديد وهو (فيلق العمال المصريين) جمـــع من المصريين مدنيين وعسكريين وأخذت وحدات هذا التشكيل تزداد كلما طالت فترة الحرب . كلف خط الدفاع البريطاني الجديد أموالاً طائلة زادت على ستة ملايين جنيه استرليني ، ولدى درس القوة المطلوبة لاشغاله تبين انها يجب ان تكون كبيرة جداً فقد قدرت هيأة الاركان العامة بوزارة الحرب البريطانية القوة المطلوبة للدفاع عن مصر في أواخر عام ١٩١٦ بست فرق مشاة وخمسة ألوية خيالة لجبهة سيناء. وقوة تتألف من لوائي مشاة ولوائي خيالة للصحراء الغربية . وبالاضافة لذلك يتطلب للامن الداخلي ١٥ فوج مشاة ولواء خيالة ، وعنـــد الانسحاب من الدردنيل وورود الانباء باحتمال حشد الاتراك ٢٥٠٫٠٠٠ محارب في جبهة فلسطين طلب الجنرال ماكسويل اثنتي عشرة فرقة للدفاع عن مصر .

اعادة تنظيم القيادة البريطانية في مصر :

كانت منظومة القيادة البريطانية في مصر في أوائـــل سنة ١٩١٦ معقدة جداً فقد كان فيها ثلاث قيادات مختلفة وهي :

١ – قيادة حملة البحر الابيض المتوسط ويرأسها الجنرال آرشيبالد موراي وتضم القوات المنسحبة من غاليبولي وقد كلفت بواجب الدفـــاع عن القناة وفتح مقرها في الاسماعيلية .

٢ – قيادة مصر – وعلى رأسها الجنرال جون ماكسويل المسؤول عن القوات المرابطة في مصر والصحراء الغربية والسودان وكل مـــا يتعلق بالامن الداخلي .

٣ – قيادة السواحل الشرقية ويرأسها الجنرال اولتم وترتبط بوزارة الحرب بصورة مباشرة وتدير الشؤون الادارية لساحات الحركات في الدردنيل وسلانيك ومصر .

وفي ١٩ آذار ١٩١٦ صدرت الاوامر بانهاء هذا الوضع الشاذ فتوحدت

القيادات بقيادة واحدة أطلق عليها اسم (قيادة الحملة المصرية) وعهد بها الى الجنرال موراي وسحب الجنرال ماكسويل الى انكلترة .

تقدير الجنرال موراي للموقف :

قدر الجنرال موراي الموقف بعد استلامه القيادة العامة للحملة المصرية ورفع بنتيجة دراساته خطة مقترحة لوزارة الحرب البريطانية وتلخص هذه الخطة بما يلي :

١ – أن أشغال خط الدفاع الطويل الحالي الموازي للقناة معناه قبول الدفاع المستكن والتخلي عن المبادأة وهو أمر لا تقره مبادىء الحرب السليمة.

٢ – ان احتلال خط الدفاع الطويل الحالي يتطلب قوة كبيرة على حساب جبهات الحرب الخطيرة الاخرى اذ ان طوله يزيد على ٨٠ ميلاً ويتطلب لاشغاله ما لا يقل عن ١١ فرقة مشاة . والاجراء الاصح هو تقصير هذا الخط بالاندفاع للامام واحتلال خط أقصر منه بكثير في منطقة القصيمة – العريش حيث تتم السيطرة على منابع المياه والمسالك التقربية نحو القناة ، ويتم هذا بتحصين منطقة القاطية – الروماني واشغالها بفرقة مشاة يعززها رتل سيار من الخيالة .

٣ – إن مزايا منطقة الروماني هي كونها موضعاً جنبياً يهدد جناح القوات التركية في حالة زحفها نحو القناة وقربها من القنطرة حيث لا تبعد عنها أكثر من مرحلتين وتتوفر فيها مياه تكفي لاسقاء ٤٠,٠٠٠ شخص وبساتين وأحراش تفيد للرعي والاختفاء كما يمكن الاستفادة منها كقاعدة وثوب فيما اذا تقرر التقدم نحو فلسطين في المستقبل . وقدر الجنرال موراي القوة اللازمة للدفاع عن مصر من الشرق بخمس فرق مشاة وأربعة ألوية خيالة . وبالنظر لما أبداه موراي من آراء سديدة وافقت وزارة الحرب على مقترحاته وقبلتها ، وبذا أمكن توفير ست فرق والاستفادة منها في جبهات الحرب الاخرى وأصبحت قوة

البريطانيين في مصر في آذار ١٩١٦ سبع فرق فقط . وفي عمل الجنرال موراي مثال واضح للفرق بين النظرة السوقية الصائبة والمغلوطة .

شرع الجنرال موراي باتخـــاذ الاجراءات اللازمة لوضع خطته موضع التنفيذ فقام بما يلي :

١ – الشروع بمد سكة حديد عريضة الى منطقة القاطية التي تبعد ٢٥ ميلاً شرقي قناة السويس وتقع في النهاية الغربية لسلسلة من الواحات تمتد نحو ١٥ ميلاً الى بئر العبد ، وتتوفر في منطقة القاطية مياه غزيرة ضاربة للملوحة وهي المنطقة الوحيدة التي تقع ضمن المسافة الضاربة من القناة التي يستطيع العدو حشد قوة كبيرة فيها لمدة طويلة . وقـــد شرع البريطانيون بمد السكة في أواخر شباط ١٩١٦ .

٢ – تنظيم نقلية جمال تكفي لفرقة مشاة ولواء خيالة وهي القوة التي سترابط في الموضع الامامي بمنطقة القاطية – الروماني .

٣ – قيام القطعات الراكبة باستطلاعات تمهيدية في مناطق الواحات وتخريب مؤسسات الماء التركية وقد شرع بهذه الاعمال منذ نيسان ١٩١٦ .

مناوشات في صحراء سيناء

بدأت القيادة البريطانية المناوشات في صحراء سيناء بايفادها رتلاً سريعاً بقوة كتيبة خيالة ومفرزة هندسة ومفرزة هجانة في غارة تستهدف تدمير نقطة ماء تركية في الجفجـــافة لمنع الاتراك من الاستفادة منها في حركات تعرضية مقبـــلة نحو القناة . وقد تحرك الرتـــل في ١٣ نيسان من جوار الاسماعيلية الى الجفجافة التي تبعد عنها ٥٢ ميلاً ، وقام بغارة موفقة قضى بها على الحامية التركية قضاء تاماً ، فقتل ١٦ من المدافعين وأسر الباقون وهم آمر الموقع (ضابط نمساوي) و ٣٣ جنديا ودمر المعسكر التركي ومضخة الماء والانابيب . ولم يفقد الرتل المغير سوى قتيل واحـــد وقد قطع الرتل ١٢٠ ميلاً في ثلاثة أيام ونصف .

عززت القيادة التركية جبهة فلسطين بالفرقة الثالثة للتعويض عن الفرقتين الثامنة والعاشرة المسحوبتين منهـــا ، وصلت هذه الفرقة الى بئر السبع في شباط ١٩١٦. وقررت القيادة العامة الالمانية تأليف جحافل صغيرة وارسالها الى جبهات الجيش التركي لتعزيزها وأطلق على كل منها اسم (جحفل باشا) وكان كل منها مؤلفاً من فوج مشاة ، بطرية مدفعية ، سرية خيالة ، مفارز فنية ، وتبلغ قوة الجحفل ١٧٠٠ محارب وقد وصل أول هذه الجحافل الى جبهة فلسطين في نيسان ١٩١٦ .

تحرك فون كريس في أواسط شهر نيسان على رأس قوة مؤلفة من فوجي مشاة وسرية خيالة وبطرية جبلية ذات ستة مدافـــع ويبلغ مجموعها حوالي ٣٥٠٠ محارب لازعاج البريطانيين وتدمير ما أقاموه من منشآت وقد تحركت القوة على الطريق الشمالي وكانت الخيالة البريطانية موزعة بمواقع سرايا لستر هذه المنطقة . وانقضت قـوة فون كريس فجر يوم ٢٣ نيسان على موقع تشغله سريتا خيالة في اغرنتينة (٤ أميـــال شرقي القاطية) لستر مفرزة هندسة كانت تعمل في حفر الآبار وقد نجح فون كريس في القضاء على السريتين ثم تقـدم في ٢٤ نيسان نحو القاطية حيث كانت فيهـا سريتا خيالة نجح في تدميرها أيضاً والاستيلاء على القاطيـــة . واثر ذلك أصدرت القيادة البريطانية أوامرها الى لواء الخيالة الخامس الذي كان مسؤولاً عن ستر منطقة « القاطية – الروماني » والذي اشتبكت سراياه في المعارك السابقة مـع قوة فون كريس بأن ينسحب نحو القناة . وتقدمت القوة التركية الى الدويدار ٦٢ ميلاً عن القنطرة لمهاجمتهـا ، وكانت هـذه المنطقة مشغولة بمشاة بريطانيين في مواضع حصينة وفشلت محاولات الاتراك في الاستيلاء عليهـــا طيلة يوم ٢٥ نيسان واضطروا الى الانسحاب تاركين ٧٠ شهيداً و ١٢٥ أسيراً ونجحت القوة التركية في التملص بحذق من الخيالة البريطانيـة واستمرت بانسحابها الى العريش حيث استقرت فيها وفي ٢٥ نيسان أعاد البريطانيون احتلال القاطية والروماني واستأنفوا اعمالهم فيها . وفي أواسط أيار وصلت السكة الحديـد

الى الروماني واعد موضع دفاعي حصين فيها أشغلته الفرقة٥٢ . وفي حزيران تم تخفيض القوات البريطانية المرابطة في مصر الى أربع فرق . ومدت سكة حديد خفيفة بمقياس قدمين ونصف قدم من بورسعيد الى المحمدية في اوائل شهر حزيران ، واتصلت هذه السكة بالخط العريض الذي كان قد وصل الروماني وبذا تم تأسيس مواصلات ممتازة مع المواضع . وفي اواخر شهر حزيران شرع بمد السكة نحو القاطية .

الثورة العربية

كانت الحكومة البريطانية تحسب حساباً كبيراً للدعوة الى جهاد اسلامي مقدس في حالة نشوب حرب عالمية ، وذلك لما ستثيره هذه الدعوة ضدها من شعور عدائي بين رعاياها المسلمين في البلاد التي اغتصبتها ، كالهند والخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ومصر وغيرها ، ولذا عقد البريطانيون العزم على محاربة دعوة الجهاد هذه التي سيعلنها خليفة المسلمين عن طريق كسب العرب الى جانبهم بشتى الحيل والالاعيب واستهدفت محاولتهم بصورة خاصة سكان الديار المقدسة في الحجاز ، وقد واتتهم الفرصة عندما القى العثمانيون القبض على الشريف محمد بن عون شريف مكة الذي عينه محمد علي باشا والي مصر للشرافة في سنة ١٨٢٧ ونفوه مع افراد عائلته الى استانبول . وقد استغلت الاستخبارات البريطانية الفرصة واتصلت بحفيده الحسين بن علي الذي تعهد لها بالتعاون مع الحكومة البريطانية باخلاص اذا ما عملت على نصبه شريفاً لمكة المكرمة . واستعملت بريطانيا نفوذها الهائل لدى الباب العالي واستغلت إعلان المشروطية في سنة ١٩٠٨ لارغام السلطان عبد الحميد الذي لم يكن في وضع يساعده على مقاومة الرغبة في تعيين الحسين بن علي شريفاً لمكة المكرمة وقامت بعد ذلك مدمرة بريطانية بنقله مع ذويه الى جدة تأكيداً لفضل بريطانية عليه . واستمرت اتصالات الشريف حسين مع السلطات البريطانية في مصر طيلة السنوات التي سبقت الحرب وكان قطب الرحى فيها ولده الامير عبدالله (أمير شرقي الاردن فيما بعد) ، وكان

الشريف حسين يعمل طيلة هـذه الفترة على إضعاف نفوذ الاتراك في الحجاز ويعد العدة سراً للانقضاض عليهم عند تلقي الاشارة من البريطانيين . وكان البريطانيون يدركون الشعور القومي العربي المتدفق في جميع المنطقة وما سببته السياسة الطورانية الطائشة التي سار عليها الاتحاديون من نفرة العرب واشمئزازهم . وكان العرب في هذه المنطقة في الواقع منقسمين الى فريقين يرى الاول منها وجوب استغلال محنة تركيا ، والعمل على التفاهم مع أعدائها لكسب حقوق العرب المشروعة في توحيد بلادهم وضمان حريتها والعمل على إعادة سابق مجدها . أما الفريق الثاني فيرى ان الاخوة الاسلامية تستوجب وقوف العرب الى جانب العثمانيين في ساعة محنتهم ، وان أطماع أعداء تركيا ولا سيما البريطانيين والفرنسيين منهم في بلاد العرب واضحة ، وان هؤلاء قوم لا يوثق بهم وأن هدفهم هو استغلال العرب ، ومتى ما تم لهم كسب الحرب فسيتقاسمون البلاد العربية وينشئون وطناً قومياً لليهود، وأن لهذه الدول تاريخاً استعمارياً شائناً لا يمكن انكاره، وكان على رأس هذا الفريق البطل العربي المشهور الفريق عزيز علي المصري والامير شكيب ارسلان .

ولذا عمل البريطانيون بواسطة جواسيسهم لترجيح كفة الفريق الاول بضم الشريف (الحسين بن علي) حفيد الرسول الاعظم (ﷺ) اليه مستغلين بساطته وطموح أولاده وسياسة البطش التي اتبعها جمال السفاح ازاء العرب . وقد اتصل الحسين بن علي بالجمعيتين العربيتين السريتين العاملتين في سبيل تحرير العرب ، وهما جمعية العهد وجمعية (العربية الفتاة) بواسطة ولده فيصل ، وقد قبل أعضاء الجمعيتين موالاة الشريف حسين واعتباره زعيماً للعرب اذا ما حصل على حقوق العرب القومية وأعقب هذه الصفحة تبادل المراسلات الشهيرة باسم مراسلات « الحسين — مكماهون » خلال الفترة الواقعة بين تموز ١٩١٥ — حزيران ١٩١٦ .. والتعهدات البريطانية هذه كلها منمقة وغير واضحة ، وتنطوي على ألقاب فخمة وكلمات مطنطنة بالرغم من الحاح الحسين

على الحصول على اعتراف بريطاني قاطع بحقوق العرب المشروعة . وكان البريطانيون يقومون بهذه الالاعيب مع الحسين على حساب العرب بينما عقدوا في حزيران ١٩١٥ معاهدة (سايكس - بيكو) مع فرنسا لاقتسام البلاد العربية معها ، وكانت في نفس الوقت مفاوضاتهم مع الصهاينة مستمرة بنشاط وهي المفاوضات التي تمخضت عن وعد بلفور المشؤوم في تشرين الثاني ١٩١٧ ..

وكان للاتراك عند اعلان الحرب فرقة مستقلة وهي الفرقة ٢٢ في الحجـــاز بقيادة الزعيم الركن وهيب بـــك الذي كان يشغل في نفس الوقت منصب ولاية الحجاز وكانت الحكومة التركية تتوجس خيفة من الشريف حسين وقد تلقت بعض التقارير عن اتصالاته بالبريطانيين في مصر ، وكانت العلاقات بينه وبين وهيب بك على غير ما يرام ، ولذا قررت عند اعلان الحرب وصدور نداء الخليفة بالجهاد المقدس ان تطلب الى الحسين الاشتراك مع الفرقة التركية المرابطة بالحجاز والانضمام للقوات الزاحفة نحو قنـــاة السويس . وصدرت الاوامر لقائد الفرقة بترك لواء من فرقته في الحجاز والتحشد بباقي الفرقة في معان وأخبرت القيادة التركية الشريف حسين برغبتها في اناطة قيادة الحملة به الا أنه تملص من ذلك بدعوى أن من الاصلح بقاءه في مكة المكرمة للدفاع عن الحجاز وأن ولده الامير علي سينوب عنه وأنـــه سيضع بأمرته عدداً كبيراً من المجاهدين وغادرت القوة التركية والمجاهدون مكة المكرمـــة في أواخر كانون الاول ١٩١٥ وبعد الوصول الى المدينة المنورة قال الامير علي انه سيمكث فيها مع المجاهدين للدفاع عنها ، ولم تحاول القيـــادة التركية ارغامه تجنباً للاحتكاك المباشر ، وسارت القوات التركية وحدها الى معان . وبذا تم للشريف حسين التخلص من معظم القوات التركية النظامية وتوطيد أقدامه في مكة والمدينة . وقد سبق بيان الدور الذي قامت به فرقة الحجاز في الحملة على قناة السويس وتأخرها عن الاشتراك في هجوم الفيلق الثامن في حينه . ويناقش كثير من المؤرخين العسكريين الاتراك بمرارة الخطـــأ الذي ارتكبته القيادة العامة التركية بتركها حاميات تركية مبعثرة تزيد قوتها على

الفيلقين موزعة في بلاد العرب في الحجاز واليمن وعسير ، ويرون ان الخطة الصائبة كانت تتطلب حشد هذه القوة في سورية اذ أن بعثرتها بهذا الشكل مخالف لمبدأي التحشد والاقتصاد في القوة ، اذ أنها أضعف من أن تصد الغزو الاجنبي وأكبر من أن يستغنى عنها في جبهات الحرب الاخرى ، وأن كسب الحرب كان سيبقي البلاد العربية في قبضة العثمانيين دون شك أما الهزيمة فلن تبقي للعثمانيين شيئاً وضمن ذلك بلاد العرب . ويرى هؤلاء المؤرخون أن استمرار الاتراك في المحافظة على المدينـة المنورة والدفاع عن خط المواصلات الطويل اليها سبب لهم خسائر كانوا في غنى عنها .

أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك في مكة المكرمة يوم ٥ حزيران ١٩١٦ المصادف ٩ شعبان ١٣٣٤ وتدفق الذهب البريطاني والسلاح لمساعدته ، وقامت القيادة البريطانيـة بسوق اسرى الحرب العرب الموجودين لديها من مختلف الرتب للانضمام الى القوات الشريفية التي عرفت باسم الجيش العربي ، ورفعت شعار العمل في سبيل تحرير العرب والبلاد العربيـة وتم القضاء على حامية مكة التركية في أواسط تموز وتطهير ميناء جـدة من الاتراك في ١٢ حزيران . أما حامية الطائف التركية فقد قاومت بشدة ولم تستسلم الا بعد أن نفدت أرزاقهم وعتادها حيث تم للقوات العربية الاستيلاء على الطائف في ٢٢ أيلول ١٩١٦ ، أما حامية المدينة المنورة التي كانت بقيادة فخر الدين باشا فقد صمدت وكانت تتلقى التقويات بواسطة سكة حـديد الحجاز التي تربطها بدمشق .

تولى جعفر باشا العسكري العراقي قيادة القوات العربية بعد استقالة الفريق عزيز علي باشا المصري الذي شغل المنصب لبضعـة أيام ثم استقال منه بسبب رفضه الانصياع لاوامر البريطانيين الموجهين للحملة العربية ، وكانت قيـادة الحملة تزخر بهم ومن ضمنهم الجاسوس البريطاني المشهور لورنس وغيره من أمثال ستورز وويندغيت وكورنواليس . وباشراف لورنس تحـددت واجبات القوة العربية ، وهي بث روح الثورة والتذمر في كل البلاد العربية وعلى الأخص بين

العشائر الموجودة في المنطقة الممتدة من الحجاز الى دمشق ، والقيام بالغارات المستمرة على خطوط المواصلات التركية، ولا سيما سكة حديد الحجاز . وعلى هذا الاساس توجهت قوات فيصل نحو« الوجه» الواقعة على البحر الاحمر ٢٥٠ ميلاً شمالي المدينة المنورة واحتلتها في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٧ بالتعاون مع البريطانيين الذين اشتركوا في العملية بمدافع اسطولهم وبما أنزلوه على الساحل من جنود مصريين وسودانيين . وأخذت قوات فيصل بعد ذلك تهدد خطوط مواصلات حامية المدينة التركية من موضعها الجنبي هذا واضطرت الاتراك الى استخدام قوات كبيرة كانوا بأمس الحاجة اليها في واجب حماية خطوط المواصلات . وفي ٦ تموز ١٩١٧ استطاعت قوات فيصل بالتعاون مع البحرية البريطانية أن تحتل العقبة وتؤسس قاعدة فيها . وسنتطرق فيما بعد الى الدور الذي لعبته القوات العربية في المعارك المختلفة عند بيانها . واجمالاً يمكن تلخيص الدور الذي لعبته في القتال الدائر بجبهة فلسطين بما يلي :

١ – حماية الجناح البريطاني الأيمن .

٢ – استنزاف قوات تركية كبيرة (حوالي ١١،٠٠٠) لحماية سكة حديد الحجاز وخط المواصلات مع المدينة المنورة وارهاق وسائط النقل كالشاحنات وغيرها التي كان الاتراك يعانون نقصاً كبيراً فيها .

٣ – القضاء على أسطورة الجهاد المقدس بجعل المسلم يقاتل أخاه المسلم وشل الدعاية الالمانية حول الموضوع في البلاد الاسلامية كايران والافغان والهند.

٤ – منع الالمان من تأسيس قاعدة غواصات في البحر الاحمر .

٥ – منع الاتراك من استخدام نقلية السفن في البحر الميت .

معركة الروماني

الخريطة رقم (٢)

قررت القيادة العامة التركية تحت ضغط القيادة العامة الالمانية القيام مجدداً بزحف ثان نحو القناة وكان هدف الحركة في هذه المرة الوصول الى موضع

ضمن مدى المدافع من القناة والتخندق فيه ليمكن منه سد القناة واعاقة سير السابلة فيها بتأثير نيران المدافع. وأخذ فون كريس بعد انسحابه الى العريش يعد العدة لذلك ، وكان يرى وجوب انتظار موسم الامطار للقيام بالعملية الا أن إصرار القيادة العامة أرغمه على الشروع في شهر تموز بأوج الحر بحجة قلة القوات البريطانية في مصر في تلك الفترة . وقد تألفت الحملة التركية على الوجه التالي :

سرية خيالة .

الفرقة ٣ وهي فرقة اناضولية نقلت من الدردنيل .

جحفل الباشا الاول (تشكيل الماني يعادل جحفل فوج وتبلغ قوته ١٬٧٠٠ محارب) .

مدفعية ثقيلة نمسوية .

سرب طائرات .

وبلغ مجموع القوة ١٦٬٠٠٠ محارب و ٣٠ مدفعاً و٣٨ رشاشة متوسطة ، وتعتبر هذه القوة متفوقة جداً بتدريبها وتجهيزها على القوة التي قامت بالزحف الاول في شتاء ١٩١٥ كما أنها كانت اكثر منها عدداً . وقد تحركت القوة معقبة الطريق الشمالي لشبه جزيرة سيناء بثلاث قدمات وبمسير ليلي لتجنب الحر وتقليل استهلاك الماء وتأمين الاختفاء .. ووصلت القوة «اغرنتينة» يوم ٢٩ تموز واستخبرت القيادة العامة البريطانية بذلك .

التدابير البريطانية

استمر البريطانيون بعد انسحاب فون كريس على تنفيذ خطتهم في اعداد موضع الروماني وما يلزمه من خطوط مواصلات ومنشآت ادارية ، وانصرفوا الى رفع مستوى تدريب قطعاتهم بتعويدها على تحمل العطش والمسيرات الطويلة في المناطق الرملية الصعبة. وقد دربت الخيالة خيلها على قطع مسافات طويلة دون سقي لمدة ٢٤ ساعة ، وقد وصلت سكة الحديد ذات المقياس

العريض الى الروماني من القنطرة في أواسط شهر أيار ، وتم ربط خط سكة خفيف بين المحمدية الكائنة على الساحل شمال الروماني وبور سعيد في شهر حزيران .

وقد أعد البريطانيون موضعهم الدفاعي في الروماني بشكل قوس يبدأ من المحمدية على شاطىء البحر الأبيض المتوسط معقباً خطاً من التلال الرملية يتجه نحو الجنوب والغرب لمسافة ستة أو سبعة أميال . وقد أقيم في الخط ١٨ معقلاً أعد كل منها لسرية مشاة وكان المنتهى الغربي لبحيرة البردويل الكبرى يستر الجناح الشمالي للموضع ، أما الجناح الجنوبي فيستند الى تل رملي عال وبارز يؤلف بداية حافة مرتفعة لهضبة رملية تمتد عليها السكة الحديد وتوجد الى الجنوب من حافة الهضبة تلال رملية منفردة يبلغ ارتفاعها نحو ٢٢٥ قدماً وقد ربطت هذه بخنادق تمتد الى الهضبة . اشغل البريطانيون موضع الروماني بالفرقة ٥٢ يعززها لواء واحد من الفرقة ٥٣ وفي يوم ٢٤ تموز ألحقت الفرقة ٤٢ أيضاً بقيادة القاطع ووزعت ألويتها طوار السكة الحديد بين محطة جلبان والقنطرة ، وكان مقر القاطع الدفاعي المسؤول عن كل القوة في القنطرة على بعد ٢٥ ميلاً من الروماني. وخصص لنقلية القوة ١٠٫٥٠٠ جمل لتأمين قابلية الحركة ووزعت خمسة ألوية خيالة في جبهة القاطع والى جنوبه لمراقبة قوات العدو .

تطور الحركات

وصل الاتراك يوم ٢٤ تموز الى ضمن عشرة أميال من موضع الروماني ووقفوا هناك وتخندقوا لمدة عشرة أيام دون أن يبدوا أية حركة تاركين البريطانيين في حيرة من أمرهم إذ كانوا يتصورون قيام الاتراك باحاطة جناحهم الأيمن وأعدوا العدة للقيام بهجوم مقابل لتطويقهم وابادتهم وقرر القائد العام الجنرال موراي مهاجمة الاتراك يوم ٣ آب اذا بقوا في مواضعهم . وفي مساء يوم ٣ آب عقبت القوات التركية لواء الخيالة الاسترالية الثاني عند انسحابه من خط المراقبة أمام الجبهة ، مستهدفة

الاستيلاء على حافة الهضبة خلف الجناح البريطاني الايمن بهجوم ليلي . وبالرغم من نجاح الاتراك في دفع الستارات البريطانية الى الخلف في فجر ٤ آب الا أنهم رغم مساعيهم المتكررة لم يفلحوا في الاستيلاءعلى حافة الهضبة . وقامت الخيالة البريطانية الموفدة لتعزيز الموضع من التل ٧٠ بمهاجمة الجناح التركي الايسر . وتوقفت القوات التركية عصر يوم ٤ آب في التلال الرملية التي تصعب الحركة فيها دون أن تؤثر على الموضع البريطاني الأصلي ، واقتصر عملها على الاشتباك بالخيالة البريطانية فقط . وكانت لدى قائد القاطع البريطاني فرقتا مشاة ولواءا خيالة وهي جاهزة للعمل والانقضاض على الاتراك وتدميرهم ، الا أن آمال البريطانيين خابت فلم تستطع القطعات الراكبة التقدم بسرعة كافية في الرمال العميقة وتأخر وصول الفرقة ٤٢ ولم يعتبر قائد الفرقة الثانية والخمسين الموقف واضحاً بشكل يبرر القيام بهجوم مقابل . واستطاع فون كريس سحب قواته بمهارة ليلة ٤ ‎ ٥ آب واستطاعت مؤخرته التي قاتلت بجرأة وحذق في الايام ٥ و ٦ و ٧ آب ايقاف الخيالة البريطانية ثم صدت هجوم فرقة خيالة الانزاك[1] البريطانية يوم ٩ آب في بئر العبد ، وتذكر المصادر التركية أنها خسرت في هذه العملية ثلاثة أفواج مشاة وسريتي رشاشات متوسطة وبطرية مدفعية وسرية هندسة أي حوالي ٣٠٠٠ بين شهيد وأسير وأربعة مدافع . أما البريطانيون فبلغت خسائرهم ١١٠٠ قتيل معظمهم من الخيالة .

تحليل المعركة

من الدروس البارزة في هذه المعركة ضياع المباغتة من الجانب التركي فقد كانت حركتهم مكشوفة ومتوقعة وأدى توقف فون كريس لمدة عشرة

---

(١) الانزاك اسم اطلقه تأريخ الحرب الرسمي البريطاني على فرقة خيالة مؤلفة من الاستراليين والنيوزيلانديين والحروف المختصرة هي :

A. N. Z. A. C. للدلالة على

AUSTRALIAN And NEW ZEALAND ARMY CORPS

أيام أي من ٢٤ تموز الى ٣ آب الى تهيؤ البريطانيين لمقابلته تهيؤاً كاملا ، وتعزو المصادر التركية سبب التوقف الى انتظار اكمال تحشد القطعات ووصول المدفعية الثقيلة ولا يسع المرء الا التساؤل عن الحكمة من التقدم للامام قبل اكمال تحشد القطعات وعن المصير المفجع الذي كان ينتظر الاتراك فيما لو كان البريطانيون أكثر إقداما ، أو كانوا شرعوا بمهاجمة المواضع التركية قبل أكمال تحشد الاتراك ، لا سيا وان البريطانيين كانوا متفوقين عدداً بنسبة تزيد على الضعف . وبعد شروع الاتراك في التقدم وتوقفهم أمام الجناح الايمن البريطاني أضاع البريطانيون فرصة ثمينة كان بوسعهم لو أحسنوا استغلالها ابادة القوة التركية ، وقد كان السبب الرئيسي لضياعها تردد قادتهم وعدم سيطرة آمر القاطع الذي كان يقبع على بعد ٢٥ ميلا عن ساحة المعركة بمقره في القنطرة دون أن يكون على تماس بالموقف وتطوراته كما تقضي الاصول ، ولذا استقل كل تشكيل بعمله حسب توجيه آمره دون تنسيق أو توجيه من جراء فقدان السيطرة المركزية على كافة القطعات الموجودة في الموضع ، وبالرغم من أن الخيالة البريطانية قامت بعمل باهر في المعركة الدفاعية الا أنها فشلت في واجبها الاصلي وهو المطاردة ، فقد كانت بالرغم من كونها راكبة أبطأ من مشاة الاتراك واقتصر عملها على الاشتباك الجبهوي ولم تحاول تطويق الاتراك باحاطة أجنحتهم وقطع خط انسحابهم أو عزلهم عن موارد المياه ..

وأخيراً لا بد من القول بأن الاتراك مدينون في نجاحهم لصلابة جندي المشاة التركي وعزيمته فقد كان باسلا في الهجوم والانسحاب ، وكان في تنقله أسرع من الخيالة البريطانية ، وقد قامت مؤخرتهم بعمل باهر في سترها للانسحاب الذي كان من المحتمل أن يؤدي الى كارثة لولا قتال المؤخرة الناجح .

تطهير سيناء والتهيؤ لغزو فلسطين

بعد فشل الاتراك في معركة الروماني انتزع البريطانيون المبادأة منهم ، وبقوا محتفظين بها الى نهاية الحرب . وقد قررت القيادة البريطانية اثر الانسحاب التركي تطهير شبه جزيرة سيناء والتقدم نحو العريش لاحتلالها والصمود على خط « العريش – القصيمة » باعتباره اقوى خطوط الدفاع وأقصرها ولانه يسد المنافذ المؤدية الى مصر والى موارد المياه في سيناء . وكانت النظرة لهذا الموضوع دفاعية بحتة باعتبار العملية جزءاً جوهرياً من تدابير الدفاع عن مصر ولم ينظر لها كعملية ممهدة لغزو فلسطين . وفي شهر تشرين الاول اعاد البريطانيون تنظيم منظمة القيادة لتعقد الاعمال الادارية فسحب الجنرال موراي مقره من الاسماعيلية الى القاهرة للتفرغ لواجباته المتعددة التي كان من ضمنها الدفاع عن حدود مصر الغربية والامن الداخلي في مصر والسودان وادارة حركات القوة البريطانية المرابطة في سلانيك باليونان والتعاون مع الثورة العربية . ووضعت كافة القوات البريطانية المرابطة شرقي قناة السويس بامرة مقر أطلق عليه اسم (قيادة القوة الشرقية) وعين لقيادته الفريق السر جارلس دوبل .

وفي ٧ كانون الاول ١٩١٦ حدث تبديل وزاري في بريطانية حيث استقالت وزارة المستر اسكويث ، وعين المستر لويد جورج لرئاسة الوزارة، وكان لرئيس الوزراء الجديد – وهو معروف بميوله الصهيونية – رأي يختلف عن سلفه فقد كان يعتقد أن الحرب تكسب بتحطيم حلفاء ألمانية أولاً ومن الصواب عدم محاولة دحر الالمان بالجبهة الغربية بل دحرهم بصورة غير مباشرة كاخراج تركية من الحرب مثلاً بانزال ضربات قاصمة بها . ولذا تقرر الاستمرار بالتضييق على الاتراك في جبهتي العراق ، حيث شرع الجنرال مود بهدم جبهة الفلاحية وذلك بتطهير الضفة اليمنى من دجلة . وفي فلسطين ، وقد بين الجنرال موراي أنه يحتاج لاحتلال العريش والصمود فيها الى ابلاغ القوة الموجودة بامرته الى خمس فرق وأربعة ألوية خيالة، وكانت القوة المتيسرة

لديه أربع فرق وستة ألوية خيالة . وانصرف البريطانيون لاعمـــال ادارية واسعة تمهيداً لغزو فلسطين فقاموا بمد السكة الحديد ذات المقياس المريض (أربعة اقدام وثماني عقد) من الروماني شرقاً بمعدل ١٥ ميلاً شهرياً ووصلت السكة الى ٢٠ ميلا عن العريش في اوائل كانون الأول ١٩١٦ . ووصل خط أنابيب المياه بقطر ١٢ عقدة الى الروماني في منتصف شهر تشرين الثاني ومد منها باتجاه العريش ، وأنشئت منظمة اسالة مـاء تؤمن ٦٠٠,٠٠٠ غالون من مياه الشرب يوميا في رأس السكة ويوزع الماء منها بقوافل الجمال التي كان كل جمل منها يحمل فنطاسين سعة الواحد منها ١٢ غالون ونصف الغالون . ومدت الشبكات السلكية على الرمال لتأسيس شبكة من الطرق يسهل عليها نقل المدافع والعجلات. وبلغ عدد الجمال المستخدمة في القوة ٢٠,٠٠٠ جمل .

احتاجت هذه الاعمال الادارية الى عدد كبير من العمال والفنيين ، وقد استفادت القيادة البريطانية في مصر من ذلك حيث تعاونت معهـــا خدمات السكك الحديد المصرية ودوائر الأشغال المصرية وأرغمت السلطات البريطانية المستعمرة أكثر من ٥٠,٠٠٠ مصري على العمـــل في حرارة الصيف المحرقة والعطش الشديد أو في برد الشتاء القارص وتحت نيران العـــدو في كثير من الاحيان حيث كانوا يساقون الى وحـدات فيلق الفعلة من دوائر التجنيد المصرية التي كانت تجندهم اجبارياً وكانت كل هذه من العوامل التي سببت الثورة المصرية ضد البريطانيين في سنة ١٩١٩ ومما زاد الطين بلة ان الكثير من هؤلاء العمال المصريين المجندين أرسلوا الى جبهات بعيدة كفرنسة والعراق وغيرها . ومن المفيد المقارنة بين التدابير الادارية البريطانية في عبور سيناء والاعمال الادارية المرتجلة التي قام بها الاتراك لانجاز نفس العمل وهو عبور صحراء سيناء وتأثير ذلك على النجاح في كلتا الحالتين .

احتلال العريش (معركة المغضبة)

ادامت الخيالة البريطانية التماس بالقوات التركية منذ انسحابها من موضع الروماني وراقبتها مراقبة شديدة استمرت طيلة الاشهر التي كانت بها الاعمال

الادارية تتكامل . وكانت الاستطلاعات التي تقوم بهـــا القطعات الراكبة البريطانية تعهد في معظم الاحيان الى فرقة خيالة « الانزاك » المؤلفة من ثلاثة ألوية من الخيـــالة الاسترالية الخفيفة ولواء نيوزيلاندي من فرسان المشاة ، وكان هذا اللواء النيوزيلاندي في حقيقته لواء مشاة مدرب للتنقل على ظهور الخيل ، ويمكن اعتباره بداية لتطور فكرة ألوية المشاة الآلية التي ظهرت فيما بعد . وقد تشكلت هذه الفرقة ، التي قامت باعمال باهرة بحرب فلسطين فيما بعد، في شهر آذار ١٩١٦ وعهد بقيادتها للجنرال الاسترالي الخيال شوفل .

أيدت الخيـــالة البريطانية انسحاب الاتراك من بئر المزار يوم ١٧ ايلول ١٩١٦ وفي أوائل شهر كانون الاول أكمل البريطانيون استعداداتهم الادارية وأصبحوا مستعدين للتقدم ، وألفت قيادة القوة الشرقية تشكيلا باسم رتل الصحراء بقيادة الجنرال فيليب تشتوود ، وكان هذا الرتل مؤلفاً من فرقـــة خيـالة « الانزاك » ولواء الهجانة الامبراطورية والفرقتين ٤٢ و ٥٢ وكلف هذا الرتل بالتقدم لاحتلال العريش . وقد أفادت المعلومات المتيسرة للقيادة البريطانية أن للاتراك في العريش قوة تقدر بحوالي ١٦٠٠ محارب ولهم مفارز أخرى في المغضبة وابو عويقيلية على امتداد وادي العريش جنوبا . وفي يوم ٢٠ كانون الاول كانت السكة الحديد البريطانية قـد وصلت الى ضمن ٢٠ ميلا عن العريش وكملت التدابير المتقنة لتموين المياه . وفي ليلة ٢٠-٢١ كانون الاول ١٩١٦ تقدم رتل الصحراء البريطاني نحو العريش وطوقها الا أنه وجد العريش صباح يوم ٢١ خالية من الاتراك حيث أخلوها منسحبين نحو المغضبة، فقرر الجنرال تشتوود دفع فرقة « الانزاك » المعززة بلواء الهجانة لمهاجمتهم فيها ووصلت هذه القوة الى الموضع التركي فجر يوم ٢٣ كانون الاول بعد أن قطعت ٢٠ ميلا في مسير ليلي وتم لها تطويق الموضع التركي عنـــد الظهر . وكان الموضع دائري الشكل ويتألف محيطه من عدد من المعاقل المقامـة على آكام صغيرة (طوابي) على جانبي الوادي .وقد فشلت الهجمات البريطانية في اقتحامها ، وفي الساعة ١٤٠٠ قرر الجنرال شوفل الانسحاب لحـاجة جنوده

وخيله الى المـــاء وفي تلك الآونة استطاعت احدى الكتائب اسقاط احد العاقل بهجوم راكب واقتحمت الموضـــع التركي فألغى الجنرال شوفل أمر الانسحاب وانهارت معنويات المدافعين الذين قاتلوا ببسالة وعناد ازاء عدو متفوق لمدة ثماني ساعات وتم احتلال الموضع في الساعة ١٦٣٠ ، وكانت القوة التركية المبادة في موضع المغضبة على مـــا تذكره المصادر التركية (فوجي مشاة، بطرية مدفعية جبلية ، سرية هجانة) وتؤيد ذلك المصادر البريطانية حيث تذكر أنها استولت على ٤ مدافع جبلية وأسرت ١٢٨٢ أسيراً ودفنت ٩٧ شهيداً تركياً ، أما خسائر البريطانيين فبلغت ٢٢ قتيلا و ١٢٤ جريحاً ، وعادت القوة الى العريش ليلة ٢٣-٢٤ بعد أن قطعت ٥٠ ميلا وقاتلت قتالاً عنيفاً في مـــدة لا تزيد على ٢٤ ساعة . وبعد احتـــلال العريش استغل البريطانيون تفوقهم البحري فتقدم اسطولهم الى العريش وطهر المنطقة من الالغام المبثوثة وشرع في تفريغ المدخرات في مرفأ العريش وبـــذا سهلت المشكلة الادارية كثيراً وفي يوم ٤ كانون الثاني ١٩١٧ وصلت السكة الحديد الى العريش .

احتلال رفح (معركة المقرونتين)

تقع قرية رفح على الساحل بمسافة ٢٥ ميلا شمال شرقي العريش والى غرب خط الحدود القديم بين فلسطين ومصر ، فكانت تعتبر من الاراضي المصرية التي لا تزال محتلة من قبل الاتراك . وقدر البريطانيون القوة التركية المرابطة فيها بحوالي ٢٫٠٠٠ محارب . وبالنظر لقرار القيادة البريطانية القيام بتطهير الاراضي المصرية ودفع الاتراك الى ما وراء حدودهم تقرر التقدم لاحتلال رفح . وفي مساء يوم ٨ كانون الثاني ١٩١٧ تحركت القوة المكلفة بهذا الواجب وكانت مؤلفة من فرقة « الانزاك » – ناقصة لواء واحد – ولواء الهجـــانة ولواء الخيالة الخامس ومفرزة من السيارات المسلحة . وبعد القيام بمسير ليلي متقن تم تطويق الموضع التركي وكان على تـــل يدعى بالمقرونتين ويقع الى جنوب غربي رفح . وكان الموضع منظماً بشكل ثلاث مجموعات على أرض

مرتفعة لها ساحة رمي جيدة ولم تكن المواضع محاطة بأسلاك شائكة شرعت القطعات البريطانية في مهاجمة الموضع التركي فجر يوم ٩ كانون الثاني ولم تحصل على نجاح يذكر حتى الساعة ١٥٣٠ ، وفي هذه الفترة تلقى القائد البريطاني معلومات عن تنقل قطعات تركية من الشلال وخان يونس لتعزيز حامية رفح وكان الهجوم البريطاني قد فتر تماماً وأوشك العتاد على النفاد فأصدر الجنرال تشتوود أوامره بالساعة ١٦٣٠ بالانسحاب ، ومن الغريب ان يتكرر ما حدث في معركة المغضبة حيث بدل عزم القطعات الموقف ففازت بالظفر بالوقت الذي قرر فيه قائدها أن المهمة المناطة بها فوق طاقتها . فقد قام اللواء النيوزيلاندي بحملة شديدة على التحصينات المركزية واحتلها بالحراب ، فانهارت معنويات المدافعين وسقط الموضع بكامله قبيل حلول الظلام وتم القضاء على الحامية التركية . وتذكر المصادر التركية ان القوة المبادة كانت (٣٣ ضابطاً و ١٨٣٨ من المراتب و ٤ مدافع جبلية و ٤ رشاشات) أما المصادر البريطانية فتذكر ان خسائر الاتراك كانت ١٦٣٥ أسيراً و ٢٠٠ شهيد ، أما خسائر البريطانيين فقد بلغت ٧١ قتيلاً و ٤١٥ جريحاً . وباحتلال رفح تم اجلاء الاتراك نهائياً من الاراضي المصرية وأصبح أي تقدم مقبل جزءاً من عملية غزو فلسطين .

الدروس المستحصلة

١ – الاقتصاد بالقوة

من الامثلة البارزة لتطبيق مبدأ الاقتصاد بالقوة عن طريق انتخاب أصوب الخطط السوقية ، دراسة موضوع الدفاع عن قناة السويس وتقدير الجنرال موراي للموقف . فالخطة القديمة كانت مبنية على اشغال خط يوازي قناة السويس من الشرق ويزيد طوله على ٨٠ ميلاً وتقدر القوة اللازمة لاشغاله باحدى عشرة فرقة من المشاة . وبانتخاب خط دفاع أكثر ملاءمة في الروماني يمكن اشغاله بخمس فرق ، استطاع الجنرال موراي أن يحقق

نفس الفرض وأن يوفر لامته ست فرق مشاة أي ما يقارب٩٠٠٠٠ محارب. وفي هذا مثل لما توفره القيادة البارعة لجيشها وبلادها .

٢ - تنظيم القيادات

تبين من درس العمليات البريطانية أن البريطانيين أعادوا تنظيم قياداتهم أكثر من مرة وهذه المرونة في التنظيم من ضرورات النجاح ، فاعادة التنظيم نتيجة التجربة والخطأ من القواعد السليمة وقد استهدف البريطانيون دوماً تخليص القائد المسؤول عن ادارة المعركة في خط القتال من الاعباء الادارية والسياسية ليتفرغ لواجبه الاصلي ، كما حدث عند تشكيل قيادة القوة الشرقية مثلا .

٣ - الاعمال الادارية

يتفق جميع دارسي التاريخ العسكري على أن الاتقان في الاعمال الادارية طابع مميز لعمل هيئة الركن البريطانية ، ويرى الكثيرون أن هناك افراطاً واسرافاً في انجازها ينطويان على ضياع للوقت والجهد . والاسناد الاداري بتأمين كل ما تحتاجه القطعات في الجبهة من غذاء وعتاد وكساء وترفيه ، ضرورة لازمة للنجاح وفي عمليات البريطانيين بسيناء مثال واضح للعمل الاداري المتقن ، واذا ما قارناه بالاعمال الادارية التركية في الزحف التركي الاول نحو قناة السويس نرى أن الخطة التركية مبنية على الارتجال والمجازفة وقد كان عدم أخذ العوامل الادارية بنظر الاعتبار من الاسباب الرئيسية لفشل الاتراك وعدم استطاعتهم الصمود لسد القنال بوجه السفن .

٤ - الخطة السوقية التركية

يسود أعمال القيادة التركية العامة في هذه الفترة طابع الارتجال ويبدو عليها التردد ، ويظهر أنها كانت منقادة لرغبات القيادة الالمانية العامة دون

أخذ الظروف التركية بنظر الاعتبار . فبعد فشل الزحف التركي الاول نحو قناة السويس كان على الاتراك القرار على خطة عمل جديدة، على ضوء المعلومات المتيسرة عن موقف البريطانيين في مصر، ولا شك ان محاولتهم الزحف مجدداً نحو القناة بعد أن تبين لهم أن عدوهم يتفوق عليهم كثيراً بالعدد والعدة وأنه يهيء قاعدة متقدمة في الروماني كان معناه أن هذا الزحف الثاني سينتهي بكارثة حتماً، وقد كادت معركة الروماني أن تؤدي بقوتهم لولا ضعف القيادة البريطانية بادارة المعركة . وقد كانت قرارات القيادة التركية الاخرى حول معارك المغضبة والمقرونتين مغلوطة ، فلم تكن هناك أي فائدة في ترك هذه القوات منعزلة في الصحراء ازاء خصم متفوق وقد أبيدت فعلاً ، وكان من الأصوب سحبها نحو القسم الاكبر من القوات التركية . وبعد اعلان الثورة العربية كان على القيادة التركية اتخاذ قرار سريع وحاسم حول الموقف في الحجاز ومن الواضح ان احتفاظها بالحجاز في نهاية خط المواصلات الطويل أمر يكاد أن يكون مستحيلاً ، وقد انتهى الامر بصمود حامية تركية في المدينة المنورة فقط ومحاصرتها هناك . وبالرغم من الاهمية العظمى للديار المقدسة من الوجهة المعنوية الا أن حساب العوامل العسكرية كان يفرض اخلاءها لاستحالة الدفاع عنها ولذا فقد كان الحل الصحيح اخلاء جزيرة العرب من القطعات التركية وسحبها شمالاً الى خط دفاع منتخب للصمود فيه لايقاف القوات البريطانية من التوغل في فلسطين والعراق وعدم بعثرة القوات بمفارز ضعيفة متباعدة يبتلعها العدو لقمة اثر لقمة .

٥ – تنسيق العمل السياسي والعسكري

تكسب الحرب بتوحيد الجهود وتنسيقها في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية وغيرها ، وهذا هو السوق الاكبر في ادارة الحرب . ومن مظاهر ذلك مثالان من حركات الجانبين ففي الجانب البريطاني نرى في الثورة العربية وتنسيقها واعلانها واعدادها واستثمارها من قبل البريطانيين وحلفائهم واستغلالهم للشعور القومي العربي المتدفق والدماء العربية الزكية

التي سالت لقاء وعود معسولة مثلاً للدهـــاء السياسي واستغلال كل شيء في سبيل كسب الحرب . أما الجانب التركي فقد كان المجال مفتوحاً لهم للقيـام بعمل مشابه بفضل صداقتهم للسنوسيين وللموقف الملائم لهم من قبـل الزعماء المسلمين على حدود السودان ولتذمر المصريين الشديد من الاستعمار البريطـاني واستعدادهم للقيام بعمل جدي للتخلص منهم الا أن الاتراك وحلفاءهم فشلوا فشلاً ذريعاً في استغلال هذا الموقف الملائم واعداد الجو اللازم لنجاحه .

٦ – القيادة التعبوية البريطانية

يتبين من دراسة معارك الرومـاني والمغضبة والمقرونتين ، أن القيادة التعبوية البريطانية وعملهـا بادارة المعركة التعبوية في الميدان كان دون المستوى اللازم للحصول على نتـائج مثمرة . فقـد فشلوا في تدمير القوة التركية الضعيفة في الروماني بالرغم من تفوقهم الساحق وحراجـة موقف الاتراك وكان السبب الرئيسي في ذلك تردد القادة البريطانيين وبطء قراراتهم وخلوها من الاندفاع وروح المجازفة . وفي معركتي مغضبة والمقرونتين نرى أن البريطانيين مدينون بنجاحهم لعزم القطعات الامامية والدور الذي يلعبه الحظ في المعركة لا لمهارة قادتهم ، ففي الحالتين أصدر القادة أمر الانسحاب بحجة العطش والانهاك مع العلم أن المعركتين نشبتا شتاءً وفي شهري كانون الاول والثاني أي في وقت تكون فيه الحاجة للماء قليلة نسبياً . واجمالاً فأن القيادة التعبوية البريطانية في هذه الفترة كان يعوزها العزم والخبرة والاندفاع الضروريين للنجاح .

٤

معارك غزة

الموقف في مستهل عام ١٩١٧ ـ موقف الاتراك ـ قرار غزو فلسطين ـ الوصف الطوبوغرافي ـ معركة غزة الاولى ـ معركة غزة الثانية .

الموقف في مستهل عام ١٩١٧

عقد الحلفاء العزم على القيام بتعرض واسع النطاق في الجبهة الغربية في فرنسة في ربيع ١٩١٧ ، وكانت الانباء الواردة من روسية مثيرة للقلق ومنذرة باحتمال حدوث ثورة فيها ومن ثم خروجها من الحرب . أما في العراق فقد شرع الجنرال مود بتعرضه لتطهير ضفة دجلة اليمنى تمهيداً لاسقاط موضع الفلاحية التركي والزحف نحو بغداد وفيما يتعلق بالموقف البريطاني في فلسطين تلقى الجنرال موراي أمراً بتأجيل الحركات الواسعة النطاق في جبهة فلسطين وبسحب الفرقة ٤٢ الى فرنسة والاستعاضة عنها بالفرقة ٥٤ . وفي منتصف شهر كانون الثاني كانت القطعات البريطانية المرابطة بين رفح والعريش أي القوة الشرقية مؤلفة من :

فرقة « الاتراك » الخيالة .

فرقة الخيالة الامبراطورية .

الفرق ٤٢ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ وكانت الفرقة ٤٢ على وشك السفر كما

ذكر آنفاً ..

لواء الهجانة الامبراطورية .

ونجحت القوات العربية بقيادة فيصل في ٢٢ كانون الثاني في احتلال قرية الوجه (على البحر الابيض) وبذا أصبحت في موقف يشكل خطراً جدياً بتهديده خط مواصلات الحامية التركية في المدينة المنورة .

موقف الاتراك

انسحبت القوات التركية بعد سقوط رفح نحو غزة وأشغلت موضعاً قوياً في شيخ نوران الواقعة غربي الشلال على وادي غزة الذي يصب في البحر على مسافة ستة أميال جنوبي غزة . وكانت القوة التركية تتألف من فرقة الخيالة الثالثة وفرق المشاة ٣ ، ١٦ ، ٥٣ وكانت كل هذه الفرق ناقصة وضعيفة ولم يتجاوز مجموع القوة ٥٠٠٠ بندقية .

قرار غزو فلسطين

تم للبريطانيين باحتلال رفح في النصف الاول من شهر كانون الثاني ١٩١٧ تطهير الاراضي المصرية من الاتراك ، ووصلت قواتهم الى حدود « فلسطين — مصر » المعترف بها في تلك الفترة ، أي قبل الحرب العالمية الاولى . وكان أي تقدم مقبل معناه غزو فلسطين ودخول الأراضي التركية . وبعد مناقشة العوامل المختلفة قررت القيادة البريطانية العامة قبول التعرض وغزو فلسطين وكانت العوامل التي دفعتها لاتخاذ هذا القرار هي :

١ — ثبت للبريطانيين ضعف الاتراك بالنسبة لهم بالعدة والعدد ، وقد كانت جبهة فلسطين مساعدة على استغلال هذا التفوق تمشياً مع هدف لويد جورج ، وهو دحر المانية عن طريق تحطيم حلفائها .

٢ — كانت القوات البريطانية في العراق بقيادة الجنرال مود قد شرعت بتعرض عام منذ شهر كانون الاول ١٩١٦ ونجحت هذه القوات بهدم

جبهة الفلاحية التركية بعبور نهر دجلة من دورة شمران ليلة ٢٤/٢٣ شباط ١٩١٧ فتضعضع موقف القوات التركية وأصبح الطريق الى بغداد مفتوحاً وقد تم دخولها فعلاً يوم ١١ آذار ١٩١٧ وكان لا بد للقيادة البريطانية من استغلال هذا الموقف على الجبهة الفلسطينية أيضاً لتقارب الجبهتين وتشكيلها جناحي ساحة الحرب في الشرق الاوسط ، وما لم يتم التقدم في الجبهتين العراقية والفلسطينية سوية فسيفسح المجال للاتراك لحشد التقويات وضرب الجناح المكشوف في الجبهة التي يتم بها التقدم .

٣ – كانت الحكومة الروسية تعاني مشاكل كثيرة والثورة بها متوقعة ، وخروجها من الحرب محتمل ، وتطلب هذا قيام البريطانيين بالتضييق على الاتراك في كل الجبهات ومنها فلسطين لتخفيف الضغط عن الروس.

٤ – كان للبريطانيين قطعات كبيرة من الخيالة ولم يكن من الممكن استخدامها في الجبهة الغربية بفرنسة ، حيث استقر الموقف بشكل حرب خنادق موضعية فأصبح من الضروري الاستفادة منها في محلات اخرى، وكانت الجبهة الفلسطينية أكثر ملاءمة لمساعدتها على المناورة وقد انفسح المجال بها للاستفادة من الخيالة ولا سيا خيالة (الكومنولث) الاسترالية والنيوزيلاندية المدربة على العمل في طقس مشابه لطقس فلسطين والتي يمتاز جنودها بقوة أجسامهم ونشاطهم البدني .

٥ – الضربة المعنوية الشديدة التي ستنزل بالاتراك فيما اذا ارغموا على أخلاء فلسطين بفقدانهم القدس الشريف (أولى القبلتين) كما أن أخلاءهم لفلسطين سيعني بالضرورة الانسحاب من الحجاز ، ومعنى ذلك انهيار النفوذ الديني للخلافة العثمانية في نظر المسلمين .

٦ – استغلال الموقف الملائم الناشيء عن الثورة العربية بقيادة الشريف حسين لتسهيل التقدم في فلسطين .

٧ – أن النجاح في جبهة فلسطين والتقدم الى شمالي سورية سيهدد ويقطع

سكة حديد « بغداد – برلين » ويشل الامبراطورية العثمانية وقد كان خط سكة الحديد هـذا أحد الأمور التي أقضت مضاجع البريطانيين قبل الحرب .

٨ – تحقيق المطـامح الاستعمارية القديمة بالسيطرة على الشرق الاوسط بنفطه وخيراته ، وحماية طريق الهنـد التي كانت أثمن درة في تاج الاستعمار البريطاني ، والحصول على موانيء صالحة شرقي البحر الابيض المتوسط للاسطول البريطاني .

٩ – الضغط الصهيوني وتحريضـه للبريطانيين لانتزاع فلسطين من أيدي العثمانيين المسلمين الذين حاربوا فكـرة الوطن القومي اليهودي . ومتى استولى البريطانيون على فلسطين سيكسب اليهود نصف معركة اقامـة الوطن القومي اليهودي . وقد التحق لواء يهودي بالقوة البريطانية فعلاً في آب ١٩١٨ أي في أواخر الحرب لتثبيت هـذا الحق ، وقد نسي البريطانيون أو تناسوا أن العرب كانوا يضحون بدمـائهم ويقاتلون العثمانيين اخوانهم في الدين ، وفي سبيل تحرير بـلادهم وتحقيق وحدتهم وقد كان حقهم صريحاً واضحاً يقره الحق والعـدل . وكان انصار الصهيونيين من أمثال لويد جورج وبلفور وتشرشل وغيرهم يعملون المستحيل لارضاء الصهيونيين ، والعرب عن كل ذلك غافلون ، وقد كان ثمرة هذا الضغط صدور تصريح بلفور المشؤوم في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ .

١٠ – وبالنظر للمصالح الاستعمارية الفرنسية حليفة بريطانيـة في شرقي البحر الابيض المتوسط وبخاصة في لبنان ، كما تم الاتفاق عليه في معاهـدة «سايكس بيكو» الموقعـة في مايس ١٩١٦ فقد التحقت قوة فرنسية بالقوات البريطانية لتثبيت هذا الحق ، على حساب العرب أيضاً .

الوصف الطوبوغرافي

ينحدر القسم الاعظم من سهل فلسطيا (القسم الجنوبي من السهل الساحلي)

الواقع الى جنوب غربي وجنوبي تلال يهودا جنوباً بشكل تلال رملية. وتؤلف غزة وبئر السبع البابين الجنوبيين لفلسطين، وهما قصبتان يبلغ البعد بينهما ٢٥ ميلا وتتفرع منها الطرق المؤدية الى الشمال على امتداد الساحل ونحو الداخل، ويعترض طريق القوة الزاحفة نحوهما وادي غزة الذي يصب في البحر ستة أميال جنوب غزة وهو أحد الوديان المنحدرة من تلال يهودا وتصب فيه عدة فروع مثل وادي خلصة ووادي الشريعة ووادي السبع .. ووادي غزة مانع مهم يبلغ عرض مجراه الصخري ١٠٠ الى ٣٠٠ يارد ويمكن الحصول على الماء فيه بالحفر عند الجفاف، وفي بعض أقسامه كما في منطقة الشلال عيون دائمية. وضفاف الوادي منحدرة وعرة يبلغ ارتفاعها ٣٠-٤٠ قدماً في بعض الأقسام. وتزداد خطورة المانع في موسم الفيضان حيث ينحدر المـــاء فيه بشدة نحو البحر . وعلى الضفة الشمالية من وادي غزة ترتفع الارض تدريجياً ، وتبرز بها سلسلة مرتفعات تمتد نحو الجنوب الشرقي من غزة الى بئر السبع وأهمها تـــلال النصيرات ويبلغ ارتفاعها نحواً من ٤٠ قدماً وهي ستر جيـــد للقطعات ولا توجد بين غزة ووادي الشريعة موانع تعيق القطعات الراكبة .

تقع مدينة غزة على نجد يبلغ طوله الميلين وارتفاعه نحو ٢٠٠ قدم وتبعد عن البحر نحواً من ميلين وتفصلها عنه سلسلة رملية ، وتقع في شرقهـــا وشمال شرقيها أراضٍ زراعية منخفضة ، والبلدة محاطة لمسافة ميل أو أكثر من ميل ببساتين وحقول صغيرة محاطة بسياجات كثيفة من الصبير يبلغ ارتفاعها حوالي عشرة أقدام مما يجعـــل اختراقها متعـــذراً كما لو كانت موانع من الاسلاك الشائكة . والى جنوب غزة توجـــد عارضتان أرضيتان مهمتان ، اولاهما تل علي المنطار ويقع جنوب شرقي البلدة وهو تل مخروطي يشرف على كل المنطقة ويعتبر مفتاحاً لها ويؤلف هذا القسم المخروطي قمة العارضة الطويلة الممتدة من مسافة ميلين شمالي غزة الى وادي غزة . وكان للاتراك موضع حصين في علي المنطار يمتد الى منطقة السياجات الشوكية جنوب وجنوب غربي البلدة أمـــا العارضة الثانية فهي التي اصطلح أثناء الحركات على تسميتها باسم تل شمشون ،

وتقع جنوب غربي غزة وتؤلف هذه العارضة الممتدة نحو الجنوب الغربي الحدود الفاصلة بين الكثبان الرملية الساحلية والاراضي الزراعية .

معركة غزة الاولى

الخريطة رقم (٣)

درس الجنرال موراي الموقف في أوائل سنة ١٩١٧ على ضوء الوصايا التي تلقاها والتي طلبت اليه التهيؤ للتعرض بمقياس واسع في الخريف . ورأى أن هذا التعرض سيسهل جداً اذا تم له الاستيلاء على غزة فوراً ، حيث ستصبح بحوزته موارد مياه جيدة ويتم له مد السكة الحديد عبر وادي غزة ونصب جسر عليه وهو أمر يتطلب وقتاً طويلاً ، واذا ما تم له الاستيلاء على غزة فسيصبح خلف قاعدة الانزاك الرئيسية ورأس سكتهم في بئر السبع ويرغمهم على اخلائها . هـــذا بالاضافة الى ان غزة عقدة للطرق المهمة التي تتفرع منها وهي :

١ – طريق غزة – الرملة – يافا – المحاذي للساحل .

٢ – طريق غزة – عمواس – اللطرون – القدس .

٣ – طريق غزة – بئر السبع – ومن بئر السبع يمتد الطريق ماراً بالخليل الى القدس .

وبنتيجة هذه المناقشة طلب الجنرال موراي الى الجنرال دوبل قائد القوة الشرقية التقدم لاحتلال غزة بعد أن تم القضاء على المفرزة التركية في رفح . وقد قرر الجنرال موراي الاستمرار على التقدم بموازاة الساحل لستر انشاء الخط الحديدي والاستفادة من تعاون الاسطول والتفوق البحري .

احتل الاتراك بعد الانسحاب من رفح خط العوجة – القصيمة وكانت لديهم مفارز صغيرة في خان يونس وغزة والهوج وعسقلان. وفي أواخر شباط طردت القطعات الراكبة البريطانية الستارات التركية في خان يونس ، وتقرر

استئناف التعرض عند وصول السكة الى رفح واكمال التـــدابير الادارية .
وتوافرت المعلومات عن وجود الاتراك بقوة ٥٠٠٠ محارب في غزة ووجود موقع آخر لهم في الشلال على وادي غزة ، وقد اخلى الاتراك هذا الموضع الاخير في أوائل آذار وشغلوا خط غزة – بئر السبع . وقـــد أدت هذه الانسحابات التركية الى حصول القنـــاعة لدى البريطانيين بأن الاتراك قد ينسحبون أيضاً من غزة دون قتال .

الجانب البريطاني

ألف البريطانيون قوة باسم رتل الصحراء من فرقتي الانزاك والخيـــالة الامبراطورية (باستثناء لواء واحد من كل منهما) وفرقة المشاة ٥٣ ودوريتين من السيارات الخفيفـــة . وفي مساء يوم ٢٥ آذار تحشدت القوة البريطانية متهيئة للتقدم نحو غزة على الوجه التالي: رتل الصحراء في دير البلح – الفرقة ٥٤ قرب النصيرات . الفرقة ٥٢ في خان يونس . لواء الهجانة في عباسان الكبير جنوب شرقي خان يونس . وقد وضعت خطة الهجوم على غزة على الوجه التالي :

١ – قيـــام رتل الصحراء وبأمرته لواء الهجانة بتطويق غزة من الشمال والشمال الشرقي والجنوب الشرقي أي على خط طوله ١٥ ميلاً لقطع خط انسحاب الحامية التركية ومنع وصول التقويات اليها على أن تقوم الفرقة ٥٣ المعززة بلواء من الفرقة ٥٤ بالهجوم المباشر على غزة . وكانت هذه القوة بأمرة آمر رتل الصحراء الجنرال تشتوود .

٢ – احتفظ قائد القوة الشرقية الجنرال دوبل بأمرته المباشرة بالفرقة ٥٤ التي كانت مهيأة لتعزيز رتـــل الصحراء . والفرقة ٥٢ التي أبقيت في الاحتياط العام .

٣ – وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها هيئة الركن الادارية البريطانية بتنظيم النقلية حيث ألفت ٧ قطارات من نقلية الجمال كل منها ٥٥٠ جملاً

وحمولة القطار ٧٢ طناً. و٦ قطارات من نقلية العجلات المسحوبة بالبغال وكل منها من ٧٢ عجلة وحمولة القطار ٧٢ طناً أيضاً ، وقطارين مختلطين من السيارات والخيل بنفس الحمولة فكان المجموع ١٥ قطاراً الا أنها كانت لا تستطيع ادامة احتياجات المعركة لاكثر من يوم واحد أي ٢٤ ساعة. ولذا بنيت خطة الحركات على أساس تأمين الظفر قبل حلول يوم الهجوم والا فان الاعتبارات الادارية سترغم القوة التي في حالة فشلها في احتلال غزة خلال ٢٤ ساعة ، على الانسحاب .

الجانب التركي

كانت الاستخبارات البريطانية تقدر حامية غزة التركية بسبعة أفواج وخمس بطريات أي حوالي ٣٥٠٠ بندقية و٢٠ مدفعاً . وكان الجانب التركي قد حصل على التفوق الجوي بوصول طيارين ألمان مجهزين بطائرات حديثة تتفوق على الطائرات البريطانية ، وقد سببت هذه إزعاجاً كبيراً للقوات البريطانية وللخيالة منها على الاخص ومنعت القوة الجوية البريطانية من الحصول على المعلومات وكانت القوة التركية المرابطة على خط غزة — بئر السبع على ما تذكره المصادر التركية عبارة عن جحفل خاص اسمه (القوة السفرية الاولى) بقيادة فون كريس وتبلغ قوته حوالي ٥,٠٠٠ محارب ، وبالاضافة لذلك كانت في جبهة فلسطين قطعات اخرى من فرق المشاة ٣ ، ١٦ ، ٥٣ وفرقة الخيالة الثالثة خارج خط القتال ويقدر مجموع قوتها المقاتلة بحوالي ١٥,٠٠٠ مقاتل و٤٠ مدفعاً وكلها تبعد عن غزة أكثر من ١٠ أميال . وكان الاتراك يحسبون دوماً حساباً كبيراً للتفوق البحري البريطاني ، ويخشون حدوث انزال خلف جبهتهم ، ومن الغريب ان البريطانيين لم يحاولوا ذلك مطلقاً . وقد عهد للفرقة ٥٣ التركية واجب الدفاع عن السواحل في منطقة حيفا ضد هذا الخطر .

تطور الحركات

تبين مما سبق ان الخطة البريطانية كانت تنطوي على مهاجمة غزة وتطويقها بقوة تقدر بحوالي ٨،٥٠٠ سيف و٢٥،٠٠٠ بندقية و٩٢ مدفعاً أي اكثر من خمسة أضعاف القوة المدافعة .. تحركت القطعات البريطانيـة حسب الخطة في الساعة ٠٢٣٠ من ليلة ٢٥-٢٦ آذار ١٩١٧ متجهة الى أهدافها وحدث فجر يوم ٢٦ ضباب كثيف لم ينقشع حتى الساعة ٠٨٠٠ ، وكان الموقف في الساعـة ١٠٠٠ من نفس اليوم كما يلي :

١ - السرايا الامامية من فرقة «الانزاك» قد أكملت طوق الحصار البريطاني من الشمال بوصولها الى بيت داراس وايفادها دوريات الى الهوج وديرسنيد.

٢ - وصلت فرقة الخيالة الامبراطورية المكلفة باحاطة أوسع الى اهدافها في خربة البير لستر الجناح الشرقي والشمالي ووصل لواء الهجانة الى أهدافه في مندور .

٣ - أثر الضباب على حركات الفرقة ٥٣ فأضاعت ساعتين من الوقت بانتظار زواله وكانت الفرقة بطيئة بحركتها وانفتاحها وكانت في الساعة ١٠٠٠ على بعد ٤٠٠٠ يارد من أهدافها في « علي المنطار» ولم تشرع بالهجوم إلا في الساعة ١١٠٠ من خط حافة طنف، الصر واوقف التقدم على بعد ٨٠٠ يارد من الهدف بنيران الاتراك الشديدة من «علي المنطار» واضطر قائد الفرقة الذي كان يتقدم بجبهة لواءين الى ادخـال لوائه الثالث الاحتياط الى المعركة في يمين جبهته لضرب جناح العدو وأمر اللواء الملحق به من الفرقة ٥٤ بالتقدم الى الامام لتعزيز الهجوم على « علي المنطار » بالتخلل من بين اللواءين الاماميين .

٤ - تحركت مفرزة الجناح الايسر البريطانية المؤلفة من فوج مشاة وكتيبتي خيالة بقيادة العقيد مولي ، وشرعت بالتقدم بمحاذاة الساحل الى الشيخ عجلين كجزء من خطة ايهام الاتراك وستر الجناح الايسر .

٥ – أخذ القائد المسؤول عن عمليـة الهجوم على غزة ، وهو الجنرال تشتوود آمر رتل الصحراء يلح على قائد الفرقة ٥٣ بوجوب الاسراع بالعمـل ، ولما لاحظ بطء حركات الفرقة ٥٣ أمر القطعات الراكبة باقتحام غزة من الشمال لتعجيل سقوطها وعهد بهذا الواجب لفرقة «الانزاك» على أن تستلم فرقة الخيالة الامبراطورية واجبها وشرعت فرقة الانزاك بالحملة على غزة في الساعة ١٦٠٠ وقامت في نفس الوقت الفرقة ٥٣ باستئناف الهجوم نحو «علي المنطار» وتكلل هذا الهجوم بالنجاح واستسلم عدد من الاتراك.

٦ – كان موقف البريطانيين بالساعة ١٦٣٠ كما يلي: طوقت غزة وتم الاستيلاء على كافة المواضع التركية الموجودة خارجها . واستولت الفرقـة ٥٣ على «علي المنطار» وبالنظر للخطر الذي يهدد جناح هذه الفرقة من اليمين فقد أوعز للفرقة ٥٤ بالتقدم الى يمينها، وكانت الفجوة بين الفرقتين في الساعة ١٦٣٠ حوالي ميلين ونصف. ولم يخبر قائد الفرقة ٥٣ بهذه الحركة سهواً، وكان يعتقد أن الفرقة ٥٤ لا تزال بعيدة بمواضعهـا الى الخلف . أما فرقة الانزاك فقد دخلت الضواحي الشمالية من المدينة وأسست التماس مع الفرقة ٥٣ في علي المنطار . ووردت تقارير عن حركة تقويات تقـدر بحوالي ٧٠٠٠ محارب من هريرة ودير سنيد والهوج وقد اشتبكت هذه بفرقة الخيـالة الامبراطورية التي كانت تستر غزة من الشمال الشرقي والشمال .

٧ – تلقى فون كريس التقارير الاولية عن الهجوم البريطاني في الساعة ٠٨٠٠ فأمر القطعات الموجودة في الخلف بالتقـدم لتعزيز حامية غزة فتحرك اللواء الامامي من الفرقة ٥٣ التركيـة الموجودة في الجدل الى غزة ، وتحركت الفرقة الثالثة (قوتها ٥٠٠٠ بندقية و٣٠ مدفعاً) من هوج الى علي المنطار . وأمر فون كريس الفرقة ١٦ وقوتها (٥٥٠٠ بندقية و٢٠ مدفعاً بالحركة نحو الجناح البريطاني الايمن،وشرعت كل هذه التشكيلات بالحركة صباح يوم ٢٦ آذار ولم يصل أي منها الى خط القتال إلا عند

حلول الظلام ، فأمرها فون كريس بالتوقف لغموض الموقف واعتقاده بسقوط غزة، على أن يشرع بهجوم مقابل فجر الغد بعد استراحة القطعات وانجلاء الموقف. وكان هذا القرار مصيباً جداً ، فمن العوامل الاساسية لنجاح الهجوم المقابل وضوح اهدافه وحسن توقيته واكمال الاستعدادات اللازمة له .

٨ – وفي الوقت الذي آمن فيه الاتراك بسقوط غزة وقام آمر حاميتها بتدمير محطته اللاسلكية وحرق المخابرات الموجودة بمقره، قرر القائد البريطاني سحب قواته الى الخلف لفشله في الاستيلاء على غزة قبل حلول الظلام، كما كان من المقرر سابقاً دون تفهم صحيح للموقف . فأصدر أوامره للخيالة بالانسحاب الى ما وراء وادي غزة لسقي خيلها التي لم تسق منذ ٣٦ ساعة ، وبذا فتح الطريق للتقويات التركية لدخول غزة في تلك الليلة. وأصدر القائد البريطاني في نفس الوقت أوامره للمشاة الذين انكشف جناحهم بالانسحاب وسد الفجوة بين الفرقتين ٥٣ و ٥٤ واحتلال خط المنصورة – البرجالية وكان معنى ذلك التخلي عن عارضة «علي المنطار» الحاكمة التي بذلت جهود هائلة في سبيل الاستيلاء عليها . وبالرغم من احتجاجات قائد الفرقة الثالثة الشديدة فقد أرغم اخيراً على الانسحاب والرجوع الى خط شروعه الاصلي ، حيث لم يكن قد أحيط علماً – كما سبق القول – بموقف الفرقة ٥٤ الى يمينه .

٩ – وقبل منتصف الليل بفترة وجيزة تلقى الجنرال دوبل قائد القوة الشرقية رسالة لاسلكية استرقت من قيادة الجيش التركي وجرى حل جفرتها بالقاهرة ، مفادها أن حامية غزة تنوي التسليم . وأيدت الخيالة المنسحبة أن تقويات العدو كانت لا تزال بعيدة عن غزة عند حلول الظلام .

١٠– وعلى ضوء المعلومات الجديدة اتضح الموقف للجنرال تشتوود وتبين له خطأ الاجراءات المتخذة فأمر فجر يوم ٢٧ الفرقة ٥٣ باستعادة « علي

المنطار » ، فهاجمته بجبهة لوائين في الساعة ٠٥٠٠ واستولت عليه الا انها دحرت بهجوم مقابل حيث شرع فون كريس بهجومه المقابل في الساعة ٠٨٠٠ بواسطة قطعات التقويات من الفرق ٣ ، و ١٦ و ٥٣ التي وصلت الى خط القتال . وفي الساعة ١٠٠٠ اتضح للقائد البريطاني صعوبة الاستيلاء على غزة ، بالنظر للخطر الذي يهدد جناحه الايمن من القطعات التركية المتقدمة من هريرة نحو الشيخ عباس ، كما وان الموقف الاداري لا يساعد على الاستمرار في الحركات ، فأصدر أوامره مساء يوم ٢٧ بالانسحاب العام عبر وادي غزة الى خط دير البلح – خان يونس وانتهت بذلك معركة غزة الاولى ، وكانت خسائر البريطانيين فيها ٣٥٠٠ وهي : (٤٠٠ قتيل ٢٩٠٠ جريح ٢٠٠ مفقود) أما الاتراك فبلغت خسائرهم (٣٠٠ شهيد ١٠٨٥ جريح ١٠٦١ مفقود)

تحليل المعركة

يمكن اعتبار النقاط المبينة أدناه أهم نقد يوجه لمعركة غزة الاولى ، وتكاد تنحصر جميعها بالجانب البريطاني القائم بالتعرض :

١ – ينتقد تأليف رتل الصحراء بقيادة الجنرال تشتوود باعتباره يخالف التجانس والبساطة فهذا التشكيل المؤلف من فرقتي خيالة وفرقة مشاة خروج على الاسس المقبولة وهو يؤدي الى تعقيد قيادة التشكيل بالمعركة لاختلاف الاستخدام وكبر حجم التشكيل ، وقد كان ذلك سبباً من الاسباب الرئيسية لفشل ادارة معركة غزة الاولى فلو جمعت فرقتا الخيالة بتشكيل واحد وتركت فرق المشاة للعمل بأمرة قيادة القوة الشرقية بصورة مباشرة أو جمعت بقياة فيلق مشاة لتم التوصل الى نتائج افضل .

٢ – يعتبر الشروع بالتعرض على غزة قبل اكمال التدابير الادارية وبناء الخطة على أساس تحقيق النصر ضمن ٢٤ ساعة أو الانسحاب ، نوعاً من

المجازفة لا يجوز الاقدام عليه اذ تكون العملية بمجموعها أشبه بالغارة ، ولا تبرر الضحايا والخسائر بهذا النطاق الكبير ، وكان من الاجدر عدم الاقدام عليها قبل اكمال التهيؤ الاداري،وقديكون الباعث على ذلك هو اعتقـــاد البريطانيين احتمال انسحاب الاتراك دون قبول معركة كما فعلوا مؤخراً .

٣ – تعقد القيادة وتنظيم المقرات : كان مقر الجنرال موراي القـــائد البريطاني العام في العريش ، فلا هو بالبعيد ليترك الامر لقائد القوة الشرقية الجنرال دوبـــل ولا هو بالقريب ليتولى المسؤولية بنفسه . أما قائد القوة الشرقية الجنرال دوبل فقـد كان مقره مع مقر قـائد رتل الصحراء الجنرال تشتوود المسؤول المبـــاشر عن العمليـة في النصيرات . واذا لاحظنا أن كل هؤلاء كانوا من الضبـاط ذوي الرتب العالية (فريق فما فوق) وذوي خدمة طويلة وبارزة يتبين لنا صعوبة ضمان حرية التصرف . وكم كان يتبدل الموقف لو استلم دوبل زمـــام الامور وترك قيادة القطعات الراكبة لتشتوود الذي كان يستطيع حينئذ الاندفاع الى الامام مع مقره وقيادة قوته كما يجب . وكان بوسع دوبل حينئذ ادارة معركة المشاة وتنسيق عمل الفرقتين ٥٣ ٥٤ وادارة الهجوم الموجه على « علي المنطار » ومن ثم احتـــلال غزة .

٤ – أن بطء عمل الفرقة ٥٣ وعدم استغلالها للوقت المتيسر للتقدم الى مواضع العدو تحت جنح الظلام ، سبب ضياع نصف يوم ٢٦ آذار الحيوي دون فائدة ، حيث شرعت الفرقة بالهجوم في الساعة ١١٠٠ ، والقول بأن الضباب سبب ذلك لا يمكن قبوله لان العمل في الضباب لا يختلف عن العمل ليلا كما أن الضباب انقشع بعد الساعة ٠٨٠٠ ويمكن القول بأن السبب الحقيقي يكمن في ضعف هيئات الركن في الفرقة وعدم تطبيق التعاليم الصحيحة لسياق المعركة .

٥ – يعتبر قرار الانسحاب البريطاني الذي صدر في الساعة ١٨٣٠ من يوم ٢٦ آذار غلطة لا تغتفر ، ونعتقد أن سببه الرئيسي هو عدم فهم القائد البريطاني للموقف على حقيقته وعدم تقديره له كما يجب . اذ أن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى ، وأن غزة أصبحت في قبضة يده ، فقتال الشوارع يدور في شمالها وقد تم لقطعاته الاستيلاء على علي المنطار مفتاح غزة . فكان اصدار أمر الانسحاب في هـــذه الحالة بدعوى عطش الخيل والتخلي عن مناطق بذلت الدماء في سبيل كسبها من عدو عنيد أمرا لا يمكن قبوله ، وما شأن عشرات أو مئات من الخيل تموت عطشاً في سبيل كسب نصر يحطم قوة العدو المقاتلة ويوفر أرواح المهاجمـــين ويكلل جهودهم بظفـــر يرفع معنوياتهم .

٦ – وبالاضافة الى أن إصدار أمر الانسحاب نفسه لم يكن مقبولاً مطلقاً فإن الاجراءات التي اتخذت بموجبه كانت تنطوي عـــلى أغلاط فظيعة ، ولا سيما فيما يتعلق بالمشاة وبالفرقة ٥٣ عـــلى الاخص . فالمشاة لم يعانوا أزمة ماء كالخيالة وقد طلب قائد الفرقة ٥٣ عـــدم التخلي عن « علي المنطار » الا أنه أرغم على تركه . واجمالاً فقد كان بوسع القيادة البريطانية تشكيل خط أمامي قوي يدخل « علي المنطار » ضمنه والصمود عليه بالفرقتين ٥٣ و ٥٤ عوض الانسحاب الى الخلف ، الى خط المنصورة البرجالية . والصمود على هـــذا الخط الامامي كان يؤمن مناطق وثوب حيوية للبريطانيين يستطيعون منها الاستيلاء على غزة في فجر اليوم التالي .

٧ – وأخيراً فمن المفيد المقارنة بين معركة غزة الاولى ومعركتي المغضبة والمقرونتين ، ففي الحالات الثلاث أصدر القائد البريطاني أمـــر الانسحاب دون أن يقدر موقف قطعاته بصورة صحيحة أو يتفهـــم ما أحرزته من نجاح . وفي مغضبة والمقرونتين كانت ساحة المعركة

محدودة والقوة المشتبكة أصغر حجماً فتسنى للقائد الرجوع عن قراره وتصحيح غلطته وقلب الانسحاب الى نصر . أما في غزة الاولى، فلم يكن في وسع القائد البريطاني القيام بذلك وكانت نتيجة القرار وبالاً عليه .

معركة غزة الثانية

الخريطة رقم (٤)

الجانب التركي

بعد أن تم للاتراك دحر الهجوم البريطاني الاول على غزة أخذوا بتقوية مواضعهم على خط غزة – بئر السبع ، وكان الاتراك يستهدفون إيقاف البريطانيين على هذا الخط ريثما يتم لهم اتخاذ ما يلزم لشن هجوم مقابل لاسترجاع «بغداد» التي احتلها البريطانيون يوم ١١ آذار أي قبل معركة غزة الاولى باسبوعين . وبالنظر لخروج روسيا من الحرب أثر الثورة التي استعرت فيها أواسط آذار فقد تحسن الموقف التركي وتوفرت القطعات التي كانت مشتبكة مع الروس. واعاد الاتراك تنظيم قواتهم فالغوا (القوة السفرية الاولى) وشكلوا عوضها قيادة الفيلق ٢٢ لادارة القتال على خط غزة – بئر السبع وأودعوا قيادة هذا الفيلق الى فون كريس وكان الفيلق مؤلفاً من الفرق ٣ و ١٦ و٥٣ وتقدر قوته بحوالي ١٨٠٠٠ بندقية و١٠٠ مدفع و٨٦ رشاشة متوسطة . وقد اشغل الفيلق خطاً من المواقع الحصينة المنتخبة بحذق يمتد من غزة نحو الجنوب الشرقي ماراً من جنوب غزة على النحو التالي : تل شمشون– تل علي المنطار – تلول العطاونة – تل هريرة – الشريعة وكانت كل هذه المواقع متساندة ومعدة بشكل بمجموعات من المعاقل الدفاعية ومنظمة بشكل يمنع تخلل القطعات الراكبة من بينها لتبادل الاسناد الناري فيما بينها . والى أقصى الجناح كانت تحكيمات بئر السبع ، وهي بمجموعة مستقلة تشغلها قوة مؤلفة من فوجي مشاة وبطرية واحدة . ويبلغ طول الخط التركي باستثناء

مجموعة بئر السبع حوالي ١٦ ميلا وكانت الى الخلف فرقة الخيالة الثالثة كاحتياط عام في هوج .

الجانب البريطاني

تلقى الجنرال موراي يوم ٣٠ آذار برقية من وزارة الحرب البريطانية تحدد القدس هدفاً له . وقد أجاب على ذلك بأنه يحتاج للاستيلاء على القدس الى خمس فرق مشاة كاملة . وامتثالاً للامر أخذ يعد العدة لهجوم جديد على غزة ، وبالنظر لترتيبات الاتراك الجديدة فقد تطلب الامر معالجة جديدة للموضوع . وتعززت قوة المدفعية المتيسرة للجنرال موراي بالنسبة لمعركة غزة الاولى ، وسد نقص فرقة من المدفعية فتيسر للقوات البريطانية ١٧٠ مدفعاً منها ١٦ من العيار المتوسط (مدفع عيار ٦٠ رطل وأقواس عيار ٨ أو ٦ عقد) وبالاضافة لذلك تقرر تعاون مدفعية الاسطول في الاسناد . وقد وصلت الى الجبهة فرقة جديدة وهي الفرقة ٧٤ . وتقرر اسناد الهجوم بسلاحين جديدين استعملا في الجبهة الغربية مؤخراً، وهما الدبابات حيث ألحقت بالقوة ثمان منها ، والغاز السام . وتطلبت هذه الامور الجديدة استمدادات واسعة من هيئات الركن في التدريب والمسح ، بالاضافة للقضايا الادارية وعلى رأسها تموين الماء . وفي يوم ٥ نيسان وصلت السكة الحديد الى دير البلح ..

الخطة البريطانية للهجوم

وضع الجنرال دوبل خطته للهجوم بصفحتين على الوجه التالي :

١ - الصفحة الاولى : وهدفها الاستيلاء على خط الشيخ عباس - المنصورة - البحر . والتحصن فيه ويتم بهذا تأمين الاستيلاء على موضع وثوب ضمن المسافة الضاربة من تحصينات الاتراك الرئيسية في منطقة غزة وتقديم المدفعية الثقيلة للامام . وتقرر القيام بتنفيذ هذه الصفحة فجر يوم ١٧ نيسان ١٩١٧ بالفرقتين ٥٤ و ٥٢ وتقوم القطعات الراكبة بستر جناحها الايمن .

٢ - الصفحة الثانية : وهي الهجوم على موضع العدو الرئيسي باسناد نيران مدفعية كثيفة . والدبابات ويحدد وقت شروعها بالنظر لانكشاف الصفحة الاولى . وكانت تتضمن هذه الصفحة الاعمال التالية :

أ - تقدم الفرقة ٥٤ ولواء الهجانة الامبراطورية الملحق بها على خط خربة سيحان - خربة البئر ومن ثم الاتجاه غرباً للهجوم على القسم الشمالي من عارضة «علي المنطار» أي القسم الواقع شمال طريق غزة - بئر السبع .

ب - هجوم الفرقة ٥٢ على عارضة علي المنطار من الجنوب أي من حافة طنف الصر .

ج - قيام الفرقة ٥٣ بالهجوم على التحصينات الكائنة جنوب غربي غزة، وذلك بالتقدم بمحاذاة الساحل .

د - تقدم رتل الصحراء المؤلف من فرقتي الخيالة فقط وقيامه بالهجوم الى يمين المشاة شرقي هريرة ويتهيأ للمطاردة عند نجاح الهجوم .

هـ - الفرقة ٧٤ وتكون بالاحتياط العام .

تطور الحركات

تمت الصفحة الاولى من الحركات دون خسائر تذكر وقضى يوم ١٨ نيسان بالترصين ، وتقرر الشروع بالصفحة الثانية فجر يوم ١٩ نيسان ، ولم تتطور الحركات في هذه الصفحة كما كان متوقعاً. ففي اقصى الجناح الايسر استولت الفرقة ٥٣ بالساعة ١٣٣٠ على خط « تل شمشون - شيخ عجلين » بعد قتال مرير ولم تستطع التقدم اكثر . وفشل هجوم الفرقة ٥٢ الذي شن بجبهة لواء ولم يستطع التقدم الى أكثر من نصف المسافة نحو « علي المنطار » وتوقف بتأثير نيران الرشاشات التركية الفاتكة في الاراضي المكشوفة . ولم تستطع الدبابات القيام بدور مؤثر ، ونجحت المدفعية التركية باحراق وتدمير عدد

منها . ولم يظهر اي تأثير لقنابل الغاز السام المستعملة لقلة عددها . اما الفرقة ٥٤ فقد توقفت بتأثير النيران الجانبية المنصبة من تل علي المنطار بعد أن نجح جناحها الايمن في الوصول الى خربة سيحان . ثم قام الاتراك بهجوم مقـــابل عليها بالفرقة ١٦ وأرغموها على التراجع. أما رتل الصحراء فقد هاجم دفاعات الاتراك في العطاونة ولم يفلح في الاستيلاء عليها . وفي مساء يوم ١٩ كان الخط البريطاني يمتد من البحر — الشيخ عجلين — تل شمشون — المنصورة — الشيخ عباس . وقـــد توقف الهجوم تماماً وبلغت خسائر المهاجمين حوالي ٦٠٠٠، وقرر الجنرال دوبل استئناف الهجوم في فجر اليوم التالي اي يوم ٢٠ الا أنه أعاد النظر في الموضوع ، وعلى ضوء الخسائر الفادحـــة التي اصابت الفرقتين ٥٤ و ٥٢ والموقف الاداري ولا سيما كثرة عتـاد المدفعية المصروف قرر الغاء أمر استئناف الهجوم والاكتفاء بتحصين الاراضي المستولى عليها فقط ، ريثما تتم الاجراءات الجديدة لمعالجة الموقف . أما في الجانب التركي فقد قرر فون كريس فور تقديره حراجة موقف البريطانيين القيـــام بهجوم مقابل عام على طول الجبهة يوم ٢٠ نيسان الا ان هذا القرار لم يحظ بموافقة قائد الجيش جمال باشا فصرف النظر عنه. واستقر الموقف بين الطرفين المتخندقين بشكل حرب موضعية وبهذه الصورة انتهت معركة غزة الثانية . وكانت خسائر الاتراك في المعركة ١٦٧٠ بين شهيد وجريح ومفقود أمـــا خسائر البريطانيين فبلغت ٦٠٠٠ ضمنهم ٣٠٠ أسير .

تحليل المعركة :

١ — يمكن انتقاد خطة الهجوم البريطانية باعتبارها لم توضع على أسس صحيحة. فقد توجه هجوم ثلاث فرق ٥٤و٥٣و٥٢ على جبهة ١٥٠٠٠ يارد وباسناد ١٥٠ مدفعاً ، بينما كانت عارضة « علي المنطار » التي تعتبر مفتاح الموضع لا تزيد جبهتها على ١٥٠٠ يرد وقد هوجمت من قبل لواء واحد فقط من الفرقة ٥٢ وفشل اللواء في محاولته. ولا شك أن نشر الهجوم على جبهة بهذه السعة يؤدي الى تشتيت الاسناد الناري واضعاف زخم الهجوم. وقد

كان الاصح حشد نيران مدفعية كثيفة جداً على « علي المنطار » بشكل يكفي لتدمير الدفاعات الموجودة عليه ومهاجمته من الجناح على الخط الذي تقدمت عليه الفرقة ٥٤ والقيام بالتثبيت والمشاغلة فقط من الجبهة. اذ ان الهجوم الجبهوي على المواضع المحصنة المشرفة يؤدي حتماً الى خسائر فادحة كما حدث فعلاً .

٢ – لم تحاول الخطة البريطانية جذب الاحتياطات التركية أو مشاغلتها ، فقد بقيت هذه الاحتياطات خارج المعركة وقامت بهجوم مقابل باهر، حسن التوقيت ، لاحباط الهجوم على « علي المنطار » . ومن المؤكد أن قيام البريطانيين بمحاولات انزال كاذبة شمالي غزة أو بهجوم قوي لخرق الجبهة في منطقة العطاونة مثلاً كانت ستؤدي الى سحب الاحتياطات التركية واشغالها بشكل يجعل من المتعذر عليها القيام بالهجوم المقابل بشكل مؤثر .

٣ – يمكن انتقاد فترة التوقف (يوم ١٨ نيسان) بين صفحتي الهجوم البريطاني باعتبارها أضاعت المباغتة وكشفت الخطة البريطانية للاتراك. ولم تكن هناك ضرورة لاعطاء هذه الفترة الزمنية، فلو استمر البريطانيون في عملية الهجوم دون فسح المجال للاتراك بالتضييق المستمر عليهم على طول خط القتال لامكن كشف نقاط الضعف واستغلالها للحصول على الظفر .

٤ – استخدم البريطانيون في المعركة ثماني دبابات وعدداً من قنابل الغاز السام ، وكان هذان السلاحان في تلك الفترة سلاحين جديدين استعملا في الجبهة الغربية في فرنسة منذ أمد قصير ولم يكن الاستخدام التعبوي لهما متبلوراً على الوجه الصحيح ولا سيا فيما يتعلق بالدبابات اذ لم تكن قدرتها الميكانيكية عالية ، ولذا لم يكن لها تأثير يذكر على سير المعركة، ولم يباغت بها الخصم أو تؤثر على معنوياته كما أن القطعات الهاجمة لم تكن مدربة على العمل مع الدبابات أو استغلال قدرة الدبابات على الاقتحام .

٥ – قرر فون كريس قائد الفيلق ٢٢ وهو القائد المحلي الشروع بهجوم مقابل عام فجر يوم ٢٠ نيسان مستفيداً من حراجة موقف البريطانيين بعد فشل هجومهم على غزة وقد رفض قائد الجيش الرابع جمال باشا الموجود في الخلف الموافقة على ذلك ، وصرف النظر عن الهجوم . وقد تنشأ حالات كهذه في الحرب فمن المفيد مناقشتها . والملاحظ ان البريطانيين كانوا متفوقين على الاتراك بحوالي اربعة أضعاف ، وقد فشلوا بازاحة الاتراك لمناعة المواضع التركية ولأن الاتراك قبلوا المعركة في مواضع منتخبة . ولا شك ان الهجوم المقابل العام كان سيؤدي لالتحامهم بالبريطانيين في العراء وبوضع يستطيع به البريطانيون استغلال تفوقهم على خير وجه وبالنظر لما كان يشكوه الاتراك من نقص في الاشخاص والعتاد فان أي خسائر لا مبرر لها ستؤدي الى إضعافهم ، وهذا ما كان جمال باشا يقدره أحسن من فون كريس وذلك لاطلاعه على الموقف ولتقديره امكانيات الجيش التركي بصورة أصح. وكان فون كريس ضابطاً مجازفاً مندفعاً يقدر الامور ويقيسها بمقياس الجيش الالماني ولذا نرى أن جمال باشا كان مصيباً في قراره لا سيما وأن الاتراك لم يفقدوا أي مواضع يتطلب الموقف استرجاعها بهجوم مقابل .

٥

معركة غزة الثالثة والمطاردة في سهل فلسطين

الموقف البريطاني ـ الموقف التركي ـ خطة الدفاع التركية ـ الخطة البريطانية للهجوم ـ أعمال البريطانيين التمهيدية واستحضاراتهم للهجوم ـ معركة غزة الثالثة ـ المطاردة في سهل فلسطيا ـ الدروس المستحصلة .

الموقف البريطاني

بعد الفشل البريطاني في معركة غزة الثانية أعيد النظر في الموقف بفلسطين مجدداً ، لا سيما بعد أن فشل الفرنسيون في تعرضهم الاخير في شامبين بالجبهة الغربية وخروج روسية من الحرب ودخول الولايات المتحدة فيها . وقبلت وجهة نظر لويد جورج رئيس وزراء بريطانية القائلة بأن خير سبيل لتحطيم ألمانية هو القضاء على حلفائها ، ولذا فمن الضروري العمل على اخراج تركية من الحرب وذلك بتشديد الخناق عليها في جبهتي العراق وفلسطين وتحطيم قواتها المقاتلة فيهما . وقد زاد في خطورة جبهة فلسطين توارد المعلومات عن قيام الاتراك بحشد القوات لاسترجاع بغداد ومعاونة الالمان لهم بذلك بصورة جدية ولم يقم البريطانيون في الجبهة بعمل مهم خلال فترة الصيف باستثناء الاستعدادات والاعمال الادارية التي سيجري ذكرها سوى غارة قامت بها الخيالة والهجانة استهدفت تدمير السكة الحديد التركية المتروكة الممتدة من جنوب بئر السبع الى العوجة بالنظر لقيام الاتراك بمحاولة رفعها والاستفادة

منها في الخط الذي كانوا يعملون بجد لايصاله من التينة الى غزة . وقد جرت الغارة بنجاح تام يوم ٢٣ ايار ١٩١٧ وتم تدمير كل القضبان الحديدية لمسافة ١٣ ميلاً والمواقع والمعابر في محطة عصلوج كما نسفت المخازن وستة جسور ، وعادت القطعات المغيرة دون ضرر .

قررت وزارة الحرب البريطانيـــة تعزيز جبهة فلسطين بسحب بعض القطعات من جبهة سلانيك كما أن الفرنسيين والايطاليين قرروا ارسال قوات رمزية للالتحاق بالحملة البريطانيـة لتثبيت حقوقهم السياسية والكنائسية في فلسطين وسورية ولبنان . وكظاهرة أخرى لبث روح جـديدة في جبهة فلسطين قررت وزارة الحرب البريطانية تعيين قائـد عام جديد ، وقد وقع اختيارها على الجنرال السر ادموند اللنبي الذي كان يبلغ من العمر ٥٦ عاماً وهو من ضباط الخيالة البارزين وكان يشغـل منصب قائد الجيش الثالث في الجبهة الغربية بفرنسة وقد أظهر حنكة وقدرة في معركة آراس .

ووصل اللنبي الى مصر واستلم القيادة يوم ٢٨ حزيران ١٩١٧ ، وكان لويد جورج قد واجهه قبل سفره وبين له رغبته في تقديم القدس هدية للامــة البريطانية بمناسبة عيد الميلاد (أي بعد ستة أشهر) ، وفي الحقيقة كان هدف الجنرال اللنبي السوقي الاصـلي ينحصر في دحر الجيش التركي في فلسطين الجنوبية بقصـد سحب الاحتياطات التركية من منطقـة حلب . وازالة خطر توجيه أية حملة ضد بغداد . وقد قام اللنبي بدراسة الموقف بعد وصوله وفي يوم ١٢ تموز بين لوزارة الحرب احتياجاته وما يتطلبه انجاز الواجب المعهود اليه . وتلخص هذه بما يلي :

فرقتان كاملتان .

إكمال نقص مدفعية الفرق الموجودة لديه ، وإلحـاق مدفعيـة متوسطة للفيالق ومدفعية مقاومة الطائرات .

خمسة أسراب طائرات .

تقوية الصنوف الساندة وسد نقصها (الهندسة . المخابرة . الطبابة) .

وقد لبيت طلباته كلها . وقام اللنبي بالغاء قيادة القوة الشرقية ، وأعاد تنظيم الحملة المصرية بثلاثة فيالق كما يلي : —

فيلق خيالة الصحراء – بقيادة الجنرال شوفل

فرقة خيالة الانزاك

فرقة الخيالة الاسترالية

فرقة الخيالة المتطوعة (١)

الفيلق العشرون — بقيادة الجنرال تشتوود

الفرق ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٤

الفيلق الحادي والعشرون – بقيادة الجنرال بولفين

الفرق ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٥

قطعات المقر العام :

لواء الهجانة الامبراطوري

لواء الخيالة السابع .

لواء خيالة الخدمات الامبراطورية

لواء المشاة العشرون الهندي

وفيما يتعلق بالاعتبارات الاخرى كان الموقف ملائماً جداً للشروع بتعرض كبير في فلسطين ، فقد ساد الهدوء في الصحراء الغربية المصرية ووضعت حامية في واحة سيوة وكان الامن مستتباً في مصر والسودان وأعلنت الحبشة ولاءها . وكانت الثورة العربية موفقة في أعمالها ، فقد استطاعت قوات الامير فيصل الاستيلاء على العقبة يوم ٦ تموز ١٩١٧ وبذا أصبح الجيش العربي في موقف يستطيع به حماية الجناح البريطاني في فلسطين ، وتهديد خطوط المواصلات التركية .

---

(١) المتطوعة :- استعملنا هذه الكلمة ترجمة لكلمة Yeomanry التي يقصد بها الخيالة المتطوعة المجندة من صغار الملاكين والمزارعين الذين كانوا يتطوعون للخدمة في الجيش عند نشوب الحرب في العهود الماضية . وقد احتفظت بعض الكتائب بهذا الاسم كتقليد قديم .

الموقف التركي

كان لنجاح البريطانيين في احتلال بغداد وقع أليم في الامبراطورية العثمانية ولذا قررت القيادة العامة التركية القيام بجهود كبرى لاسترجاع بغداد . وقررت اناطة هذا الواجب بقيادة جحفل جيوش يلدرم (الصاعقة)، على أن يؤلف جحفل الجيوش هذا الجيشين السادس (في العراق) والسابع الذي تقرر حشده في حلب بقيادة مصطفى كمال باشا (رئيس الجمهورية التركية فيما بعد) وتأليفه من الفيلقين الثالث والخامس عشر ويبلغ مجموع الفرق المخصصة للفيلقين سبع فرق ، تسحب من مختلف الجبهات . ويعزز الجحفل بقوة ألمانية خاصة أطلق عليها اسم فيلق آسية وكانت مؤلفة من : ٣ أفواج مشاة ، ٣ رعائل خيالة ، ٣ سرايا رشاشات (مجموعها ١٨ رشاشة) ٣ فصائل هاون (مجموعها ١٢ هاون) ، بطريتي قوس وبطرية مدافع ميدان ، فصيلي مدفعية جبلية ، بطرية مدافع مقاومة الطائرات ، أربعة أسراب من الطائرات مع صنوف ساندة من الهندسة والمخابرة والطبابة وأرتال نقلية ضمنها ٤٠٠ لوري وخدمات ادارية . ويبلغ مجموع القوة ٦٫٥٠٠ محارب وكانت بقيادة العقيد فون فرانشنبرغ وبروشلتز . وكانت هذه القوة مؤلفة من جنود منتخبين ومدربين تدريباً خاصاً للعمل في ميادين قتال الشرق الاوسط . [١] وقد لوحظ في التنظيم القدرة على العمل بجحافل أفواج مستقلة .

وتقرر ان يعهد بقيادة جحفل جيوش يلدرم الى المشير الالماني فون فالكنهاين الذي كان رئيساً لاركان الجيش الالماني من أيلول ١٩١٤ حتى آب ١٩١٦ وكان من الضباط المعترف لهم بالالمعية والنبوغ العسكري وقد وصل الى استانبول يوم ٧ أيار ١٩١٧ وبعد دراسته للموقف وتجوله في المنطقة وضع تقريره الذي اقترح به تشكيل جحفل جيوش يلدرم على الوجه الذي

---

(١) يمكن مقارنة فيلق آسية هذا بالفيلق الافريقي الذي قاده المارشال رومل في الحرب العالمية الثانية .

مر ذكره . وصدر الامر التنفيذي لذلك في حزيران ١٩١٧. ومن الغريب أنه كانت هناك بعثة المانية تعمل في اعادة تنظيم الجيش التركي بقيادة الجنرال ليمان فون ساندرس منذ ثلاث سنوات خلت وقد كسب أعضاء البعثة خبرة في أساليب عمل الأتراك وتفهم نفسياتهم . ولم تستفد القيادة الالمانية العامة من خبرة هذه البعثة ، وانما أوفدت بمجموعة جديدة من الضباط الالمان للعمل في مقر يلدرم ، ولم يستطع هؤلاء التعاون بشكل مثمر مع الاتراك أو تفهم أساليبهم كما سيوضح فيما بعد .

وقد عقد وكيل القائد العام التركي انور باشا بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩١٧ مؤتمراً في حلب حضره عزت باشا قائد جحفل الجيوش التركية في القفقاس ، ومصطفى كمال باشا قائد الجيش الثاني في منطقة بحيرة «وان» ، وجمال باشا قائد الجيش الرابع في سورية ، وخليل باشا قائد الجيش السادس في العراق ، والمشير فالكنهاين وكبار الضباط الالمان . وقد تقرر في هذا المؤتمر واجب جحفل يلدرم ، وهو (القيام بهجوم مقابل لاسترجاع بغداد بالتقدم على محور نهر الفرات) أي طريق هيت – رمادي . وقد تقرر حشد الجيش السابع في حلب لهذا الغرض . وقد اثار جمال باشا في هذا المؤتمر موضوع الخطر الذي يهدد الجبهة الفلسطينية وضعف قواته فيها وطلب تعزيزه بفرقة توضع في الرياق شمال دمشق أي على رأس خط سكة الحديد العريض كاحتياط عام للجبهة . ولم يقبل اقتراحه لاصرار أنور باشا على وجوب استرجاع بغداد وقوله (إن كل جندي يرسل للجبهة الفلسطينية يقلل احتمالات النجاح في استرجاع بغداد).

وفي آب شعر الضباط الالمان الموجودين في جبهة فلسطين وعلى رأسهم فون كريس بأن البريطانيين يبذلون جهوداً هائلة للاستعداد لتعرض كبير على خط غزة – بئر السبع . وانهم سيقومون به حتماً عند انتهاء اشهر الصيف وشعروا بضعف قواتهم ازاء هذا الخطر الداهم واخذوا يطالبون بالحاح بارسال التقويات . واقترحوا تقصير خط دفاعهم بالانسحاب من بئر السبع ورفضت القيادة العامة التركية الاقتراحين . وشدد فون كريس على مطاليبه مبيناً انه

(اذا اخترقت الجبهة الفلسطينية فسيتم للعدو الاستيلاء على سورية وفلسطين وسيؤدي هذا لا الى استحالة استرجاع بغداد فحسب بل الى اضطرار القوات التركية الموجودة في العراق للقتال دفاعاً عن خطوط مواصلاتها التي سيهددها البريطانيون في حلب) . وازاء هذا الالحاح قام فالكنهاين باستطلاع الجبهة الفلسطينية في ايلول حيث لمس خطورة الموقف واستطاع بعد الحاح شديد اقناع أنور باشا بصرف النظر عن فكرة استرداد بغداد والموافقة على سوق الجيش السابع الى جبهة فلسطين فوراً . وصدرت الأوامر اللازمة لذلك في أواخر شهر ايلول .

واستمرت عملية تحشد الجيش السابع في حلب على التكامل ببطء عظيم . وتأخر وصول فيلق آسية الالماني حيث وصل الى استانبول في أوائل أيلول ولم يغادرها الا في شهر تشرين الثاني. وفي نهاية الصيف كان لجحفل يلدرم في حلب أربعة مقرات وهي : مقر يلدرم ومقر الجيش السابع ثم مقر الفيلقين الثالث والخامس عشر ، وثلاث فرق فقط . وتقرر اخيراً اعادة تنظيم القيادة التركية على الوجه التالي :

١ – قيادة جحفل جيوش يلدرم وتكون مسؤولة عن ادارة الحركات في جبهتي العراق وفلسطين .

٢ – الغاء قيادة الجيش الرابع . وان يعهد الى قائده جمال باشا واجب سياسي اداري ، وأطلق على منصبه الجديد اسم (القيادة العامة لبلاد العرب الغربية) وكانت واجباتها تشمل ادارة سورية وفلسطين والدفاع عن سواحلها وحماية خط حديد الحجاز وادارة الحركات في الحجاز وكل ما يتعلق باليمن وعسير . ويمكن اعتبار خلق هذا المنصب من قبيل الترضية أو المجاملة لجمال باشا ، الشخص الثالث في الكتلة الحاكمة بتركية بعد أنور وطلعت . ولم ينظر عند اتخاذ القرار للاعتبارات والضرورات العسكرية ، فقد كانت قيادة يلدرم المسؤولة عن ادارة الحركات في فلسطين وخطوط مواصلاتها غير

خاضعة لها ، هـذا بالاضافة لامتعاض جمال باشا من هذا الترتيب وعدم تعاونه مع مقر يلدرم بصورة مؤثرة .

٣ – تشكيل قيادة الجيش الثامن في جبهة فلسطين من القطعات المرابطة في خط القتال وانيطت قيادة هـذا الجيش بالجنرال فون كريس . وتألف الجيش الثامن كما يلي : –

الفيلق ٢٢ من الفرق ٣ ، ٧ بقيادة الزعيم رأفت بك .

الفيلق ٢٠ من الفرق ٥٣ ، ٥٤ ، ١٦ بقيادة الزعيم علي فؤاد بـك .

الفرقة ٢٧

فرقة الخيالة الثالثة .

٤ – سوق الجيش السابع من حلب الى جبهة فلسطين . ومن الجدير بالذكر أن قائد الجيش مصطفى كمال باشا قد استقال من منصبه ، لعدم تمكنه من الانسجام مع الضباط الالمان ، وقد نقل أثر ذلك الى منصب آخر ، وعين في محله فوزي باشا لقيادة الجيش السابع . وقد تحركت القدمة الاولى من هذا الجيش جنوباً نحو بئر السبع وكانت مؤلفة من الفرقة ١٩ ومقر الفيلق الثالث بقيادة العقيد عصمت بك

ووصلت هذه القدمة الى بئر السبع في ١٣ تشرين الاول ١٩١٧ .

ومما تجدر ملاحظته أن هـذا التردد والمناقشات الطويلة كلفتا القيادة التركية غالياً ، فعند ما توصلت الى القرار الصحيح وهو وجوب تعزيز الجبهة الفلسطينية وأمرت بسوق الجيش السابع اليها كانت الفرصة قد ضاعت ، وكما يقال (سبق السيف العذل) . فقد شرع الجنرال اللنبي بهجومه العام مساء يوم ٣١ تشرين الاول في الوقت الذي كانت فيه القطعات التركية والمقرات المختلفة في طريقها للجبهة ففي يوم ١ تشرين الثاني وصل فالكنهاين ومقره الى القدس . ووصل قائد الجيش السابع فوزي باشا ومقره الى الخليل يوم ٢٧

تشرين الاول ، وقد أدى هذا التردد التركي الى النصر المبين الذي تكللت به حركات البريطانيين .

ومن المفيد الاشارة الى عمل باهر قامت بـه الاستخبارات البريطانية في هذه الفترة عن طريق جواسيسهـا ففي ٦ أيلول ١٩١٧ استطاع الوكلاء البريطانيون نسف محطة القطار في حيدر باشا بأستنبول وهي عقدة مواصلات حيوية وأدى الانفجار الى حريق عظيم دمر مقادير هائلة من العتاد والمعدات الحربية في ساحات المحطة كانت ممدة لاستعمال جحفل يلدرم ، وقد كان لهذا العمل التخريبي نتائج خطيرة على حركات يلدرم .

خطة الدفاع التركية

يبلغ طول خط الدفاع التركي من غزة الى بئر السبع حوالي ٣٢ ميـلا . وكانت غزة قد أصبحت شبه قلعة حصينة وحاميتهـا جيدة التسليح والتجهيز وقد أقام الاتراك بها سلسلة من الاماكن الدفاعية للدفاع من جميع الجهـات وقد أحيطت بالاسلاك الشائكة . ويتراوح عمق المنظومة الدفاعية في منطقة غزة من ١٠٠٠ – ٣٠٠٠ يارد وكانت المسافة بين جبهتي الجيشين المتقاتلين تتراوح بين ٥٠٠ – ١٠٠٠ يارد . وتمتد الدفاعات التركية من تحصينات غزة بشكل خط مستمر الى كعوكة الواقعة على بعد ١٥ ميلاً شمال غربي بئر السبع وكانت الدفاعات في الجناح الأيسر هذا أضعف منها في الجناح الأيمن. وكان الخط بين غزة وكعوكة يتألف من ست منظومات دفاعية وهي غزة ، سيحان ، عطاونة ، بها ، هريرة ، كعوكة . وفي هذه المنطقة كانت مجموعة هريرة والاراضي الكائنة الى شرقها وشمالها والممتـــدة الى تل الشريعة الذي يبعد عنها حوالي سبعة اميال بحكم وضعها الطوبوغرافي تشكل أرضاً مرتفعـة تسيطر على منطقة غزة وخطوط مواصلاتها الى الخلف .

أما دفاعات منطقة بئر السبع فكانت تؤلف مجموعة مستقلة بذاتها تحيط بقرية بئر السبع وتضم هذه المنظومة الدفاعية تـل السبع الواقع الى شرق

القرية ورأس غنام الواقع جنوبها والراقم ١٠٧٠ في جنوبها الغربي وهو أبرز عارضة في المنطقة . وتمتد دفاعات بئر السبع غرباً الى خربة ابو رقّيق . وفيما بين ابو رقّيق وكعوكة كانت ثغرة سعتها اربعة اميـــال اهملها الاتراك لأنها مكشوفة جرداء وعديمة المياه وتسيطر عليها مجموعة هريرة .

وكانت طرق المواصلات بين المنـاطق الدفاعية التركية جيدة اذ ترتبط غزة ببئر السبع بطريق جيد . كما ان بئر السبع ترتبط بالخلف عن طريق الخليل – القدس . وهو طريق صالح للنقلية الآلية . اما السكك الحديد ، فقد كان هناك خط يمتد من محطـة الملتقى أي وادي الصرّار الى بئر السبع ماراً بالتينة والشريعة وهو بمقياس ثلاثة أقدام ونصف قدم . اما الخط الذي كان الاتراك يعملون في مده الى غزة من محطة التينة فقـد وصل الى وادي الحص وكان العمل مستمراً لإيصاله الى مقر الجيش والاحتياط المركزي في هوج .

أما القطعات التركية في الخط الدفاعي فكانت موزعة على الوجه التالي:

١ – الجناح الايمن – الجيش الثامن بقيادة فون كريس ومقره في الحليقات.
الفيلق الثاني والعشرون ومقره في غزة . ويضم الفرقتين ٣، ٥٣ في غزة .
الفيلق العشرون ومقره في هوج . ويضم :
الفرقة ٥٤ في مجموعة سيحان .
الفرقة ٢٦ في مجموعة العطاونة .
الفرقة ١٦ في مجموعتي بها وتل الشريعة .
الفرقة ٢٤ في مجموعتي هريرة – كعوكة .

٢ – الاحتياط – الفرقة ٧ في دير سنيد .
الفرقة ١٩ في عراق المنشية .

٣ – الجناح الايسر – في بئر السبع ويضم :
الفرقة ٢٧ وفرقة الخيالة الثالثة .

وبما أن بئر السبع كانت ستدخل في قاطع الجيش السابع حسب خطة المشير فالكنهاين قائد جحفل يلدرم فقد التحقت قوات الجناح الايسر يوم ١٣ تشرين الاول بقيادة الفيلق الثالث عند وصول قائد الفيلق العقيد عصمت بك ومقره في بئر السبع. ووصلت الفرقة ٢٠ من الفيلق الخامس عشر التابع للجيش السابع الى الرملة يوم ٦ تشرين الثاني قادمة من حلب . وكانت معظم الفرق التركية هذه ضعيفة وناقصة وتتراوح قوتها بين ٤,٥٠٠ — ٥٠٠٠ بندقية أي قوة لواء كامل الملاك. وكان مجموع القوة التركية المدافعة في الجبهة حوالي ٤٠,٠٠٠ بندقية و١,٥٠٠ سيف و٣٠٠ مدفع .

أما القوة البريطانية المتحشدة للهجوم عليها فكانت :

٨٠,٠٠٠ بندقية و ١٨,٠٠٠ سيف و٤٥٠ مدفعاً .

الخطة البريطانية للهجوم

استند الجنرال اللنبي في وضع خطته للهجوم ، على تقدير للموقف وضعه الجنرال تشتوود قائد قوة الصحراء السابق . وقد ايد اللنبي ما جاء فيه بعد درس الموقف دراسة وافية . وقد بني تقدير الموقف هذا على مناقشات أساسية أهمها :

١ — ان الهجوم على غزة يكلف كثيراً من الخسائر ، بالنظر لمناعة الموضع وقوة الحامية وبالرغم مما فيه من مزايا كتيسر الاسناد البحري وسهولة التموين ، الا أنه لا يؤدي لنتيجة حاسمة اذ بوسع العدو التراجع الى موضع خلفي جيد شمال وادي الحص على طريق دير سنيد ، وقد قام باعداده فعلاً . ولذا يجب تجنب توجيه الهجوم الاصلي على دفاعات غزة.

٢ — ان الارض الحيوية في موضع العدو هي المنطقة المرتفعة بين «هريرة - شريعة» الكائنة شمال غربي بئر السبع حيث تسيطر على خط مواصلات غزة . والاستيلاء عليها يرغم الاتراك على الانسحاب على المحور الساحلي. وفي هذه المنطقة مجال واسع لاستغلال التفوق البريطاني الساحق بالخيالة.

٣ – يتطلب الاستيلاء على منطقة هريرة الشريعة الاستيلاء على دفاعات العدو في بئر السبع وتدمير القوة المرابطة فيها، كما وان الاستيلاء على تأسيسات المياه الموجودة فيها سالمة سيسهل انجاز الصفحات المقبلة . أصدر الجنرال اللنبي اوامره للهجوم يوم ٢٢ تشرين الاول دون أن يحدد موعداً للشروع به ، وتضمنت الأوامر الصادرة ما يلي :

١ – المقصد : الهجوم على مواضع العدو في غزة وبئر السبع، وبعد الاستيلاء على بئر السبع القيام بحركة احاطة حول جناح العدو الايسر باتجاه هريرة – الشريعة .

٢ – قيام الفيلق العشرين وفيلق الصحراء الراكب (ناقصاً فرقة تكلف بواجب سد الفجوة بين الفيلقين العشرين والحادي والعشرين) بالهجوم فجراً على بئر السبع على ان يتم احتلالها قبل حلول الظلام . وبعد الاستيلاء عليها والتأكد من سلامة تأسيسات الماء فيها يقوم الفيلق العشرون وفيلق الصحراء الراكب بالتقدم بسرعة لمهاجمة الجناح الايسر لموضع العدو الرئيسي . ويكون هدف الفيلق العشرين الهجوم على دفاعات العدو بين سكة الحديد ووادي الشريعة ومجموعة دفاعات هريرة الكائنة الى شمال الوادي .

٣ يقوم فيلق الصحراء الراكب بعد أن تلتحق به فرقته الثالثة بالتقدم شمالاً للاستيلاء على تل النجلة ومضايقة الجناح الايسر للعدو بشدة اذا ما تصدى لهجوم الفيلق العشرين .

٤ – يقوم الفيلق الحادي والعشرون قبل الهجوم على بئر السبع بأربعة أيام بقصف شديد منظم على دفاعات غزة ويشترك الاسطول بالقصف بصورة مؤثرة . على أن تزداد شدة القصف بمضي الوقت ويقوم الفيلق الحادي والعشرون في موعد يحدد فيما بعد – ومن المحتمل انه سيكون بعد الاستيلاء على بئر السبع وقبل مهاجمة الجناح الايسر للموضوع الرئيسي – بالهجوم على دفاعات غزة من الجنوب الغربي للاستيلاء على منظومة

الدفاعات الامامية بين تل المظلة الواقع على طريق رفح – غزة وقرية الشيخ حسن الواقعة على البحر على بعد ٣ أميال شمال غربي قصبة غزة. وأصدر اللنبي فيما بعد أمراً حدد به يوم ٣١ تشرين الاول موعداً للشروع بالهجوم. وحددت تفاصيل العمل في منطقة بئر السبع على الوجه التالي:

١ – يحتل الفيلق العشرون ليلة ٣٠-٣١ موضعاً للهجوم يوم ٣١ على العدو في بئر السبع من الجنوب الغربي أي جنوب الوادي بفرقتين على أن تستر جناحه الايسر فرقة خيالة ترابط في الاراضي المرتفعة المشرفة على وادي الصوفي ووادي الحنافيش .

٢ – يقوم فيلق الصحراء الراكب باحاطة جناح العدو الايسر في بئر السبع ومهاجمته من الجنوب الشرقي والشرق والشمال الشرقي ويحاول إرغام العدو على التراجع بعيداً عن المدينة ودخول بئر السبع بسرعة لحماية الآبار والمضخات من التدمير . وتكون الخيالة في مواضع اجتماعها بحيث تبدأ بهجومها قبل الفيلق العشرين .

اعمال البريطانيين التمهيدية واستحضاراتهم للهجوم

كانت المعاضل الرئيسية التي تواجه الجنرال اللنبي والتي تتطلب معالجة أساسية ، ثلاثاً ، وهي النقلية والماء والكتمان .وقد اتخذت الاجراءات للتغلب عليها على الوجه التالي : –

١ – النقلية وهي العمود الفقري للخدمات الادارية ، ولم يتيسر ما يكفي منها لدى البريطانيين لتأمين ما تحتاجه المناورة المقررة وهي حمل احتياجات القوة الضاربة المتحشدة أمام بئر السبع والمؤلفة من أربع فرق مشاة وفرقتي خيالة ، وكانت الاحتياجات اليومية لهذه القوة الضاربة تبلغ أكثر من ٥٠٠ طن واستوجب هذا قيام هيئات الركن الادارية بحشد كل النقلية المتيسرة لادامة القوة الضاربة في منطقة بئر السبع التي تبعد بمسافة ثمانية عشر ميلا عن رأس السكة في الشلال

واقتضى هذا حشد ٣٠،٠٠٠ جمل و١٨٠ لوري شقت الطرق لاستخدامها بالاضافة لنقلية العجلات المسحوبة بالخيل . وقد سحبت نقلية فرق الفيلق الحادي والعشرين المرابط أمـــام غزة واستخدمت كقدمة ثانية للفيلق العشرين وفيلق الصحراء الراكب . وبهذه الجهود الكبيرة أمكن تأمين تموين القوة الضاربة بالارزاق والعتاد الى منطقة بئر السبع ولمسير يوم واحد الى ما وراءها .

ونقلت القاعدة البحرية من الاسكندرية الى القنطرة في قناة السويس وقد نظمت هذه بشكل ميناء ذي أرصفة لتفريغ السفن ، ومستودعات كبيرة ، وبذا أمكن تقصير وقت نقل الاكداس للامام . وبالاضافة لذلك فقد كانت أعمال مد السكة الحديد تجري بهمة ونشاط فقد تم قلب الخط الضيق بين القنطرة ودير البلح الى خط عريض . وكان العمل في إيصال الخط العريض الى جبهة القتال يجري بصورة مستمرة وبمعدل ميل واحد يوميـاً ، وقد وصل رأس السكة الى قرب كارم عند شروع البريطانيين بالتعرض . وقد مدت من رأس السكة عدة فروع من المقياس الضيق الى ما وراء الخنادق تسهيلا للعمل على جبهة عريضة وادامة القوة الضاربة بمنطقة بئر السبع .

٢ — الماء : لم تتيسر للبريطانيين نقلية كافية تكفي لتموين الماء الى ما وراء بئر السبع ، ولذا أصبح الاستيلاء على موارد المياه الموجودة في بئر السبع سالمة أمراً حيوياً . وقد استفاد البريطانيون استفادة تامـة من المياه الغزيرة الموجودة في الشلال . وكانت المنطقة بـين بئر السبع ووادي غزة خالية تماماً من المياه وتطلب لسد احتياجات القوة الضاربة من المياه نقل ٤٠٠،٠٠٠ غالون ماء اليها ، وقد نظمت لهذا الغرض أرتال اسقاء مؤلفة من ٧٠٠٠ جمـل وقد خصصت أربعة من هذه الارتال لنقل الماء اللازم ونظمت أجهزة في الشلال تستطيع مـلء ٢٠٠٠ فنطاس ماء في الساعة . وكدست الانابيب والمضخات وأحواض الاسقاء في نقاط أماميـة قريبة للجبهة استعداداً لدفع المـاء الى

الامام فور التقدم . ومن الطريف أن نذكر أن هيئات الركن الادارية البريطانية رجعت الى الكتب المقدسة وكتب التأريخ القديمة بحثا عن مواقع المدن المندرسة بأمل أن تكتشف الموارد التي كانت تستمد منها مياهها ليتسنى لها التنقيب عنها واستثمارها لسد حاجات القوات العسكرية .

٣ – الكتمان : كانت معضلة كتمان التدابير المتخذة لشن هجوم بهذا المقياس الواسع على الجناح التركي الايسر معضلة حقيقية ، اذ ان انكشاف الحركة وحصول الاتراك على معلومات مسبقة عنها سيجعل نجاحها أمراً مشكوكاً فيه جداً . ولذا اتخذ الجنرال اللنبي تدابير متقنة شاملة لتأمين المباغتة والحصول على الكتمان ومن هذه التدابير إعطاء الاتراك شعوراً بالاطمئنان بأن كل ما يجري هو اعتيادي ، واتخاذ التدابير تدريجياً وفي فترة طويلة من الوقت . ولذا أقيمت معسكرات متعددة للقطعات في منطقة واسعة من كارم الى البحر ولم تكن كلها مشغولة وكانت القطعات عند حركتها للتحشد في مواضع اجتماعها في الاسبوع الاخير من تشرين الاول تتنقل ليلاً من معسكر الى معسكر ، وكانت المعسكرات الخالية لا تقوض وتبقى قائمة . واتخذت التدابير لايهام الاتراك بسقي الخيل في المعسكرات الخالية وذلك باحداث غبار في أوقات السقي المعلومة بواسطة مفارز خاصة . ولذا لم يشك طيارو الاتراك بأمر غير مألوف في استطلاعاتهم بينما كانت التنقلات والتحشد قائمة على قدم وساق .

ووضع البريطانيون خطة ايهام تستهدف (جعل الاتراك يعتقدون أن الهجوم الاصلي سيوجه الى غزة وأن البريطانيين يتظاهرون بانهم سيهجمون في اتجاه بئر السبع وان كل ما يقومون به في منطقة بئر السبع هو من قبيل الغش ليس الا) . وبثت الاشاعات حول انزال بحري بريطاني شمال غزة والقيام بنشاط بحري يوحي بذلك كحشد سفن انزال صغيرة واجراء استطلاعات بحرية . واذيعت رسائل مجفورة سهلة الحل تضمنت معلومات مغلوطة

لتركيز هذه الفكرة لدى الاتراك . وكان آخر هـذه التدابير القصف الشديد على غزة قبل مهاجمة بئر السبع بأربعة أيام ونشاط الفيلق الحـادي والعشرين بالجبهة كما لو كان يستعد للهجوم . واستمرت استطلاعات الخيـالة باستمرار في جبهة بئر السبع وبشكل منتظم لاقنـاع الأتراك بأن العمل الحاسم في اليوم المقرر هو استطلاع آخر فتتم مباغتتهم. وقد ارجئت التدابير الادارية النهائية كفتح مستشفيات الميدان ومحطات إخلاء الخسائر الى اللحظة الاخيرة حرصاً على المباغتة .

وقد كان لخدعة بسيطة ابتكرها أحـد ضباط الركن البريطانيين تأثير كبير في سير الحركات فقد قام هذا الضابط في يوم ١٠ تشرين الأول بمرافقـة دورية استطلاع راكبة توجهت نحو الخطوط التركية وتظاهر هذا الضابط بأنه أصيب وأسقط ناظوره وبعض مـا يحمله ومن جملة ذلك حقيبة تحتوي مجموعة من الاوراق وبعض النقود وقد لوثها بالدماء من جرح أحدثه في حصانه وكانت الاوراق الموجودة في الحقيبة تتضمن مفكرة بهـا تفاصيل عن مؤتمر عقد في القيادة العامة البريطانية تقرر به توجيه الهجوم الاصلي نحو غزة وتوقيته مع انزال بحري في شمالها على أن تجري بنفس الوقت مظـاهرات تقوم بها الخيالة والمشاة في منطقة بئر السبع لخدع الاتراك . وقـد اثار البريطانيون ضجة مفتعلة حول فقد هذه الحقيبة وقد تعمدوا اشعار الاتراك باهتمامهم في الموضوع. وكانت الحقيبة تضم بالاضافة لما ذكر أعـلاه رسائل مجفورة من النوع الذي يسهل حله ويمكن الاستفـادة منه لحل رسائل اخرى مجفورة من نفس النوع هذا بالاضافة الى رسائل أخرى شخصية ذات طابع عائلي . وقد تبين فيما بعد أن هـذه الخدعة أثرت تأثيراً كبيراً في فون كريس وتشير المصـادر التركية المنشورة بعـد الحرب الى ذلك بمرارة وتلوم فون كريس الـذي انطلت عليه الخدعة وجعلته يقوم بسلسلة من الاجراءات المغلوطة لتأثره بها ، واهمها عدم تقديره لخطورة حركات البريطانيين في جناحه الايسر .

وأخيراً لا بد من القول ان كل هذه الاجراءات البريطانية الواسعة النطاق

ما كانت لتثمر لو لم تؤمن القوة الجوية البريطانية التفوق الجوي وتنتزعه من الالمان في أوائل أيلول ، وبـذا منعت طائراتهم من الحصول على معلومات صحيحة ودقيقة ومتكاملة عن حركات البريطانيين .

معركة غزة الثالثة

٣١ تشرين الاول – ٦ تشرين الثاني ١٩١٧
الخريطة رقم (٥)

يمكن تقسيم هذه العملية التي أطلق عليها المؤرخون العسكريون اسم معركة غزة الثالثة ، الى ثلاث صفحات متداخلة كما يلي : —

الصفحة الاولى : معركة بئر السبع والاستيلاء عليها .
الصفحة الثانية : الهجوم على غزة .
الصفحة الثالثة : الهجوم على « هريرة – الشريعة » واختراق الخط التركي.

شرعت مدفعية الجيش والاسطول بقصف دفاعات غزة حسب الخطـة اعتباراً من يوم ٢٦ تشرين الاول ، وازدادت شدة القصف تدريجيـاً حتى وصلت الى حد لم يسبق له مثيل في الجبهة . وفي مساء يوم ٣٠ تشرين الاول، كان الفيلق العشرون وفيلق الصحراء الراكب مجتمعين وحاضرين للحركة ليلا نحو مواضع الاجتماع . ولم تكن حركة فرق الفيلق العشرين الثلاث ليـلا وانفتاحها دون انكشاف الامر للاتراك ، بالمعضلة اليسيرة وقـد اتخذت اجراءات شاملة لتأمين ذلك وكان منها اقامة خط ستار قوي أمام الجبهة منذ مدة لطرد دوريات العدو ، والحركة للامام بجحافل ألوية ، والتوقف بالوديان نهاراً واقتصار التنقل على الليل فقط .

معركة بئر السبع (٣١ تشرين الاول ١٩١٧) :

تقع قصبة بئر السبع في بقعة منبسطة تحيط بها التلال الصخرية من الشمال والشرق والجنوب . أما من الغرب أي من الناحية التي تدخلها السكة الحديد

فالمنطقة واسعة مكشوفة وكانت مواضع الاتراك تبعد عنها ثلاثة الى اربعة أميال وهي على اقواهـا في الجنوب الغربي والجنوب حيث تحيطها الاسلاك الشائكة . أما من الشرق والشمال فكانت ضعيفة وغير محاطـة بالاسلاك . وكانت التحصينات التركية على العموم يعوزها العمق واقتصرت على خط واحد في معظم الاحوال . أما الحامية التركية الموجودة في بئر السبع فكانت بقيادة مقر الفيلق الثالث الذي يقوده عصمت بك ، وتتألف من الفرقة ٢٧ وفرقـة الخيالة الثالثة وعناصر من الفرق ١٦ ، ١٩ ، ٢٤ ويبلغ مجموع الحامية حوالي ٤٠٠٠ بندقية و ١٠٠٠ سيف و ٥٠ رشاشة متوسطة و ٢٨ مدفعـاً . أما القوة البريطانية المتحشدة ازاءها فكانت فرقتي خيالة وثلاث فرق مشاة أي حوالي ١٢٠٠٠ سيف و ٣٠٠٠٠ بندقية و ٢٤٠ مدفعاً فكان التفوق البريطاني ساحقاً وقـد استهدف منه الحصول على ظفر سريع حاسم والاستيلاء على موارد المياه وما معها من معدات سالمة والحيلولة دون تدميرها .

كانت الخطة البريطانية للهجوم على بئر السبع تنطوي على مهاجمة الفرقتين ٦٠ و ٧٤ للمواضع التركية في جنوب غربي البلدة على جبهة طولها ٥٠٠٠ يارد وقيام لواء الهجانة والفرقة ٥٣ بستر الجناح الايسر لهذا الهجوم ازاء تدخلات العدو المحتملة من استقامة هريرة وبالاضافة لذلك تهديد بئر السبع من الشمال.

أما فيلق الصحراء فكان على فرقتيه القيام بسير ليـلي لمسافة ٣٠ ميلا والوصول فجراً الى شرقي بئر السبع وقطع الطريق المؤدي منها الى الخليل ، واقتحام البلدة من هذه الناحية بالاستفادة من ضعف المواضع التركية . وكلف لواء الخيالة السابع المستقل بستر الجناح الايسر لفيلق الصحراء والعمل بالثغرة بينه وبـين الفيلق العشرين . والى شمالي فيلق الصحراء أرسلت مفرزة هجانة خاصة بقيادة العقيد (نيوكمب) والحق بها قسم من الجيش العربي للقيام باستدارة واسعة وسد طريق الخليـل ليحول دون تقدم التقويات التركية نحو بئر السبع .

شرع الفيلق العشرون بالهجوم بالساعة ٠٥٥٥ على تل الراقم ١٠٧٠ حيث

هاجمه لواء من الفرقة ٦٠ واستولى عليه في الساعة ٠٨٣٠ بعد قصف شديد ، وفي الساعة ١٣٣٠ استولت الفرقتان على كافة الاهداف وتطهرت مواضع العدو بين طريق خلاصة ووادي السبع . ونجح الهجوم الموجه من الشمال ايضاً . وفي الساعة ١٩٠٠ انهى المشاة عملهم ولم تتجاوز خسائر الفيلق العشرين ١٢٠٠ بين قتيل وجريح ، وأسروا ٥٠٠ تركي واستولوا على ٦ مدافع .

تحرك فيلق الصحراء الراكب – ناقصاً فرقة كما سبق بيانه – من مواضع اجتماعه مساء يوم ٣٠ في حركة احاطة على طريقين وعرين بلغ طولهما ٢٥و٣٥ ميلاً تقريباً ، فقطعها ليلاً دون حادث يذكر وفي الساعة ٠٨٠٠ من يوم ٣١ تشرين الاول انفتحت فرقة «الانزاك» التي كانت مقدمة الفيلق للهجوم على مواضع العدو في شرقي وشمال شرقي بئر السبع حسب الخطة ، وأبقيت فرقة الخيالة الاسترالية في احتياط الفيلق. وفي هذه الفترة وصل لواء الخيالة السابع المستقل الى رأس غنام الواقع جنوب بئر السبع وانفتح فيها راجلاً لستر الثغرة بين الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء وكان هدف فرقة «الانزاك» في هذه الصفحة الاستيلاء على مواضع العدو القوية الواقعة في تل السبع الذي يقع على بعد ٣ أميال شرقي البلدة وهو تل مشرف على الارض المنبسطة الواقعة في جبهته ، ولم يتم الاستيلاء عليه الا في الساعة ١٥٠٠ بعد قتال عنيف . واتضح للجنرال شوفل قائد فيلق الصحراء أن الوقت يمضي سراعاً ، وما لم يتخذ اجراءات سريعة جديدة فسيفشل في تحقيق واجبه ، وهو الاستيلاء على بئر السبع وموارد مياهها قبل حلول الظلام. ولذا أمر احد ألوية فرقة الخيالة الاسترالية وهو لواء الخيالة الخفيفة الرابع باقتحام البلدة بهجوم راكب عبر الارض المنبسطة البالغة حوالي اربعة اميال كانت تفصله عن البلدة . وكان ما تبقى من ضوء النهار لا يزيد على ساعة واحدة عندما انفتح اللواء للهجوم على جبهة كتيبتين ثم اندفع بسرعة جعلته يخرج من مدى المدفعية والرشاشات التركية حيث كانت تصب نيرانها خلفه دون ان تنتبه لتقصير المدى ، واختلت تدابير الاتراك الذين كانوا قد وطدوا العزم على القتال حتى حلول الظلام للاستفادة

منه للانسحاب بعد تخريب موارد المياه . وتكللت حركة الخيالة البريطانية الجريئة هذه بالظفر واستطاع فيلق الصحراء أسر ١٤٠٠ تركي والاستيلاء على ١٤ مدفعاً ، ولم يفقد لواء الخيالة القائم بالحملة سوى ٣٢ قتيلا و٣٢ جريحاً سقط معظمهم في القتال الراجل قرب الخنادق التركيــــة . وكان لهذه الحملة تأثير كبير على المعنويات اذ أفعمت الخيالة بالثقـة حيث أثبتت ان في وسعهم الحملة على المشاة ومقاتلتهم وطردهم من خنادقهم مما زعزع ثقة المشاة الاتراك وأوهن عزيمتهم وسادت بين ألوية الخيالة روح مباراة منافسة لكسب انجازات مماثـلة .

وانتهى بهذه الصورة القسم الاول من خطة اللنبي ، حيث تم الاستيلاء على بئر السبع وموارد مياهها سالمة وتم تدمير الحامية التركية المدافعة عنها. وقد بوغت الاتراك بزخم الهجوم البريطاني واتجاهه ، ونجحت خطط البريطانيين في التمويه عليهم بما قاموا به من مناورات في قاطع غزة. وكان من نتائج هذه المباغتة عدم تدخل القطعات التركية المرابطة في هريرة للتأثير على جنـــاح البريطانيين أثناء مهاجمتهم بئر السبع ، وانهيار مقاومة حاميـــة بئر السبع تحت تأثير التفوق البريطاني الساحق الذي لم يكن متوقعاً قط .

وتلقي المصادر التركية اللوم بالدرجة الاولى على عاتق فون كريس قائد الجيش التركي الثامن لايمانه المطلق واعتقاده بأن الهجوم البريطاني سيوجه على غزة وقد كان لخدعة (الحقيبة) التي مر ذكرها أثر كبير في قناعته هذه ، ولذا فبالرغم من التقارير المتكررة التي كان يتلقاها من قائد القوة المرابطـــة في بئر السبع عن نشاط العدو في جبهته وخطورة الموقف لم يتخذ أي إجراء لاعتقاده بأن هذه الحركات ليست سوى عمليات تمويـه يقوم بها العدو . وقد استلمت قيادة الجيش التركي السابع قيادة القوات المنسحبة من بئر السبع في منتصف ليلة ٣١ تشرين الاول – ١ تشرين الثاني وقد وصل قائد هذا الجيش فوزي باشا مع مقره مؤخراً الى الخليل . وكان الموقف في جبهته حرجاً وغير واضح ، ولم تتيسر لديه سوى الفرقتين ١٦و١٩

أما فلول الفرق ٢٤ و٢٧ وفرقة الخيـــالة الثالثة فلم يتمكن فوزي باشا من السيطرة على بقايا سيوفها وفلولها المتراجعة الا بعد ثلاثة أيام استطاع بعدهـا ادارة القتال في الجناح الايسر من الجبهة التركية بعزم وبسالة .

الهجوم على غزة (١ – ٧ تشرين الثاني) :

كان الجنرال اللنبي قد جعل توقيت الصفحات التالية من تعرضه متوقفاً على انكشاف صفحة الهجوم على بئر السبع وموقف تموين الماء . وبعد أن تم له الاستيلاء على بئر السبع في الوقت المحدد وفشل الاتراك في تدمير آبار المياه ، أصدر أوامره بتوقيت عملية الهجوم لاختراق الخط التركي والاستيلاء على دفاعات « هريرة – الشريعة » في يوم ٣ تشرين الثاني أو فجر يوم ٤ وحدد ليلة ١ – ٢ تشرين الثاني موعداً لشروع الفيلق الحـــادي والعشرين بالهجوم على غزة . وكانت جبهة الهجوم تمتد من تل المظلة الى الشيخ حسن وهي مسافة تزيد على ٥٠٠٠ يارد . وكان قد شرع في قصف دفاعات غزة اعتباراً من يوم ٢٦ تشرين الاول ، واخذت شدة القصف تزداد بمرور الزمن واشتركت في ذلك مدافع مختلفة العيار بلغ عددها ٢١٨ مدفعـــاً بالاضافة لمدفعية الاسطول . وشرع بالصفحة الاولى من الهجوم في الساعة ٢٣٠٠ وكان هدفها الاستيلاء على تل المظلة ، وقام بها لواء من الفرقة ٥٢ وتم له الاستيلاء على هدفه في الساعة ٢٣٣٠ من نفس الليلة . وشرع بالصفحة الثانية في الساعة ٣٣٠. أي بعد أربع ساعات وقامت بها الفرقة ٥٤ وباسنادها ست دبابات، مستهدفة الاستيلاء على الشيخ حسن وتم لها ذلك في الساعة ٦٣٠. وبنتيجة العملية أسر ٦٥٠ من الاتراك ، ودفن منهم في ساحة المعركة ١٠٠٠ شهيد ، وخسروا ثلاثة مدافع . أما خسائر الفيلق الحادي والعشرين البريطاني فبلغت ٣٥٠ قتيلا و ٣٥٠ مفقوداً و ٢٠٠٠ جريح . وقد هدد الاستيلاء على الشيخ حسن مواضع الجيش التركي تهديداً خطيراً وقد حققت العملية هدفهـا وهو تثبيت حامية غزة ومنع الاتراك من توجيه احتياطهم الى الجنـاح الايسر .

وقد اضطر الاتراك نتيجة الخسائر الفادحة التي كابدوها بالقصف الى سحب احدى فرقهم من الخط الامامي وتعويضها بفرقة من الاحتياط .

الهجوم على « هريرة – الشريعة » واختراق الخط التركي :

كان موقف قطعات الجناح الايمن البريطاني يوم ١ تشرين الثاني أي غداة احتلال بئر السبع كما يلي : –

فيلق الصحراء :

١ – فرقة « الانزاك » تتقدم الى الشمال بين طريق الخليل وتل ابو جروال الكائن على ستة أميال شمال بئر السبع للتحري عن الماء ولحماية الجناح.

٢ – فرقة الخيالة الاسترالية في الاحتياط في بئر السبع .

٣ – فرقة الخيالة المتطوعة في الشلال لستر الفجوة بين الجناحين البريطانيين.

الفيلق العشرون :

١ – الفرقة ٥٣ تتقدم نحو أبي جروال والى يمينها لواء الهجانة لحماية جناحها وتأمين الارتباط بين الفيلق ٢٠ وفيلق الصحراء .

٢ – الفرقة ١٠ التي التحقت بالفيلق حديثاً كفرقة رابعة في طريقها من الشلال لاستلام مواضع الفرقة ٥٣ في أبي رقيّق .

٣ – الفرقتان ٦٠ و ٧٤ تستعدان للتعاون مع الفرقة ٥٣ بمهاجمة جناح الموضع التركي الايسر في كعوكة – هريرة – الشريعة .

وقد سبق للبريطانيين اعداد خطة مفصلة للعمل مسبقاً الا أن هذه الخطة لم تطبق بتأثير عاملين خطيرين . أولهما الخطأ في تقدير كمية الماء الموجود في بئر السبع وجوارها حيث تبين أنه أقل بكثير مما قدره البريطانيون . أما العامل الثاني فكان الهجوم التركي المقابل شمال بئر السبع ، وسنتطرق لهذا العامل بشيء من التفصيل .

أصدر مقر « يلدرم » أمره للجيش السابع باسترجاع بئر السبع على أن يعاونه عند الاقتضاء الجيش الثامن ، ووضعت بأمرته لهذا الغرض الفرقة ١٩ التي كانت باحتياط الجيش الثامن . وبدأ الجيش السابع تعرضه المقابل بالقضاء على مفرزة (نيو كمب) التي كانت قد اندفعت الى شمال الظاهرية ووصلت الى بضعة أميال من الخليل ، وقد استسلمت المفرزة التي كان موجودها لا يزيد على ٧٠ شخصاً يوم ٢ تشرين الثاني اذ كانت قد طوقت من جميع الجهات. وكانت القوة التي نظمها الجيش السابع للقيام بالهجوم المقابل مؤلفة من فرقة الخيالة الثالثة والفرقة ١٩ وبقايا الفرق ٢٤ و ٢٧ أي حوالي ثمانية أفواج . وتوجه الهجوم نحو جناح البريطانيين الايمن ، ودار القتال في الارض المرتفعة في منطقة الخويلفة — أبي خوف الكائنة على بعد عشرة أميال شمال غربي بئر السبع ، واستمر طيلة يومي ٢ و ٣ تشرين الثاني . وبالنظر لحراجة موقف الماء بالنسبة للقطعات الراكبة البريطانية فقد صدرت لها الاوامر بالانسحاب للسقي وقرر اللنبي تأجيل الهجوم على « هريرة — الشريعة » الى يوم ٦ تشرين الثاني . واستمر القتال في منطقة الخويلفة يومي ٤ و ٥ ولم ينجح الاتراك في محاولة طرد البريطانيين من موقع رأس النقب الواقع شرقي الخويلفة كما لم يستطيعوا التأثير على استحضاراتهم للهجوم على خط « هريرة — الشريعة » .

أكمل البريطانيون استحضاراتهم ليلة ٥–٦ وفي فجر يوم ٦ شرعوا في الهجوم على اتجاهين . الاتجاه الاول وقد قام به الفيلق العشرون حيث هاجم خط « هريرة — الشريعة » متوجهاً من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي بجبهة فرقتين وهما ٧٤ في اليمين و ٦٠ في اليسار ، وكانت الفرقة ١٠ في الاحتياط في الخلف ، وكان محور الهجوم العام خط السكة الحديد. وتهيأ فيلق الصحراء للزحف على هوج وجمامة فور استيلاء الفيلق ٢٠ على اهدافه .

كانت المواضع تبدأ من النقطة الاستنادية في هريرة وتمتد الى الجنوب الشرقي مارة بكعوكة حتى السكة الحديد، ويبلغ طولها حوالي ٧٠٠٠ يارد وقد اشغلت المواقع منذ ستة أشهر وبذلت جهود كبيرة لتحصينها .

وكانت المواضع محاطة بالاسلاك الشائكة ومنظمة بالعمق ولها رصد جيد على الارض المكشوفة أمامها ، وتمتد المواضع عبر السكة الحـديد لستر محطة الشريعة لمسافة ٦٠٠٠ يارد الا انهـا بشكل خط منفرد ضعيف غير معزز بأسلاك شائكة . وقد فتح الفيلق العشرون فرقه الثلاث للهجوم على الترتيب التـالي . الفرقة ٧٤ في اليمين الفرقـة ٦٠ في المركز الفرقة ١٠ في اليسار . وكانت فرقة الخيالة المتطوعة في جناح الفيلق الايسر لستر الثغرة البالغة ١٥ ميلاً بينه وبين الفيلق العشرين .أما باقي فيلق الصحراء فكان في الجناح الايمن كما مر ذكره .

كان محور هجوم الفيلق العشرين يتجه من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي متوخياً الالتفاف حول الموضع التركي ودفعه نحو الساحل ، وكانت خطـة الفيلق تتضمن .

١ – الفرقة ٧٤ وواجبها احتلال المواضع التركية شرقي خط السكـة لستر تقرب الفرقة ٦٠ المعززة بلواء من الفرقـة العاشرة الى مواضع كعوكة غربي خط السكة الحديد . ومن ثم تقوم مدفعية الفرقـة ٧٤ بمساندة هجوم الفرقة على اهدافها .

٢ – الفرقة ٦٠ المعززة بلواء من الفرقة العاشرة ، وواجبها احتلال مواضع كعوكة غربي خط السكة الحديد ومن ثم التقدم شمالاً للتعاون مع الفرقة ٧٤ باحتلال محطة الشريعة والارض المرتفعة الكائنة الى شمالها .

٣ – الفرقة العاشرة – ناقص لواء – باحتياط الفيلق .

بدأ هجوم الفيلق بتعرض الفرقة ٧٤ في الساعة ٠٥٠٠ من يوم ٦ تشرين الثاني وقطعت مسافة خمسة أميال كانت تفصلها عن خطة السكة الحديد ، ثم استولت على أهدافها في الساعة ١٣٣٠ وبعد ذلك شرعت الفرقة ٦٠ بمهاجمة دفاعات كعوكة واستولت عليها في الساعة ١٦٣٠ وتوجه بعد ذلك هجوم الفرقتين ٧٤ و٦٠ نحو محطة الشريعة الا أن شبوب حريق كبير فيها وتعالي أصوات الانفجارات التي كانت تدوي منها – حيث كان الاتراك يقومون بتدمير المدخرات – سببت توقف الهجوم وانسحب الاتراك بعـد حلول الظلام . وفي فجر يوم ٧

استولت الفرقة ٦٠ على الارض المرتفعة المسيطرة في تل الشريعـة واستولت الفرقة ١٠ على منظومة هريرة حيث اخلى الاتراك المنطقة ليلاً .

استحصل فون كريس موافقة فالكنهاين على اخلاء غزة منذ يوم ٤ تشرين الثاني وشرع في الانسحاب اعتباراً من ليلة ٥-٦ وتم قبيل منتصف ليلة ٦-٧ ، وفي فجر يوم ٧ تشرين الثاني دخل البريطانيون غزة الخـالية من الاتراك . وقام البريطانيون فجر يوم ٦ بهجوم ثان باتجاه آخر وهو نحو الخويلفة حيث قامت الفرقة ٥٣ ولواء الهجانة بمحاولة لابعاد الاتراك ، واستمر القتال طيلة يومي ٦ و٧ دون نتيجة، الا أن الاتراك أخلوا مواضعهم ليلة ٧-٨ وتراجعوا بموجب خطة الانسحاب العامة . وتم بذلك انتصار البريطانيين واستيلاؤهم على خط «غزة - بئر السبع» بعـــد قتال استمر سبعة أيام ، وانفتح أمام قوات اللنبي طريق التوغل في قلب فلسطين .

المطاردة في سهل فلسطيا

٧ - ١٦ تشرين الثاني ١٩١٧

(الخريطة رقم ٩)

حركات يوم ٧ تشرين الثاني

قدر اللنبي حراجة موقف الاتراك صبيحة يوم ٧ تشرين الثاني وشعر أن عدداً كبيراً منهم أصبح في متناول خيـــالته الكثيرة فيما لو اندفعت بجرأة وعزم . وكان قد سبق النظر وأصدر بعد ظهر يوم ٦ تشرين الثاني أوامره الى فيلق الصحراء بالتهيؤ للاستفادة من فرص النجاح . واعيد تنظيم القوات فقد كانت فرقة الخيالة المتطوعة مكلفة بحماية الجناح الايمن من حركات العدو المحتملة من اتجاه الخليل وكان اللواء النيوزيلاندي من فرقة «الانزاك» في التلال الكائنة شمال بئر السبع . وقد أرغم الهجوم المقابـل التركي الذي جرى في منطقة أبي خوف في الايام الثلاثة الماضية الخيالة البريطانيـة الى صرف النظر عن الاحاطة الواسعة التي كان من المقرر القيام بها والاستعاضة عنها بالمرور من

الثغرة المفتوحة بالخط التركي . وجدير بالملاحظة أن الخيالة البريطانيـة كانت إما في حالة اشتباك في القتال أو في حالة تنقل منذ يوم ٣١ تشرين الاول وان خيلها كانت في حاجة الى مـاء وعلف . وفي ليلة ٦-٧ أصـدر قائد فيلق الصحراء أوامره لفرقة «الانزاك» باحتلال محطـة المميدات ، ولفرقة الخيالة الاسترالية بالتحشد في محطة الشريعة . وكان تقدم الخيالة يوم ٧ مخيباً للآمال، وقد استولت فرقة «الانزاك» على محطـة عميدات وأسرت ٤٠٠ تركي الا ان مؤخرة الجيش التركي أوقفتها بالقرب من تل أبي دقاقة الواقع على بعد بضعـة أميال عن شمالها وبالرغم من جهود فرقة الخيالة الاسترالية وفرقة المشاة ٦٠ التي كانت تتعاون مع فيلق الصحراء نجحت المؤخرة التركية في ايقاف هذه القوة ومنعها من التقدم باحتلال موضع قوي على بعد ميل واحد شمال الشريعة ولم تنسحب منه المؤخرة حتى حلول الظلام .

وكانت المطاردة اكثر نجاحاً في جبهة الفيلق الحادي والعشرين في قاطـع غزة حيث اندفعت الفرقة ٥٢ على موازاة الساحل ، ووصل لواؤها الامامي الى وادي الحص وعبره بالقرب من مصبه قبل حلول الظـلام ، كما عبر لواء آخر من الفرقة ليلاً . وقامت الفرقة ٥٤ بتطهير دفاعات غزة ، واندفع لواء الخيالة الامبراطوري المستقل للامام ، الا ان المؤخرة التركية أوقفته في بيت حانون عند حلول الظلام . وقد حدد حركة الفيلق ٢١ للامام وجود نقليته بامرة الفيلق ٢٠ كما سبق ذكره وكانت هذه النقلية الآن في طريقهـا للعودة الى وحداتها الاصلية . ويتضح من دراسة تطور الحركات في يوم ٧ أن مؤخرة الجيش التركي لم تتضعضع ولم يقلقها تسرب القطعات البريطانيـة الى ما وراء اجنحتها ، فقد صمدت وقاتلت طيلة اليوم بثبات وقد استمر قسم منها يقاتل في مجموعة العطاونة في الامام على خط الدفاع الاصلي طيلة النهار، وقد أثر هذا القسم بمدفعيته (التي كانت ترمي بكثافة للتخلص من العتاد المكدس بالمواضع) على نقلية الفيلق ٢١ التي كانت في طريق العودة وسبب اعاقتها عن الالتحاق بفيلقها في الوقت المحدد .

حركات يوم ٨ تشرين الثاني :

تلقى فيلق الصحراء الأوامر بوجوب التقدم السريع نحو « هوج – الجمامة » وقطع الطريق على القوة التركية المنسحبة من العطاونة ، وصدرت الأوامر لفرقة الخيالة المتطوعة ولواء الهجانة بالالتحاق بفيلق الصحراء ، وعززت فرقة «الانزاك» بلواء الخيالة السابع المستقبل للتعويض عن اللواء النيوزيلاندي الموجود في بئر السبع . وبالرغم من الجهود المبذولة لم توفق فرقة « الانزاك » بالاستيلاء على الجمامة الا في الساعة ١٥٠٠ . أما في منطقة هوج فقد جرى قتال مرير واضطرت الفرقة ٦٠ في الساعة ١٤٠٠ الى طلب المساعدة من الخيالة للقيام بهجوم راكب لاكتساح المدفعية التركية التي كانت مكشوفة الجناح . وقد قامت قوة مرتبة من الخيالة بهجوم راكب جريء مباغت عبر أرض مكشوفة وباسناد ناري ضعيف ، واستطاعت بجسارتها تدمير المدفعية التركية وارغام جنودها على الهروب الا أنها تحملت خسائر فادحة بلغت ٧٠ من أصل ١٦٢ شخصاً قاموا بالهجوم الراكب وقد قتل ١٠٠ جواد من أصل ١٧٠ وتم الاستيلاء على ١١ مدفعاً وأسر ٧٠ تركياً بالاضافة للعدد الكبير من القتلى ، وتم للفرقة بفضل هذه العملية الاستيلاء على هوج .

استمر التقدم ببطء في السهل الساحلي حيث كانت الفرقة ٥٢ مشتبكة مع مؤخرة العدو التي كانت تقاتل بعناد واستمرت القوة الجوية البريطانية في قصف أرتال العدو المنسحبة بقنابرها ورشاشاتها وقد أدت حركات هذا اليوم الى منع الاتراك من إشغال موضعهم الثاني المعد شمال وادي الحص واضطروا لاخلائه والانسحاب شمالاً . وبالرغم من فشل فيلق الصحراء بقطع خط رجعة القوات التركية المنسحبة حيث نجحت المؤخرات بالتملص شمالاً ، الا أن القوات التركية كانت منهكة وقد وهنت عزيمتها مما حفز الجنرال اللنبي على الاستمرار في الحركات بعنف وشدة للاستفادة من حراجة الموقف التركي.

حركات يوم ٩ تشرين الثاني :

حدد اللنبي بأوامره لهـذا اليوم اهداف فيلق الصحراء بالخط « بيت داراس – التينة » . الكائنة وراء خط نهر سكرير وهو خط دفاع يحتمل صمود الاتراك عليه ، الا ان الفيلق لم يستطع تنفيذ ذلك لقلة الماء والاعياء ، وكانت فرقة الانزاك وحدها حاضرة للتقدم فجر يوم ٩ حيث استطاعت اسقاء خيلها ، وتخلفت الفرقتان الاسترالية والمتطوعة عن التقدم . واستطاعت فرقة « الانزاك » التقدم الى المجدل ثم بيت داراس ومنها الى اسدود . وقد ازداد عدد أسرى الاتراك كثيراً في هذا اليوم حيث كانت مقاومة قطعاتهم المنهكة اقل منها في أي وقت مضى ، ومن المؤكد أن مشاركة فيلق الصحراء بفرقه الثلاث في المطاردة في هذا اليوم كانت ستؤدي الى قلب الانسحاب التركي الى هزيمة شعواء .

وفترت سرعة المطاردة كثيراً يومي ١٠ و ١١ لقلة المياه والانهاك وتردي الموقف الاداري بصورة عامـة ، حيث لم تستطع البحرية البريطانية انزال المدخرات على الساحل الا بعـد احتلال مصب نهر سكرير وتأمينه بصورة كافية . وقد انسحبت قوات الجناح التركي الايسر بعد مظاهرة بسيطة يوم ١٠ الى بيت جبرين .

الموقف مساء يوم ١١ تشرين الثاني :

كان موقف القطعات البريطانية كما يلي :

١ – فيلق الصحراء : فرقة « الانزاك » ومعها لواء الهجانة تحتل رأس جسر عبر نهر سكرير وقد التحقت بها مساء يوم ١١ فرقة الخيـالة المتطوعة . اما فرقة الخيالة الاسترالية فكانت في طريقهـا الى الجنـاح الايمن حيث احتلت عراق المنشية والفالوجة واتصلت بخط الانزاك

وتم توسيع رأس الجسر . أما اللواء النيوزيلاندي فبقي في بئر السبع لحماية الجناح الايمن .

٢ – الفيلق الحادي والعشرون : الفرقتان الاماميتان ٥٢ و ٧٤ تحتلان رأس جسر عبر نهر سكرير على خط بيت داراس – اسدود وقد اشتبك اللواء الامامي للفرقة ٥٢ في قتال عنيف أمام اسدود يوم ١٠ اما الفرقة ٥٤ ولواء الخيالة الامبراطوري وباقي قطعات الفيلق فكانت في غزة .

٣ – الفيلق العشرون : الفرقة ٥٣ شمال بئر السبع . الفرقة ٦٠ في هوج . الفرقتان ١٠ و ٧٤ في كارم . وبصورة عامة كان هذا الفيلق باستثناء الفرقة ٦٠ متأخراً الى الخلف وغير مشترك في المطاردة .

قرر اللنبي الاستمرار على مضايقة العدو وعدم فسح المجال له للدفاع عن محطة وادي الصرار (محطة الملتقى) التي كان يلتقي فيها خط لسكة الممتد جنوباً الى بئر السبع وباتجاه غزة مع الخط الممتد للقدس. وقضى يوم ١١و١٢ بالتهيؤ للهجوم على الخط الذي كان الاتراك يقومون باعداده على وادي الصرار ونهر روبين بين القبيبة التي تبعد ٥ اميال عن البحر وبيت جبرين. ولم يتيسر لهم لأشغال هذا الخط اكثر من ١٥٠٠٠ محارب . وقد نجح اللنبي نتيجة تضييقه المستمر على الاتراك ولا سيما عند السهل الساحلي حيث لم يسمح لهم باختيار مواضع ملائمة لقتال التعويق او الصمود في خطوط تتيح لهم الفرصة لاعادة تنظيم قطعاتهم .

حركات يوم ١٢ تشرين الثاني . الهجوم المقابل التركي :

تقدمت فجر يوم ١٢ الفرقة ٥٢ البريطانية بمحاذاة الساحل للاستيلاء على مصب نهر سكرين وطرد الاتراك من مواضعهم بين قريتي برقة ويازور الكائنين شمال النهر وبمسافة ثلاثة اميال بين الواحدة والاخرى . وكانت هذه العملية جزءاً من الخطة التي نوى اللنبي انتهاجها لاحتلال محطة وادي الصرار وهي حشد قواته في جناحه الايسر ومهاجمة الجناح التركي الايمن في الاراضي الساحلية المكشوفة فيتم له بذلك شق الجبهة التركية وفصل الجيشين التركيين السابع والثامن ، وكان بهذا يعرض جناحه الايمن لهجوم تركي مقابل

يوجه عليه من استقامة بيت جبرين . وقد احتاط لهذا بتخصيص فرقة الخيالة الاسترالية لمراقبة الجناح وستره .

شاهدت الدوريات الامامية البريطانية فجر يوم ١٢ نشاطاً كبيراً في محطة التينة وهي محطة ملتقى السكة المؤدية الى بئر السبع مع الخط الذي كان يجري مده نحو غزة . وكان الجند التركي ينزل من الشاحنات باعداد كبيرة في المحطة . وحوالي الظهر شوهدت ثلاثة ارتال تركية قويـــة تتقدم من الشمال الشرقي وكانت قوة الهجوم المقابل التركية مؤلفة من حوالي ٥،٠٠٠ محارب مجموعين من فلول الفرق ٥٤ ، ٥٣ ، ٢٦ ، ١٦ وقد أمنت لهم المدفعية التركية اسناداً قوياً وبذلت القطعات التركية المنهكة والجائعة جهداً خارقاً وشجاعة متناهية . واضطرت الخيالة البريطانية الى التراجع تحت الضغط وانسحبت الى مسافة اربعة اميال دون ان يكون لهذا الانسحاب اي تأثير خطر على الجبهة البريطانية العامة ودون ان تمنى بخسائر كبيرة حيث لم تتجاوز خسائرهـــا ٥٠ شخصاً . وفي خلال فترة الهجوم المقابل التركي على الجناح البريطـــاني الايمن كان هناك قتال عنيف في الجناح الايسر البريطاني حيث نجح البريطانيون في طرد الاتراك من مواضعهم وفي تثبيت اقدامهـــم على ضفة نهر سكرير الشمالية والحصول على مواضع ملائمة لمهاجمة محطـــة وادي الصرار فقد مضي اللنبي في تنفيذ خطته غير آبه لما يقوم به الاتراك في جناحه الايمـــن وذلك بفضل تفوقه الساحق وضعف عدوه وتزعزع معنوياتـــه . وقد أدى التوغل البريطاني في السهل الساحلي الى سحب معظم القطعات التركية القائمة بالهجوم المقابل الى الشمال والى صرف النظر عن الاستمرار به يوم ١٣ .

احتلال محطة وادي الصرار :

وضع اللنبي نصب عينه ضرورة الاستيلاء على محطة وادي الصرار المهمة باعتبارها ملتقى الخطوط الحديديـــة المؤدية الى القـــدس ويافا وبئر السبع ومنطقة غزة ، وكانت خطته لتأمين ذلك مبنية على استغلال اندفاع جناحه

الايسر للامام مما يسهل احاطة الجناح التركي الايمن . وتضمنت التفاصيل التالية :-

يقوم الفيلق الحادي والعشرون بالهجوم ، وتقوم فرقة الخيالة الاسترالية بحماية جناحه الايمن ، ويقوم باقي فيلق الصحراء بحماية جناحه الايسر . وقرر قائد الفيلق الشروع بالهجوم في الساعة ٠٨٠٠ من يوم ١٣ تشرين الثاني على ان يبدأ قصف المواضع التركية في الساعة ٠٧٠٠ وان يكون الهجوم بجبهة فرقتين . الفرقة ٧٥ في اليمين وهدفها الخط (تل الترمس - القسطينة - يازور) والاندفاع من هذا الخط في الصفحة الثانية الى المسمية . وكانت الفرقة ٥٢ في اليسار وهدفها في الصفحة الاولى الخط (يازور - بشيت) والاندفاع منه في الصفحة الثانية الى (قطرة) . وبعد احتلال الفيلق للخط (مسمية - قطرة) يندفع الى هدفه النهائي الخط (محطة وادي الصرار - المنصورة) بعد تقديم المدفعية للامام .

تقدمت الفرقة ٧٥ بجبهة لواءين يوم ١٣ واستطاعت الوصول الى المسمية قبيل حلول الظلام دون ان تمنى بخسائر كبيرة ، وبناء على ذلك قرر قائد الفرقة دفع لوائه الخلفي للاستمرار بالتقدم واحتلال محطة وادي الصرار ليلا . الا ان اللواء تأخر في تقدمه لعدم وضوح الاهداف واشتبك بكتل الاتراك المنسحبة بمعارك شديدة بالحراب واستطاع الوصول الى المحطة والاستيلاء عليها في الساعة ٠٨٣٠ من يوم ١٤ بالتعاون مع المدرعات وقد عثر فيها على قاطرتين وستين شاحنة بحالة صالحة للاستعمال وكميات كبيرة من الارزاق والمياه . أما الفرقة ٥٢ فقد وصلت « بشيت » دون صعوبة واستولت فرقة الخيالة المتطوعة على «يبنا» . وكانت معظم القرى في هذه المنطقة مبنية على رواب صخرية ومحاطة بسياجات من النباتات الشوكية كالصبير مما يجعلها مراكز منيعة للمقاومة وكان أمنع هذه القرى قريتا المغار وقطرة حيث أوقفتا تقدم الفرقة ٥٢ مما اضطرها لطلب مساعدة الخيالة . فقام لواء الخيالة السادس من الفرقة المتطوعة بهجوم راكب جريء على قرية

المغار في الساعة ١٥٠٠ من يوم ١٣ استطاع بـه اكتساح الموضع التركي واسر ١٠٠٠ تركي والاستيلاء على مدفعين و١٤ رشاشة ولم تتجاوز خسائر اللواء ١٥٠ شخصاً وفي خلال هـذه الفترة نجحت الفرقة ٥٢ بالاستيلاء على قطرة . وفي ليلة ١٣–١٤ استولت الفرقة الاسترالية على التينة التي اخلاها الاتراك .

وفي صبيحة يوم ١٤ تشرين الثاني كانت القطعات التركية بحـالة انسحاب عام نحو الشمال والشرق حيث كان الجيش التركي الثامن ينسحب شمالاً الى خط يافا – اللد مع مفارز لستر الرملة واللطرون وكان الفيلق العشرون من الجيش السابع ينسحب نحو خلدة . واستولت الفرقة ٥٢ على المنصورة دون مقاومة في الساعة ١٠٣٠ من يوم ١٤ . وتقدمت فرقة الخيالة المتطوعة الى خط مقابل قرية ابو شوشة الواقعة على بعد أربعة أميال شمال محطـة وادي الصرار . وقامت فرقة «الانزاك» بتطهير القبيبة وزرنوقة وعقير ، وفي هـذه المنطقة بدأت القطعات البريطانية لأول مرة تصادف المستعمرات اليهودية الحديثـة الاوربية التنظيم . وكانت هذه المستعمرات الصهيونيـة بطبيعة الحال ترحب وتتعاون مع الغزاة الجدد مبتهجـة لتخلصها من حكم العثمانيين المسلمين الذين وقفوا بوجه تسليم فلسطين للصهيونيين ، وهو ما وعد البريطانيون بالعمل على تنفيذه في وعد بلفور الذي صـدر قبيل هذه الاحداث بفترة وجيزة في (٢ تشرين الثاني ١٩١٧) . وقـد دارت معركة حامية بين اللواء النيوزيلاندي والمؤخرة التركيـة قرب ريشون لوزيون (عيون قارة) أقـدم المستعمرات الصهيونية في فلسطين (تأسست في سنة ١٨٨٢) عصر يوم ١٤ تشرين الثـاني انسحب بعدها الاتراك شمالاً . وفي يوم ١٥ استمرت القطعـات البريطانية على التقدم وتطهير الجيوب وتم الاستيلاء على تـلول ابي شوشة واللد والرملة وفي يوم ١٦ انتهت صفحة المطـاردة في سهل فلسطيا حيث حصلت فرقة الخيالة الاسترالية على التماس مع المواضع التركية في اللطرون واستولى اللواء النيوزيلاندي على يافا . أما الجانب التركي فكان موقفه كما يلي :

١ – الجيش التركي الثامن : يحتل خطاً دفاعياً طوار نهر العوجة .

٢ – الجيش التركي السابع : يدافع عن القدس في منطقة تلال يهودا ، وعلى قوس واسع يمتد من جنوب الخليل الى محور «عمواس – القدس» .

وفي خلال العشرة ايام التي تلت معركة غزة الثالثة أي من ٧ تشرين الثاني الى ١٦ منه تقدمت القطعات البريطانية ٥٠ ميلا تقريباً ، وكبدت الأتراك خسائر فادحة ضمنها ١٠٠٠٠ أسير واستولت على ١٠٠ مدفع ، أما خسائرها هي فبلغت حوالي ٦٠٠٠ وبالرغم من عدم نجاح اللنبي في تدمير القوات التركية تدميراً تاماً إلا انه انزل بها خسائر جعلت صمودها في الجبهة الفلسطينية أمراً متعذراً وانفتحت أمامه ابواب القدس الشريف .

الدروس المستحصلة

بدأت معركة غزة الثالثة فجر يوم ٣١ تشرين الاول ١٩١٧ واستمرت سبعة أيام متواصلة حيث انتهت يوم ٧ تشرين الثاني على خط يبلغ زهاء ٥٠ كيلومتراً واشتبك بها ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ مقاتل كما استعملت فيها شتى انواع الاسلحة ، ومنها ما يزال مستعملا حتى يومنا هذا . وساهمت فيها القوات الجوية والبرية والبحرية ، ودارت على مختلف انواع الاراضي فكانت صحراوية رملية في منطقة بئر السبع ، ومبنية ومشجرة في منطقة غزة . ولذا ففي دراسة معركة كهذه فائدة كبيرة حيث نستخلص منها دروساً قيمة يمكن مناقشتها مع اخذ تطور التنظيم والتسليح بمرور الزمن نصب العين دوماً .

١ – دور القائد :

سيبقى دور القائد المسؤول عن ادارة المعركة عاملا خطيراً في تأثيره على النتائج مهما تطور فن الحرب فهو مصدر القرارات والمسؤول والمشرف الاعلى على تنفيذها ويمكن لمس تأثير تبدل القائد مما حدث في القوات البريطانية فقد كان اللنبي من ابرز القادة البريطانيين أثناء الحرب العالمية الاولى وبدأ تأثير

شخصية اللنبي القوية يظهر في اعمـــال مرؤوسيه فكانت ادارة القطعـــات البريطانية في معركة غزة الثالثة تختلف تماماً عما سبقها وشعرت القطعات بان القائد الجديد يتمتع بثقة وزارة الحرب ولمست ذلك في سرعة تلبيـــة طلباته وكان اللنبي كثير التجول بين الوحدات للاطلاع على احوالها وتعريف شخصه لها ، لم يرض ببقاء مقره بعيداً في الخلف في القاهرة بل قرر أن يتولى ادارة القتال بنفسه ، وأن يمسك بزمام الامور بيده فنقل مقره المتقدم من القاهرة الى أم الكلاب الكائنة قرب رفح .. ثم اعاد تنظيم قواته وقضى على الفوضى التي كانت سائدة فألف منها ثلاثة فيالق انتخب قادتها ممن يعتمد عليهم وبذا عاد الى التنظيم العسكري الصحيح ووضع الامور في نصابهـــا . وكان اللنبي يمتاز بمثابرته وعزمه فهو لايقبل بأنصاف الحلول وقد انتزع المبادأة من الاتراك وبقي محتفظاً بها الى انتهاء الحرب بفضل تفوقه عليهم وقد كان واقفاً تماماً على خطورة العامل الاداري في الحرب فكان لا يقدم على حركة ماقبل أن يطمئن الى أنها تستند على اساس اداري صحيح .

أما في الجانب التركي فقد كان القائد المسؤول في اول الامر الجنرال فون كريس الألماني وفي اواخر شهر ايلول ١٩١٧ أي قبيل التعرض البريطاني أعيد تنظيم القيـــادة التركية ، وتقرر اناطة المسؤولية بمقر جحفـــل يلدرم . وتحرك مقر الجيش السابع التركي لاستلام المسؤولية في منطقة بئر السبع فوصـــل الخليل يوم ٢٧ تشرين الاول اي قبل تعرض اللنبي بأربعة أيام ، وباشر اعماله مساء يوم معركة بئر السبع بعد استيلاء البريطانيين عليها اي يوم ٣١ تشرين الاول . ووصل المشير فالكنهاين القائد العام لجحفل يلدرم الى القـــدس يوم ١ تشرين الثاني أي بعد سقوط بئر السبع بيوم واحـــد . ويتضح من هذا أن الضربة البريطانية نزلت في وقت كانت به المقرات التركية في حالة اعـــادة تنظيم فاختـــل توازنها وتناقضت الاوامر ويعزو كثير من المؤرخين الاتراك الفشل الى تسليم القيادة المباشرة للالمـــان ولا سيما بمستويات الفرق والفيـــالق والجيوش حيث كانوا يجهلون نفسية الجندي التركي وشعوره واسلوبه في العمل

وتقول المصادر التركية ان اوامر هؤلاء كانت تصدر بالالمانية وتترجم للتركية بشكل مشوه غير مفهوم فيتعذر تنفيذها على الوجه المطلوب. ويوجه المؤرخون الاتراك لوماً شديداً الى فون كريس لغروره واستهتاره وتمسكه بوجهة نظره وعدم تنسيقه اعماله وحركاته مع الجيش السابع التركي وقد ادى كل هذا الى عزله عن منصبه في كانون الاول ١٩١٧ وايداع قيادة الجيش الثامن التركي الى ضابط تركي وهو اللواء جواد باشا .

٢ – المباغتة :

ان المبدأ العسكري الخالد الذي ينص على أن (المباغتة في الحرب أقوى أنواع الاسلحة وأشدها تأثيراً) يبرز في هذه الصفحة من الحركات بالاجراءات التفصيلية الواسعة التي قام بها اللنبي لتأمين المباغتة بكتمان نواياه وخدع عدوه بخطط تمويه واسعة النطاق لجعل الاتراك يعتقدون بأن الضربة ستوجه الى غزة . وقد سبق شرح هذه التدابير التي كان منها تأسيس المعسكرات الواسعة وابقاؤها على حالها بالرغم من عدم وجود قطعات بها وادامة النشاط الاعتيادي المألوف بالجبهة ومد الطرق والسكك لجميع الاتجاهات لا لاحد الاجنحة فقط . واجراء التنقلات ليلاً فقط وفي آخر لحظة ممكنة . والاساليب المبتكرة كحيلة (حقيبة ضابط الركن) المعلومة . ولم يخدع العدو بأن الهجوم سيوجه الى غزة بتدابير صورية فقط بل باجراءات عملية كالقصف المستمر والهجوم الفعلي والتهديد بالانزال البحري وبالتفوق الجوي الساحق الذي حرم العدو من الاستطلاعات الجوية المفيدة . وبعد انكشاف الهجوم البريطاني استطاع اللنبي ادامة المباغتة بعد أن اتضح اتجاه الضربة وذلك بحجم القوة المتحشدة وسرعة الحركة والاستخدام الجريء للخيالة بالهجوم الراكب وبالتضييق المستمر في كافة المواقع وبالتعاقب كما مر ذكره .

٣ – الامن :

تستهدف اجراءات الامن من حيث الاساس منع العدو من المباغتة ،وذلك بمراقبته مراقبة دقيقة تكشف عن نواياه وتتم هذه المراقبة عن طريق هيئات الاستخبارات الكفوءة التي تقوم بجمع المعلومات وتمحيصها وتنسيقها ، ويتضح من دراسة سير الحركات في هـذه الصفحة انّ هيئات الاستخبارات التركية كانت تعوزها الكفاءة ، فبالرغم من انها شعرت باستحضارات العدو لتعرض واسع النطاق منذ شهر آب ١٩١٧ فانها لم تحاول الحصول على معلومات كافية عن نواياه واتجاهاته فقد كان الدفـاع التركي على خط غزة – بئر السبع سلبياً تماماً ولم تكن دورياتهم نشطة على طول خط الجبهة كما تقضي الاصول وقد يعزى ذلـك لتفوق البريطانيين في الصنفين الاساسيين للحصول على المعلومات وهما القوة الجوية والخيـالة مما حرم الاتراك من مصدرين ثمينين للمعلومات ، ويضاف الى ذلك البون الشاسع في مستوى كفـاءة المخابرة اللاسلكية في الجيش البريطاني وكانت في الاخيرة مرتفعة جداً حيث كانت المخابرة اللاسلكية البريطانيـة تقوم بالتنصت واستراق الرسائل اللاسلكية ، وكثيراً ما كانت الاستخبارات البريطانية تستلم هذه الرسائل التركية وتحـل جفرتها وتوزعها على المقرات البريطانية المسؤولة قبـل وصولها للتشكيلات التركية نفسها . وكانت المخابرة اللاسلكية البريطانية تقوم بالاضافة الى ذلك باذاعة رسائل حربية صورية تستهدف منها خدع الاستخبارات التركية ، وقد نجحت كثيراً بذلك كما مر ذكره . ومن الجدير بالذكر ان فالكنهاين اصدر اوامره وهو في حلب في اواخر تشرين الاول بوجوب القيام بنشاط استطلاعي طوار الجبهة لكشف نوايا العدو ، وقـد قامت الخيالة التركية بالاستطلاع يومي ٢٧ و ٢٨ تشرين الاول في الجنـاح الايسر الا ان الخيالة البريطانية المتفوقة منعتها من ذلك .

٤ – عامل الوقت :

تتجلى خطورة عامل الوقت في الحرب باتخـاذ القرارات المصيبة بالسرعة

اللازمة فللسرعة خطورة لا تقل عن الدقــة ، وكل تضييع للوقت لا يمكن تعويضه . ومن امثلة ذلك ، الوقت الثمين الذي اضاعه الاتراك في التوصل الى القرار الصحيح حول استخدام قطعات يلدرم ، وهو قرار لو اتخذ في الوقت المناسب لامكن انقاذ الموقف وايقاف الهجوم البريطاني دون شك . وكمثال آخر ، نورد توقيت اللنبي للشروع في هجومه . فقـد كانت النية في الاصل القيام بالهجوم في شهر ايلول بقصد الاستفادة من اطول فترة ممكنة بين نهـاية الصيف الحار وموسم هطول الامطار ، الا انه اتضح ان تأخر وصول بعض القوات سيجعل اكمال التدريب وانجاز التدابير الادارية متعذراً قبـل اواخر تشرين الاول فقرر اللنبي قبول تأخير موعد الهجوم الى أواخر تشرين الاول مع احتمال هطول الامطار في شهر تشرين الثاني واعاقتها عن الهجوم ، وذلك عوض الشروع بالهجوم بتدابير ادارية ناقصة وقطعات غير مدربة ولا شك في ان قرار اللنبي هذا كان قراراً سديداً أملته عوامل ضرورية .

٥ – التدريب :

ان التدريب هو حجر الزاوية في كسب النصر في المعارك . وقـد قدر اللنبي هذا فوضع مناهج تدريبية مفصلة لقطعاته طيلة فترة الصيف منذ استلامه القيادة في اواخر حزيران الى حين شروعه بالهجوم في اواخر تشرين الاول ، وكان التدريب يستهدف رفع مستوى اللياقة البدنيـة والكفاءة في استعمال الاسلحة . وبذلت العناية لجعل القطعات ولا سيما الخيالة منها مدربة على القيام بمسيرات طويلة في اراضٍ وعرة وبكميات محدودة من الماء . وكانت وحدات المشاة تمارس تمارين الهجوم على مواقع دفاعية نموذجية مشابهة لدفاعات قاطع غزة . وكانت القطعات دائماً اما في الجبهة أو في الاحتياط او في معسكرات التدريب حيث تتنقل بين هذه الواجبات الثلاثة بفترات منظمة وبشكل دوري ولما حل موعد العمل الحاسم كانت الوحدات البريطانية بجنودهـا وحيواناتها لائقة للعمل من كل الوجوه ومستعدة لاداء ما طلب منها .

٦ – العامل الاداري :

الادارة مبدأ من مبادىء الحرب الاساسية فما لم تستند العمليات العسكرية على تدابير ادارية رصينة تؤمن كافة احتياجات القوة القائمة بها من طعام وماء ووقود وعتاد واخلاء طبي وتعويض وسد النقص بوجه عـــام فلن يكتب لها النجاح . وكان الجانب البريطاني كما سبق بيانه شديد الحرص على تأمين هـذه الاحتياجات يساعده على ذلك المال ووفرة الوسائل ، وكان يصل في تدابيره الادارية الى حد الافراط احياناً . ولم يقدم اللنبي على التعرض الا بعد أن تأسست قاعدة بحرية جديدة في القنطرة واصبح خط السكة الحديد بينها وبين دير البلح مزدوجاً ومدت فروع منـه الى كارم والشلال . وتم انشاء احواض كبيرة لخزن المياه ونظمت أرتال اسقاء كبيرة واتخذت الاجراءات اللازمـة لنقل المؤن بحراً وتفريغها على السواحل الضحلة . ونظمت ارتال نقلية مختلفة الانواع فمن قوافل العجلات الآلية الى أرتال الحمير والجمال وكانت كلها تعمـل لتلبية رغبات القطعات ، ونرى في سحب نقليـة الفيلق ٢١ والحاقها بالفيلق العشرين مثالاً لمرونة استخدام النقلية . ومدت اعمـدة البرق الثابتة وفتحت شبكة من الطرق والسبل لتسهيل المواصـلات الى كافة القواطع . واستغرقت هـــذه الجهود فترة طويلة سبقت وصول اللنبي وقد يكون من المفيد درج ما كتبه اللنبي حول جهود سلفه فيهذا الباب حيث كتب (ارغب في أن ابدي شكري لسلفي الفريق السر ارشيبالد موراي الذي بفتحـــه طريق الصحراء بين مصر وفلسطين وضع اساس تقدم قوة الحملة المصرية وقد نلت ثمرة تبصره في العواقب وعمق تفكيره السوقي الذي جلب مياه النيل الى حدود فلسطين ، وللخطـة الرشيدة التي وضعهـــا للحركات العسكرية التي دحرت الاتراك من مواضعهم القوية الواقعة على حافة الصحراء والحـدود المصرية ، ولمده السكة الحديدية العريضة الى أبواب غزة .. فما قام بتنظيمه في سيناء ومصر كان ثابتاً وطيد الاركان وكان حجر الزاوية في كل انتصاراتي) .

ولو نظرنا الى الجانب التركي لوجدنا العكس تماماً فالجندي التركي يشكو

الجوع والحرمان والنقص في كل شيء، ولا يحلم بالحصول على عشر الترفيه المتوفر لخصمه البريطاني ومن المفيد هنا ذكر مقتبس من تقرير رفعه فون كريس للقيادة العامة التركية عن الموقف الاداري لقطعاته حيث كتب « لقد ظهرت مؤخراً بين القطعات اصابات متعددة بالالتهابات المعوية وقد ادت في كثير من الاحوال الى الوفاة . ويرى الاطباء ان سبب ذلك يعود الى اشتداد البرد ليلاً ولتأثر المراتب به لانهم مجهزون بملابس صيفية خفيفة فقط فأرجو تأمين ملابس شتوية تؤمن لهم الدفء وبالاضافة الى ذلك ارسال ٣٠،٠٠٠ الى ٥٠،٠٠٠ بطانية واتخاذ ما يلزم لتأمينها من المانية او النمسا . ان تغذية جنودنا رديئة فمنذ عدة اشهر اقتصر طعامهم على البرغل وحساء الطحين ، وان استمرار الطعام بهذا الشكل ودون تبدل يفقد الانسان الرغبة في تناوله ويضعف بدنه . ولذا ارجو ان امكن صرف اللحم لهم بالاضافة للعدس والفاصولية والبزالية لتأمين بعض التنوع . ان الخيم التي صرفت لنا منذ امد بعيد لم تعد بذات نفع لقدمها فأرجو صرف ما يكفي لتبديل قسم منها على الاقل » . ونظرة بسيطة للمقارنة بين الموقف الاداري للطرفين تدل على ان النتيجة المتوقعة للحركات العسكرية الوشيكة الوقوع واضحة لا تقبل النقاش .

٧ – خطة الدفاع التركية :

يوجه النقد لخطة الدفاع التركية من عدة نواح . الاولى منها سعة الموضع حيث كان لا يتناسب مع القوة المتيسرة لاشغاله إذ لم يتيسر في خط القتال فعلاً اكثر من ٢٥،٠٠٠ بندقية للدفاع على جبهة طولها ٣٠ ميلاً تقريباً وقد اشغلت هذه الجبهة الواسعة على حساب التضحية بالعمق . وقد نوقش موضوع الدفاع في بئر السبع باعتباره ضرورة تستوجبها حماية الآبار الموجودة فيه لسد طريق « الخليل – القدس » في وجه العدو او عدم الدفاع فيه والاكتفاء بتدمير الآبار ، اذ ان اشغال بئر السبع يستوجب تمديد الجناح بشكل يجعل القوة المكلفة بالدفاع عنه منعزلة ومهددة بخطر التدمير دون امكان التعاون

معها كما حدث فعلاً . ولا شك ان الصمود في بئر السبع كان افضل لو تيسرت القوة الكافية والعمق ومنظومة المواصلات الداخليـة والقيادة اللازمة لادارة المعركة التي لا يمكن السيطرة عليها من غزة . وقد تم وضع التدابير الصحيحة لمعالجة ذلك ، عندما وزعت جبهة الدفاع التركية الطويلة بين الجيشين السابع والثامن وعندما تولى مسؤولية القيادة في بئر السبع مقر الفيلق الثالث التركي الا ان كل ذلك وقع متأخراً وقبيل الهجوم البريطاني فلم يكن ذا فائدة .

والناحية الثانية التي تناقش في خطة الدفـاع التركية هي قبول المعركة بشكل فاصل على خط بئر السبع - غزة او عدم قبولهـا ، والانسحاب الى خط آخر قوي مستحضر في الشمال . فيتم بذلك ارغام البريطانيـين على اتخاذ تدابير جديدة للهجوم ، وكسب الوقت الى حين تكامل وصول قطعات يلدرم . والخط الثاني المقترح في هذه الحـالة هو خط (وادي الحص - جمامة - الظاهرية - البحر الميت) وبالرغم من ميل الضباط الالمان الى هذه الخطة اي اخلاء بئر السبع واشغال موضع دفاعي في المنطقة الوعرة جنوب الخليـل لحماية القدس من الجنوب . لم يسعهم الالحاح على تنفيذهـا لاسباب سياسية لان الانسحاب عن الاراضي التركية كان يؤثر على معنويات الاتراك ، وكذلك كان اخلاء غزة بدون قتال بعد ان فشل البريطانيون مرتين في الاستيلاء عليها امراً لا يستسيغه الرأي العام التركي هذا بالاضافة الى القيمة الدينية لغزة حيث تضم قبر هاشم جد الرسول (صلعم) . ومن الناحية العسكرية لا بد من القول ان الحل الصحيح كان عدم قبول المعركة بشكل فاصل على خط غزة - بئر السبع ما لم يتكامل وصول باقي قطعات يلدرم وعلى الاخص فيلق آسية الالمـاني . والناحية الثالثة التي يمكن مناقشتها في خطة الدفاع التركية هي التضحية بالعمق وعدم الاحتفاظ بقوات كافية في محلات مركزية للهجوم المقابل بالنطاق المحلي وبنطاق عام . ولا يمكن توجيه نقد للاتراك حول ذلك لان سعة الموضع وقلة القطعات المتيسرة ارغمتهم على ذلك ، وقد ادى تفوق العدو الساحق بالقوة الناريـة والخيالة الى ذوبان

الاحتياطات التركية وتلاشيها بشكل مبكر ، كما حدث نتيجة قصف غزة ، دون ان تستطيع منع العدو من تحطيم معاقل الدفاع .

٨ – خطة اللنبي للهجوم :

تبين لنا من دراسة خطة اللنبي للهجوم أنها استندت الى مناقشة صحيحة للعوامل المختلفة بالرغم من ان بعض المؤرخين يرون ان الهجوم على الجناح التركي الايمن أي منطقة غزة واختراق الخط التركي من القاطع الساحلي وتعزيز الهجوم بانزال بحري واحاطة قصيرة بالقطعات الراكبة كان سيؤدي الى نتائج احسن بالنظر للتفوق الساحق الذي كان للبريطانيين مما جعل الأمر يختلف تماماً عن معركتي غزة الاولى والثانية ، ويتجلى من مناقشة خطة اللنبي كما سبق شرحها،ان لهذا المسلك محاذيرجمة في حالة نجاح الاتراك في الانسحاب بانتظام وانه سيؤدي الى خسائر كبيرة لمناعة الموضع . بينما توخى اللنبي بخطته ازاحة الاتراك من مواضعهم بالمناورة والتضييق وبأقل خسارة ممكنة وقد حقق ذلك فعلاً . هذا وان تجديد الهجوم في قاطع سبق الفشل فيه كما في حالة غزة مضر بالمعنويات ومن الاصح تجنبه . واجمالاً كانت خطة اللنبي مستندة الى اسس رصينة فقد احرز المبادأة واحتفظ بها طيلة فترة التعرض بضربات متلاحقة في مناطق متعددة مما اتعب احتياط عـدوه وجعله بحالة حركة دائمة فكان في حيرة دائمة من امره . واستطاع اللنبي الحصول على المباغتة وتوفق لحشد قوته الضاربة في المكان والزمان الجازمين كما تقضي اسس الحرب الصحيحة وتمسك بهدفه المتوخى ولم يسمح لعدوه بأن يثنيه عنه . وبالرغم من ان تفوقه ضمن له النجاح مقدماً الا أن الانصاف يقتضي القول أن مهمة اللنبي لم تكن سهلة فقد كانت جبهة الهجوم واسعة والعـدو قوي ومعنوياته عالية ، وكانت القطعات الموجودة امـامه خيرة قطعات الجيش التركي ممن قاتلت في سيناء وغاليبولي وغاليسيا وقفقاسية وسبق لها ان احبطت هجومين بريطانيين على غزة بنجاح تام .

٩ –الانسحاب التركي:

من الواضح ان الانسحاب التركي بعد القرار على أخلاء الخط الدفاعي ليلة ٦ – ٨ لم يكن منسقاً وفق خطة عامة تتضمن الرجوع من خط قتال الى خط قتال آخر سبق تثبيته، فقد فقد الآمرون السيطرة ولم تتسم العمليات بطابع منسق واحد، ولا سيما بين الجيشين السابع والثامن وبدأت سيطرة مقر يلدرم على الأمور مائعة وضعيفة وقد يعود هذا بالدرجة الاولى للتضييق البريطاني المستمر وكسبهم للمبادأة وارغامهم الاتراك على الانقياد لرغباتهم. وقد سادت الفوضى المناطق الخلفية التركية يوم ٩ تشرين الثاني بتأثير الشائعات عن تسرب البريطانيين الى مؤخرة الاتراك. ويصف فون كريس ذلك بكتابه المسمى (سيناء) على الوجه التالي (حدث بعد ظهر يوم ٩ تشرين الثاني فوضى عارمة في التينة قاعدة العتاد الرئيسية ورأس السكة لجبهة الجيش الثامن وتفشت بين الاعداد الكبيرة من الجنود الموجودين فيها وكانوا خليطاً من شتى الوحدات كالقوة الجوية وارتال النقلية وغيرها. بدأت الفوضى بالقصف الجوي الشديد الذي قامت به تشكيلات جوية معادية قوية وقد سبب هذا القصف انفجارات عديدة في أكداس العتاد وأدى الى قطع أسلاك المخابرة البرقية والتلفونية. ثم حدث هياج عندما انتشر نبأ اختراق الخيالة المعادية لجبهة الجيش التركي وانها كانت بطريقها الى مقر الجيش الثامن في التينة. وقد انزلت هذه الفوضى بالجيش الثامن ضربة فاقت بتأثيرها كل ما لاقاه في قتاله العنيف الطويل وبالرغم من ان هذه الاشاعة كانت كاذبة وغير قابلة للوقوع الا انها سببت هرجاً في الوحدات فشرعت تشكيلات كثيرة بالانسحاب دون أمر ثم انقلب انسحابها الى هزيمة ولم يمكن ايقاف أعداد كبيرة من الضباط والجنود الا بالقدس او بالشام! وقد كان للتبدل السريع في مناطق الوحدات وفقدانها الاتصال بأرتال نقليتها وانهيار منظمة المواصلات الداخلية بكاملها تأثير مدمر على موقف الجيش الثامن كله). ويروي العقيد (حسين حسني

امير) معاون رئيس اركان يلدرم في كتـــابه المسمى (يلدرم) الجهود التي بذلت لجمع المشردين وان عدد من تم القبض عليهم بلغ ١٠٠٠٠ ، وانهم قـد جمعوا في الرملة ونظموا بشكل سرايا مرتبة وتم الحاقهم بفرقهـم يوم ١٠ تشرين الثاني . وقـد بذل مقر يلدرم جهوداً كبيرة عن طريق مقر الفيلق العشرين الذي كان بقيادة الزعيم علي فؤاد بك لسد الثغرة بين الجيشين السابع والثامن وادارة الهجمات المقابلة . ويمكن القول اجمالا ان الانسحاب التركي كاد يؤدي الى كارثة عظمى لولا سببان مهمان هما ، اولا : توقف البريطانيين بالنظر لصعوباتهم الادارية ، وثانيهما متانة المؤخرات التركية وصلابة الجندي التركي في المعركة الدفاعية وقدرته الخارقة على تحمل المشاق وقد امتدح البريطانيون انفسهم متانة المؤخرات التركية وشجاعتها . ومن الامثلة التي تبرز ذلك قتال المؤخرة التركية في منظومة العطاونة الدفاعية لستر انسحاب القسم الاكبر من الجيش الثامن التركي الى شمال وادي الحص . فقد شرعت هـذه المؤخرة بالانسحاب ليلة ٧–٨ تشرين الثاني بعد ان امنت انجاز واجباتها ، وكانت في موقف حرج جداً حيث كانت القطعات البريطانية التي استولت على غزة يوم ٧ قد اصبحت خلفها حيث تهددها من الغرب ، كمـا اخذت القطعات التي استولت على بئر السبع تهددها من الشرق بعد ان زحفت من بئر السبع نحو الشمال الغربي وكان التقاء هذين الجناحـين البريطانيين يوشك ان يؤدي الى تطويق هذه المؤخرة التركية وقطع خط انسحابهـا ، وعلى رغم ذلك لم يفقد آمر المؤخرة التركية الزعيم «علي فؤاد بك» قائد الفيلق العشرين رباطة جأشه وسيطرته على الموقف فقام بالانسحاب بكل مهارة وحذق مستفيداً من الارض والتحق بالقسم الاكبر التركي فجر يوم ٨ تشرين الثاني دون ان يفسح المجال للبريطانيين لقطع خط رجعته. وقد ابدى الضباط الاتراك ولا سيما ذوي الرتب العالية منهم من البسالة الخارقة وعدم المبالاة بالاخطار مـا جعل منهم مثلا شخصيا رائعاً لمرؤوسيهم في ساعات المحنة فبثوا فيهم روح التضحية .. وهذا

التصرف درس له قيمته العظمى . ونورد كمثال ما قام به الزعيم رأفت بك [1] قائد الفيلق التركي الثاني والعشرين فقد كتب عنه فون كريس ، وهو صارم في حكمه على الاشخاص ، ما نصه (لقد كان انسحاب الفيلق الثاني والعشرين من غزة واخلاؤه لها بمنتهى المهارة ، وأثبت الزعيم رأفت بك مجدداً مهارته التي تنتزع الاعجاب ونشاطه وشجاعته الشخصية) وقد قام رأفت بك هذا نفسه بعد الهجوم البريطاني الراكب على المغار وتخلخل الجبهة التركية بجمع مراتب مقر الفيلق ولم يتجاوز بمجموعهم ما يعادل سرية لستر قرية (عاقر الجديدة) وتشكيل قاعدة أمينة تتجمع الفلول وراءها وبسترها ، واستطاع رأفت بك بفضل شجاعته وعزيمته إيقاف الخيالة البريطانية . ومن الطريف أن نذكر أن التاريخ الحربي الرسمي البريطاني يروي هذه الحادثة على لسان قائد الخيالة البريطانية الذي يذكر انهم استطاعوا تمييز قائد الفيلق التركي ممتطياً صهوة جواد أبيض وهو يروح ويغدو بين جنوده لتنظيم مواضعهم وقد حاول البريطانيون مراراً اصابته بنيرانهم الا أنهم لم يفلحوا وقد أثبت تصرف رأفت بك هذا أن شجاعة القائد ومثاله الشخصي هي الملاذ الوحيد لمرؤوسيه عندما تدلهم الخطوب .

١٠ – تقدير انتصار اللنبي :

بالرغم من أن الجو كان مهيئاً لنصر حاسم بالنسبة للجنرال اللنبي فأنه لم

---

(١) رأفت باشا . ولد عام ١٨٨١ وتخرج في الكلية الحربية في أستانبول عام ١٨٩٩ ثم في كلية الاركان وكان على رأس كبار ضباط الاتراك الذين أيدوا مصطفى كمال باشا في ثورته وتحريره لتركية في سنة ١٩١٩ وقد تقلد مناصب كبيرة منها رئاسة الوزارة ووزارتا الدفاع والداخلية . الا أنه اختلف بعد ذلك مع مصطفى كمال في سنة ١٩٢٣ وانتخب عضواً في البرلمان التركي في سنة ١٩٣٤ واعتزل السياسة سنة ١٩٥٠ . وقد انتقل الى رحمة الله مؤخراً في تشرين الاول ١٩٦٣ بعد أن عاش ٨٢ عاماً ويذكرنا العمر الطويل الذي عاشه هذا الضابط الشجاع بقول سيف الله المسلول خالد بن الوليد (رض) (لقد شهدت مئة زحف أو زهاءها وما في بدني موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف او رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) وما من عمل ارجى من لا اله الا الله وانا متترس بها .

يوفق لانزال ضربة قاضية بعدوه وتدمير القوات التركية تدميراً تاماً كما كان متوقعاً ، وبالرغم من انه أحرز نجاحاً لا يستهان به في شق الجبهة التركية وفصل الجيشين السابع والثامن عن بعضها البعض حيث انسحب الجيش الثامن على الطريق الساحلي واستند بمواصلاته على خط السكة الحديد الاصلي ، بينما انسحب الجيش السابع الى تلال يهوذا في منطقة القدس وأخذ يعتمد بمواصلاته على نقلية الطريق التي تصله بنابلس او عمان الواقعتين على خط السكة وتبعد نابلس عن القدس ٤٠ ميلاً بينما تبعد عمان عنها ٥٠ ميلا . ولم تكن هناك مواصلات جانبية جيدة بين الجيشين جنوب خط نابلس – طول كرم وكان الاتصال يتم بدورة طويلة تبلغ ٧٥ ميلا . وباحتلال يافا ضمن اللنبي لقواته ميناء جيداً للتموين وطريقاً معبداً جانبياً يربط بجبهته ، وأصبح في وسعه الاستفادة من الطرق التي فتحها الاتراك ومن قطارهم الخفيف لتموين قواته . وتجمل المصادر البريطانية رأيها في الموضوع فيقول التأريخ الرسمي البريطاني (في الايام العشرة التي تلت اختراق خط « غزه – بئر السبع » كانت القوات البريطانية قد تقدمت خمسين ميلاً تقريباً وكان القسم الاعظم من الخيالة قد قطع مسافة ١٧٠ ميلا بين ٢٩ تشرين الاول و ١٤ تشرين الثاني . وكانت الفرقة ٥٢ قد سارت ٦٩ ميلاً وخاضت اربع معارك عنيفة في تسعة أيام وخسر الاتراك في هذه الفترة ١٠,٠٠٠ أسير و ١٠٠ مدفع ولكنهم تحاشوا الخراب والدمار التامين اللذين كانا يهددانهم ، وما كان قيام مؤخراتهم بقتالات منطوية على الشجاعة والشهامة والعناء الذي عاناه مشاتهم في المسير ليجديأهم نفعاً في الخلاص لولا الحاجة الماسة للماء حيث أدت الى تشتيت شمل الخيالة المطاردة وتحديد سرعة حركتها . وبلغت خسائر البريطانيين في فترة المطاردة من يوم ٧ الى ١٦ تشرين الثاني أكثر من ٦,٠٠٠) . ويتضح من كل ذلك أن اللنبي لم يحصل على النصر الباهر الذي كان يحلم به وانه دفع ثمناً باهظاً لما أحرزه من ظفر ، ولكنه مهد الطريق للنصر النهائي الكاسح الذي أحرزه بعد عام ، وخلق الموقف السوقي الملائم له .

١١ – الهجوم المقابل التركي :

قام المشير فالكنهاين يوم ١٢ تشرين الثاني بتوجيـــه هجوم مقابل بقوة مرتجلة جمعها بأمرة الزعيم « علي فؤاد » قائد الفيلق ٢٠ وقد توصل الى قراره هذا بنتيجـــة مناقشة للموقف وتطبيقه القول المأثور (الهجوم احسن طرق الدفاع) . وكانت القوات التركية في وضع لا يساعدها على تنظيم خط دفاعي قوي لإيقاف الزحف البريطاني بالنظر لسعة الجبهة وانهيار منظومة المواصلات الداخلية والمنظمة الادارية . وقدر فالكنهاين الموقف على أساس أن أنزال ضربة قوية مفاجئة بالبريطانيين قد تخل بترتيباتهم وترغمهم على التوقف وبذا يفسح له المجال لاعادة تنظيم قواته والسيطرة عليها إذ أن وصوله المتأخر للجبهة لم يتح له ذلك بصورة صحيحة .

وقد قـــام الفيلق العشرون التركي بهجومه بالفرقتين ٥٣ و ٢٦ في الخط الامامي والفرقة ١٦ في العمق . ولم يبلغ مجموع هذه القوة اكثر من ٥،٠٠٠ مقاتل وتعاونت معها من الغرب الفرقة ٥٤ التي كانت في الجناح الايسر من الجيش الثامن . وتحشدت الفرقـــة ١٩ وفرقة الخيالة الثالثة على جناح الفيلق العشرين الايسر لضرب جناح العدو فور تراجعه والتقدم نحو بيت جبرين ومنها باتجاه عراق المنشية . وقد سبق بيان فشل الهجوم في تحقيق الغرض منه حيث صد من قبل فرقة الخيالة الاسترالية ولم يتقدم لاكثر من اربعة اميال في منطقة غير مهمة . ويلاحظ بصدد هذا الهجوم ان اساس الفكرة السوقية مقبول وجريء الا ان امكانيات التنفيـــذ والتهيؤ لم تكن متيسرة ، فالتحشد كان ناقصـــاً والواجبات غير منسقة ولو جمعت كل القوة المتيسرة ووضعت بأمرة الزعيم علي فؤاد لربما كانت النتائج احسن . ويمكن انتقاد محور الهجوم المقابل الذي كان يستهدف دفع جناح الاحاطة البريطاني نحو القسم الاكبر ومنطقة الساحـــل بينما كان الاصح استهداف شق الجبهة البريطانية والزحف نحو موارد المياه في شلال وكارم لارغامهم على اتخـــاذ

اجراءات مقابلة ، والسبب الرئيسي لفشل هذا الهجوم المقابل والهجمات المقابلة الاخرى التي جرت شمال بئر السبع في الايام ٣ ، ٤ ، ٥ ، تشرين الثاني وفي منطقة الساحل ، وهو ضعف القطعات القائمة بها والتفوق البريطاني الساحق الذي كان يؤمن لهم العمق الكافي وتيسر الاحتياطات لمعالجة الهجمات المقابلة . وبالرغم من ذلك يمكن القول بأن الهجوم المقابل التركي الذي قام به الفيلق ٢٠ قد اثر تأثيراً غير مباشر على المطاردة البريطانية واخل بترتيباتها وفسح المجال للقوات التركية للخلاص من الدمار التام .

١٢ – توخي الهدف

بعد ان وضع الجنرال اللنبي خطته تمسك بتطبيقها ولم يحد عن هدفه المتوخي كما تقتضي مبادىء الحرب السليمة . فعندما وصلته رسائل مسترقة من المخابرات اللاسلكية للجيش التركي يوم ٩ تشرين الثاني ، تبين قرار فالكنهاين على القيام بهجوم مقابل على الجناح الايمن للجيش البريطاني من اتجاه الخليل ، لم يكترث اللنبي ولم يجر اي تغيير على اسس خطته واكتفى بتكليف فرقة الخيالة الاسترالية بحماية الجناح الايمن ، ومضى في تطبيق خطته وحشد قطعاته في السهل الساحلي تمهيداً لمهاجمة محطة وادي الصرار . وقد علق اللنبي على الهجمات التركية المقابلة بقوله (انها كانت تستهدف اضعاف قوتنا الضاربة بارغامنا على سحب جزء منها ولكننا لم ننقد لرغبات العدو ولم نعمل تغيرات تذكر في الخطة الاصيلة بنتيجة الاعمال التي قام بها) وفي هذا مثال حسن على ضرورة التمسك بمبدأ توخي الهدف .

١٣ – التعاون :

التعاون مبدأ من مبادىء الحرب تجلى تطبيقه بوضوح في هذه الصفحة من الحركات سواء أكان ذلك بنطاق القوات المسلحة اي بين الجيش والقوات

الجوية والاسطول ام كان في داخل صفوف الجيش نفسه . فقد لعبت القوة الجوية البريطانية دوراً خطيراً بعد ان ضمنت التفوق الجوي العددي والنوعي فمنعت الطائرات المعادية من الحصول على المعلومات وقدمت للقيادة البريطانية معلومات مفصلة عن حركات الاتراك واشتركت في المطاردة والقصف الشديد المؤثر الذي زعزع معنويات الاتراك المنسحبين وحطم مواصلاتهم الداخليـــة ومنظمتهم الادارية . امـــا الاسطول فقد شارك في قصف غزة وفي تسهيل التموين بنقل المدخرات عند فتح الموانيء وكان مصدر قلق دائم للاتراك في تهديده لهم باجراء انزال وراء خطوطهم . اما في داخل قطعات الجيش فقد عملت الخيالة والمشاة كيد واحدة في ازاحـــة المقاومات بالهجمات الراكبة والراجلة وفي ضمن التشكيلات كان التعاون على اتمه ومن امثلة ذلك تعاون فرق الفيلق العشرين في معركة الشريعة – الهريرة ، وتعاون القطعات الهاجمة في معركة بئر السبع .

١٤ – استغلال التفوق بالخيالة :

استغل الجنرال اللنبي تفوقه الساحق بالخيالة احسن استغلال فقد توفر له ١٨٫٠٠٠ سيف مقابل ١٫٥٠٠ سيف للاتراك ، أي كان تفوقه بنسبة ١/١٢ .وبالرغم من أن الخيالة البريطانية لم تكن قد وصلت الى المستوى الراقي الذي وصلته في أواخر الحرب الا أنها كانت أفضل بكثير مما كانت عليه في السابق . وقد أحسن اللنبي استخدامها باعتباره من ضباط الخيالة وقد تدرج في قيادة وحدات الخيالة وتشكيلاتها فجمع فور استلامه القيادة فرق الخيالة بفيلق واحد وكلفها بواجبات تناسبها واستخدمها في المناطق الملائمة لها وبالرغم من انها لم تنجح في المطاردة في قطع خط رجعة الاتراك كما كان متوقعاً الا انها قامت بانجازات عظيمة كصد الهجوم المقابل التركي والهجمات الراكبة الجريئة في بئر السبع وهوج والمغار وابو شوشة وغيرها وقد كانت

الدروس المستحصلة من استخدام الخيالة في هذه الجبهة قواعد للنظريات التي طبقت في استخدام السلاح المدرع فيما بعد .

١٥ – الاستعدادات الدقيقة :

يدين البريطانيون في نجاحهم بالدرجة الاولى الى استعداداتهم الدقيقة التي كابدوا في انجازها كل عناء ولم يبخلوا في سبيلها بمال أو جهد . فالشؤون الادارية كانت تتكامل بعناية وعلى أساس التفكير في المستقبل دوما وكانت المرحلة الاخيرة منها قد تمت خلال الصيف الذي سبق التعرض وكانت الفترة من تموز الى تشرين الثاني ذروة النشاط ، حيث مدت السكة الحديد الى جميع الاتجاهات بسرعة فائقـــة وأعيد تنظيم النقلية واجريت تحسينات في موارد المياه وجرى استقبال التقويات وتدريبها وتوزيعها وقـد نظم الجهاز الاداري لتأمين قابلية الحركة للقطعات المقاتلة على الوجه الصحيح . وكانت الحكومة البريطانية قد أوفدت بعثة لمسح فلسطين ورسم خرائط لها قبل الحرب بأكثر من ٤٠ سنة أي في سنة ١٨٧٤ بحجة التحري عن اماكن المدن القديمة وكان جل أعضاء البعثةمنالضباط ومن ضمنهم اللورد كتشنر القائد البريطاني المعروف الذي كان برتبة صغيرة آنئذ . وتيسرت للقيادة البريطانيه بفضل هذه الجهود تقارير استخبارات كاملة عن طبيعة الارض وعن موقف الاتراك عن طريـق شبكة الجاسوسية الصهيونية الدولية ووكلائها من الصهيونيين الاوروبيين الذين سكنوا فلسطين قبل الحرب بسنوات.وفيأثناء فترةالقتال استفاد البريطانيون فائدة قصوى من التصاوير الجوية للدفاعات التركية التي كانت تلتقطهاطائراتهم ومن معدات الحرب الحديثة الـــتي كانت معروفة في تلك الفترة كالدبابات والمدرعات وقنابل الغاز السام والمناطيد . وهذه كلها أمور لم تتيسر للاتراك ولم يكونوا ليحلموا بها . وكانت نتيجة هذه الجهود البريطانية المضنية توفقهم بالحصول على النصر الذي كان ثمرة استعداداتهم الدقيقة .

٦

معارك القدس وترصين الموقف البريطاني

خريطة رقم (٦)

عام ـ خطة اللنبي ـ موقف الاتراك ـ الزحف الاول نحو القدس ـ اعادة تنظيم القوات البريطانية ـ هجمات الاتراك المقابلة ـ الزحف الثاني نحو القدس والاستيلاء عليها ـ ترصين الموقف البريطاني ـ عبور نهر العوجة ـ الدروس المستحصلة .

عام :

كان الجنرال اللنبي قد وطد العزم على تنفيذ رغبة رئيس وزراء بريطانية لويد جورج بالاستيلاء على القدس قبل عيد الميلاد وتقديمها هدية للشعب البريطاني لرفع معنويات مواطنيه الذين انهكتهم اربع سنوات طوال من الحرب. ولتأمين ذلك كان عليه ان يسابق الزمن ويعمل بسرعة قبل ان يزداد الطقس سوءا اذ انه كان على ابواب الشتاء ، وكان عليه ان يستفيد أيضاً من حراجة موقف عدوه وعدم اتاحة الفرصة له لم شعثه واعادة تنظيمه بعد الضربة التي نزلت به لا سيما وان منطقة جبال يهوذا التي انسحب لها الجيش السابع منيعة ووعرة ومساعدة جداً على الدفاع .

ولم يكن القرار سهلاً بالنسبة لاللنبي فقد حذرته وزارة الحرب البريطانية من

التورط في امور لا قبل له بها وذكرت له أن هناك احتمالاً بتخفيض قواته في سنة ١٩١٨ وبالاضافة لذلك كانت قطعاته متعبة وخدماته الادارية قد وصلت أقصى طاقتها ولا بد من خطة ادارية جديدة لاي عمل مقبل . واستقر رأي اللنبي على أن توجه ضربته المقبلة للجيش السابع للاستيلاء على القدس وهي هدفه المتوخى ولعدم فسح المجال للعدو لتحصين المنطقة المساعدة على الدفاع وبناء على ضرورة الاسراع بالعمل لم يفسح المجال للاستراحة لاكثر من يوم واحد وهو يوم ١٧ تشرين الثاني واستؤنفت الحركات مجدداً يوم ١٨ .

خطة اللنبي :

كانت الاسس العامة لخطة اللنبي تنطوي على مشاغلة الجيش التركي الثامن في السهل الساحلي والاستدارة بالفيلق ٢١ يميناً على محور محطة وادي الصرار لضرب الجيش التركي السابع واحتلال القدس وكانت التفاصيل كما يلي :

١ – مشاغلة الجيش التركي الثامن في السهل الساحلي باشغال خط دفاعي لحماية الجناح الايسر للزحف نحو القدس واشغال هذا الخط بالفرقة ٥٤ وفرقة الانزاك .

٢ – تقدم الفيلق ٢١ نحو جبال يهوذا على الوجه التالي :

أ – الفرقة ٧٥ على محور الطريق العام يافا – الرملة – القدس معقبة اتجاه عمواس – اللطرون – باب الواد – قرية العنب .

ب – الفرقة ٥٢ وتتقدم الى يسار الفرقة ٧٥ على محور وادي عجلون على طريق اللد – القدس، باتجاه بيت لقيا .

ج – فرقة الخيالة المتطوعة الى يسار الفرقة ٥٢ وتتقدم نحو رام الله بصورة مباشرة على طريق بيت عور التحتة، مستهدفة الوصول الى بيرة الواقعة على بعد عشرة أميال شمالي القدس على طريق نابلس العام وان تقطع هذا الطريق .

د – لواء خيالة من الفرقة الاسترالية ويقوم بحماية جناح الفرقة ٧٥ الايمن بالتقدم على محور خط السكة الحديد .

وكانت الخطة تستهدف توجيه خط الزحف العام للقوة كلها نحو الشمال الشرقي باستدارة لليمين لقطع خط مواصلات القوات التركية مع نابلس وارغامها على اخلاء القدس . وكانت الفكرة السائدة لدى القيادة البريطانية العامة هي ان الاتراك سيخلون القدس دون قتال وقد اصدر اللنبي أوامر مشددة بتجنب القتال ضمن ٦ أميال من المدينة المقدسة . وقد نصت أوامر الفيلق الحادي والعشرين الصادرة مساء يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩١٧ على وجوب الوصول الى خط قرية العنب – بيت لقيا يوم ١٩ والى قطع طريق نابلس – القدس مساء يوم ٢٠ تشرين الثاني في منطقة بيرة الكائنة ١٠ أميال شمال القدس . واجمالاً كان الفيلق يزحف بجبهة تبلغ حوالي ١٢ ميلا على أربعة محاور وبقوة فرقتي مشاة وفرقة خيالة زائد لواء .

موقف الاتراك :

اصدر المشير فالكنهاين قائد جحفل جيوش يلدرم أوامره في منتصف ليلة ١٣–١٤ بالانسحاب العام فأمر الجيش الثامن بالانسحاب الى شمال نهر العوجة . اما الجيش السابع فقد خصصت له الواجبات على الوجه التالي :

١ – الفيلق ٢٠ المؤلف من الفرقتين ٣٦ و ٥٣ مسؤول عن الدفاع عن القدس وقد وضعت بأمرته قوة من الخيالة لحماية الطريق المؤدية الى البحر الميت .

٢ – الفيلق ٣ المؤلف من فرقة الخيالة الثالثة والفرقتين ٢٤ و ٢٧ ينسحب الى شمال القدس يوم ١٨ تشرين الثاني لحماية طريق القدس – نابلس على أن يترك الفرقة ٢٧ في بيت لحم للقيام بواجب المؤخرة لستر انسحاب الفيلق ٢٠ .

٣ — وقد سحب فالكنهاين مقره من القدس الى نابلس يوم ١٣ وأصدر أوامره لتشكيل احتياط عام من الفرقة ١٩ في نابلس وقد كانت هـذه من خيرة الفرق التركية . وكان من المقرر ان يضم الاحتياط العام الفرقة ٢٤ ايضاً إلا أن هـذه اضطرت لاشغال موضع غربي طريق نابلس — القدس لمواجهة الزحف البريطاني .

وفي يوم ٢٠ كان الفيلق ٢٠ قد أشغل مواضعه للدفاع عن القدس وكان فالكنهاين قد قرر بالاتفاق مع أنور باشا وكيل القائد العام التركي الذي زار القدس يوم ١٣ تشرين الثاني ، ان الدفاع عن القدس لن يكون لآخر طلقة وآخر جندي وان القوة المكلفة بالدفاع لن يضحى بها او تقبل الحصار بل يطلب اليها الانسحاب عندما يتعذر عليها الاستمرار بالدفاع . وخول قائد الفيلق ٢٠ سلطة الانسحاب عند تهديد جناحه الايسر من اتجاه نهر الاردن بخطر قطع طرق مواصلاته المؤدية الى البحر الميت .

٤ — اشغل الفيلق ٢٠ التركي دفاعات القدس اعتباراً من يوم ٢٠ تشرين الثاني على الوجه التالي :

أ — الفرقة ٢٦ في اليمين حيث تؤمن الارتباط من الفيلق الثالث وتمتد جبهتها الى طريق القدس — اللطرون خارج .

ب - الفرقة ٥٣ من طريق القدس — اللطرون العـام داخل الى خط السكة الحديد داخل .

ج — الفرقة ٢٧ في الجناح الايسر لسد طريق القدس — الخليل .

وكان خط الاماكن الدفاعية الامامية القصوى يعقب خط (بدو — بيت سوريك — القسطل — صطاف — الخضر) . وقد استفاد الاتراك من طبيعة الارض فائدة قصوى . فبعد السهل الساحلي مباشرة والى الشرق منه تبدأ الاراضي الجبلية المعروفة باسم جبال يهوذا وهي منطقه صخرية وعرة قليلة المسالك يبلغ معدل ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم بينما لا يتجاوز ارتفاع السهل

الساحلي ٣٠٠ قدم وتشبه هذه الكتلة ظهر السكة وتمتد طنوفها شرقاً وغرباً كعظام السمكة وتنتهي هذه المنطقة شرقاً بمنخفض وادي الاردن (الغور) الذي ينتهي بالبحر الميت . وهو منخفض غريب في بابه ويصل في بعض نقاطه الى ١٣٠٠ قدم تحت سطح البحر . وكانت الطرق خلال فترة الحركات اي سنة ١٩١٧ مقتصرة على طريق جيد واحد يقطع المنطقة من الشمال الى الجنوب قريباً من خط القمم ويمر بنابلس – القدس – الخليل – بئر السبع. اما الطرق العرضانية فقد كان هناك طريق جيد واحد يبدأ من يافا ثم يمر بالرملة – قرية العنب – القدس . ويدخل هذا الطريق المنطقة الجبلية في فتحة وادي عجلون قرب عمواس الواقعة على بعد ٩ اميال جنوب شرقي الرملة . وعلى بعد ميلين من عمواس يدخل الطريق شرق المنطقة المعروفة باللطرون خانقاً وعراً يعرف باسم باب الواد . والى شمال هذا الطريق كان هناك طريق آخر يبدأ من يافا ايضاً ويمر من اللد – بيت لقيا – القدس ، وهو اردأ بكثير من الطريق الاول ويتحول في بعض اقسامه بالاراضي الجبلية الى نيسم ضيق لا يصلح الا لحيوانات الحمل . وقد سهلت طبيعة الارض هذه مهمة المدافعين حيث استفادوا من وعورة المنطقة وقلة المسالك التقربية وقد قام المهندسون الالمان بتخريبات على الطرق وفي المضائق .

الزحف الاول نحو القدس

١٨ – ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٧

تقدمت فرقة الخيالة المتطوعة للقيام بما عهد اليها ضمن الخطة الموضوعة للاستيلاء على القدس فاجتازت (شلتا) واستطاعت بجهود شاقة مبعثها وعورة الطرق الوصول الى (بيت عور التحتة) يوم ١٨ تشرين الثاني . وقرر قائد الفرقة اعادة كافة عجلات النقلية والمدافع المسحوبة الى الخلف لعدم امكان تقدمها للامام . اما الفرقة ٥٢ فوصلت بيت لقيا مساء يوم ١٩ ولم

تستطع الفرقة تقديم العجلات والمدافع المسحوبة حيث كانت الطنوف صخرية وشديدة الانحدار وتفصل بينها وديان ملأى بالصخور الكبيرة وبعد جهود مضنية استطاعت الفرقة استصحاب ٣ فصائل مدفعية فقط بعد مضاعفة خيول الجر والجنود الاعداد.

اما الفرقة ٧٥ فقد سهل عملها كثيراً تقدم الاستراليين واحتلالهم لجانبي الطريق العام قبل شروعها بالتقدم وقد اضطر هذا الاتراك الى اخلاء عمواس وشرعت الفرقة بتقدمها من اللطرون فجر يوم ١٩ ولم يبد الاتراك مقاومة عنيدة في مضيق باب الواد حيث اقتصرت مقاومتهم على مفارز صغيرة ازاحتها القطعات الهندية المدربة بمستوى عال على القتال في الاراضي الجبلية. ولم تستطع الفرقة قطع مسافة تزيد على عشرة اميال في هذا اليوم وتوقفت على مقربة من قرية ساريس. وهطلت الامطار بغزارة ليلة ١٩ — ٢٠ فسببت متاعب جمة للقطعات البريطانية التي كانت في ملابسها الصيفية اما الطرق فقد تردت جداً واصبح معظمها غير صالح للاستعمال الا بمشقة كبيرة. وتأخرت ارتال النقلية كثيراً بالوصول للوحدات لعدم امكان استعمال العجلات المسحوبة بالحيوانات وتقرر الاستعاضة عنها بالجمال. وتوقف الفيلق ٢١ ليلة ١٩ — ٢٠ على خط بيت عور التحتة — (فرقة الخيالة المتطوعة) — بيت لقيا (الفرقة ٥٢) — ساريس (الفرقة ٧٥).

واستؤنف التقدم يوم ٢٠ في جو بارد رطب ولاقت الفرقة ٧٥ مقاومة عنيفة في منطقة ساريس وقرية العنب ولم يتسن للمدفعية الا اسداء اسناد قليل للمشاة حيث لم تستطع المدافع الانفتاح الى خارج الطريق لوعورة المضيق وقد تم الاستيلاء على ساريس بعد الظهر بعد قتال عنيف وبدا خلفها موضع قرية العنب على حافة وعرة مسيطرة جداً وبينما كانت القطعات تستعد للهجوم عليها اخذ المطر ينزل رذاذاً وحجب المنطقة ضباب كثيف حدد مجال رؤية المدافعين وأصبح وكأنه حجاب دخان فقرر آمر اللواء الامامي استغلال الفرصة الذهبية هذه وقام بالحملة توا بثلاثة افواج

استولت على قرية العنب بالساعة ١٨٠٠، واضطرت الفرقة لصرف الارزاق الاحتياطية لعدم وصول ارتال النقلية الى الوحدات حتى يوم ٢١ لرداءة الطرق والتكدس الموجود عليها .

وفي جبهة الفرقة ٥٢ لم يحدث تقدم يذكر طيلة يوم ٢٠ وقـــد ارسلت الفرقة لواء الى (بيت دقـّو) التي تبعد ٤ أميال شمال شرق (قرية العنب) بناء على أوامر الفيلق ولمساعدة الفرقـــة ٧٥ . واصطدم هذا اللواء وهو في طريقه بقوة تركية في (بيت عنان) وارغمها على الانسحاب أما باقي الفرقة فبقي في (بيت لقيا) وانصرفت الهندسة بمعونة المشاة لتحسين الطرق .

وتقدمت فرقة الخيالة المتطوعة في منطقة وعرة جداً مستهدفة الوصول الى بيرة حسب الاوامر واضطر لواؤها الامامي الى التوقف بمواجهة (عين عريك) لوعورة المنطقة فارسل قائد الفرقة لواءيه الآخرين نحو (بيت عور الفوقة) وللتوجه منها نحو (بيتونيا) . وكانت العارضة المشرفة على هذه المنطقة طنف يعرف باسم (طنف الزيتون) نسبة الى مزار مقام على حافته الغربية يعرف باسم مزار الشيخ زيتون وتقع قرية (بيتونيا) على حافته الشرقية . وقد تبين للفرقة ان الاتراك يشغلون هذه العارضة التي يبلغ ارتفاعها ١١٠٠ قدم وقد نجحوا في ايقاف التقدم وبقي الفريقان بتماس طيلة الليلة التي لم ينقطع بها هطول المطر . وفي مساء يوم ٢٠ كان الفيلق ٢١ بعيداً عن تحقيق هدفه بقطع طريق نابلس في البيرة وكانت اقرب قطعاته كتيبة خيالة من الفرقـــة المتطوعة حيث كانت تبعد عنها ٢ر٥ ميل. وكان أقرب المشاة لها في (بيت دقو) على بعد ١٦ ميلا .

وقد تأكد الآن ان الاتراك مصممون على الدفاع عن القدس وان الرأي السابق عن احتمال اخلائها لم تثبت صحته . وبالرغم من أن البريطانيين لم يصطدموا حتى الآن بسوى مفارز صغيرة تقوم بواجب الستر فقد لاقوا مصاعب كبيرة بازاحتها لملاءمة المنطقة للدفاع بصورة ممتازة . وقـــد لاقى البريطانيون مشاكل كثيرة بسبب رداءة الطقس وغزارة الامطار وعـــدم

صلاحية الطرق واختلال جهازهم الاداري .

وفي يوم ٢١ تحركت الفرقة ٧٥ عبر جبهة الفرقة ٥٢ متوجهة نحو الشمال الشرقي تنفيذاً للامر الذي تلقته من قيادة الفيلق بالوصول الى بيرة بعد ترك قوة كافية في (قرية العنب) فتوجهت الفرقة ٧٥ نحو (بدو) (٣ أميال شمال شرقي قرية العنب) على طريق وعر جداً لا يصلح لتنقل المدافع المسحوبة أو العجلات واقتصرت النقلية على الجمال التي كانت تتحرك بصعوبة بالغة في هذه المنطقة الصخرية . قام الجزء المتروك من الفرقة ٧٥ في قرية العنب بمظاهرة هجوم على الطريق العام لجلب انتباه الاتراك وقد نجحت في هذه المظاهرة بالتقدم حوالي ٣ أميال وطرد الاتراك من قرية (القسطل) التي تبعد ٤ أميال عن ضواحي القدس الغربية .

نجح فوج مقدمة الفرقة ٧٥ بازاحة مقاومة العدو الضعيفة من قرية (بدو) دون صعوبة واستولى عليها وعلى قرية (بيت سوريك) الكائنة الى جنوبها ثم تعرضت المقدمة للنار بعد الظهر من منطقة (جبل النبي صموئيل) الواقع على بعد ميل الى الشرق وكان هذا الجبل مسيطراً على كل المنطقة وترتفع قمته عن الارض المحيطة بها بما يقرب من ٥٠٠ قدم وقبيل حلول الظلام تقرر قيام لواء المقدمة بالهجوم على هذه العارضة الخطيرة وضبطها . وشرع بالهجوم بالساعة ١٧١٥ من استقامة (بدو) بجبهة فوجين خصص لكل منهما جبهة ٤٠٠ يارد، وبالاستفادة من الغسق الذي ستر المهاجمين من نيران المدافعين استطاعوا الاستيلاء على المسجد الموجود فوق القمة وتطهيرها وأسر نتيجة ذلك ٤٢ تركياً ولم تتجاوز خسائر المهاجمين ٣٦ . وكان لهذا القرار الخطير بالهجوم على عارضة (النبي صموئيل) وتنفيذه بسرعة قصوى ودون تردد أثر خطير في الحركات المقبلة فقد كان جبل (النبي صموئيل) مفتاح مدينة القدس .

وفي جبهة فرقة الخيالة المتطوعة استؤنفت الجهود للاستيلاء على (بيتونيا) و (رام الله) واقتصر الاسناد على ٤ مدافع جبلية خفيفة فقط محملة على الجمال وهي كل المدفعية التي كانت متيسرة ولم تنجح هذه المحاولات ازاء الاتراك

الذين ضمنوا تفوقاً نارياً ملموساً بالمدفعية وقد نجحوا بايقاف البريطانيين على بعد ٨٠٠ يارد عن (بيتونيا) وفي الساعة ١٤٠٠ شرع الاتراك بهجوم مقابل ادغمت بنتيجته فرقة الخيالة المتطوعة على الانسحاب الى خط (بيت عور الفوقة – بيت عور التحتة) واخلاء طنف الزيتون . وفي يوم ٢٢ حاولت الفرقة ٧٥ التقدم نحو (الجيب) ولم تفلح لعدم تيسر اسناد المدفعية التي لم تستطع التقدم للامام . وفي صبيحة نفس اليوم شرع الاتراك بهجوم مقابل لاسترجاع جبل النبي صموئيل وقد صد الهجوم ودار قتال عنيف شن به الاتراك ثلاث هجمات شديدة ولم ينقذ الموقف بالنسبة للبريطانيين الا وصول لواء بريطاني من الفرقة ٥٢ لتعزيز المدافعين وقد زاد عدد خسائر البريطانيين في قتال هذا اليوم على ٧٥٠ .

وفي يوم ٢٣ اعادت الفرقة ٧٥ تنظيمها بعد ان سلمت دفاعات النبي صموئيل الى الفرقة ٥٢ وتحركت لاستئناف التقدم والاستيلاء على الجيب ولم يتيسر للفرقة سوى اسناد بطرية جبلية واحدة لم يتيسر لها سوى ثلاثة مدافع . ولم ينجح هجوم الفرقة وذلك للتأثير الكاسح للرشاشات التركية التي انصبت عليه من كل الاتجاهات . واصدر اللنبي أوامره بفك ارتباط فرقة الخيالة المتطوعة من فيلق الصحراء وربطها بالفيلق ٢١ باعتبارها في منطقة عمله ، وهو اجراء كان يجب اتخاذه من البداية ، وقد اعيدت جياد الفرقة الى الخلف تخفيفاً للاعباء الادارية ولعدم امكان الاستفادة منها . وفي يوم ٢٤ استؤنفت محاولة الاستيلاء على الجيب وأنيطت في هذه المرة بالفرقة ٥٢ نظراً لتعب قطعات الفرقة ٧٥ وكثرة خسائرها . وقد امكن بفضل تحسن الطريق تأمين اسناد حوالي ٢٠ مدفعاً للهجوم إلا أن الفرقة ٥٢ فشلت ايضاً بازاحة الاتراك من الجيب وتوقف هجومها مساء يوم ٢٤ على مقربة من الجيب بعد ان بلغ عدد خسائر الفرقة ٣٦٠ .

وفي مساء يوم ٢٤ اصدر اللنبي اوامره بايقاف هجوم الفيلق ٢١ على خط بيتونيا – الجيب – لفتا . فقد تأكد له ان ازاحة الاتراك تتطلب خطة عمل

جديدة تتضمن تبديل القطعات وحل مشاكل الاسناد والامور الادارية . وفي خلال هذه الفترة كان موقف القطعات التركية قد تطور حسب الخطة الدفاعية حيث اشتبك الفيلق الثالث الذي كان مقره في البيرة بالقطعات البريطانية وقد خاضت الفرقة ٢٤ وفرقة الخيالة الثالثة المعارك في منطقة النبي صموئيل والجيب. أما الفيلق ٢٠ الذي كان مؤلفاً من الفرق (٥٣، ٢٦، ٢٧) فقد استمر بتحكيم مواضعه الدفاعية عن القدس واقتصر القتال بجبهته على اشتباك المفارز الساترة الامامية فقط . وأمر فالكنهاين الفرقة ١٩ بالحركة من القدس شمالا الى الجناح الايسر لجبهة الجيش التركي الثامن أي لسد الثغرة بين الجيشين التركيين والقيام بحركات مؤثرة تخل بترتيبات القيادة البريطانية. وقد انتخب فالكنهاين هذه الفرقة لاعتماده عليها ولانها كانت من خيرة الفرق التركية ، وقد تطلبت هذه الحركة قيام الفرقة بالمسير على طريق نابلس – طول كرم ثم السير جنوباً الى (عابود) التي تبعد ٢٠ ميلا شمال غربي القدس وقد قطعت الفرقة في هذه الجولة التي استغرقت الفترة من ١٨ الى ٢٥ تشرين الثاني حوالي ١٠٠ ميل مما استنزف طاقتها وجهودها . وفي جبهة الجيش الثامن التركي ، أي على السهل الساحلي ، لم يحدث تبدل مهم سوى محاولة فرقة الأنزاك تأمين رأس جسر عبر نهر العوجة يوم ٢٤ تشرين الثاني لتسهيل الحركات بجبهة القدس ومنع تعزيز الجيش السابع التركي بقطعات من الجيش الثامن. وقد نجح اللواء النيوزيلاندي المكلف بالواجب بتأسيس رؤوس جسور في خربة الخضرة و (شيخ مونس) قد اشغلا بفوجين من الفرقة ٥٤ الا أن الاتراك قاموا بهجوم مقابل قوي فجر يوم ٢٥ قضى على رؤوس الجسور البريطانية وارغمها على الانسحاب جنوباً عبر النهر الذي كان عرضه ١٥ متراً في هذه الفترة . وقد بلغت خسائر البريطانيين في هذه المظاهرة حوالي ١٦٠ أما خسائر الاتراك فقد تجاوزت ٤٠٠ وفي اوائل شهر كانون الأول اعفى قائد الجيش الثامن الجنرال الالماني فون كريس من منصبه وحل محله ضابط تركي وهو اللواء جواد باشا .

اعادة تنظيم القوات البريطانية

قرر اللنبي تخصيص فترة اسبوعية للاستعداد والتهيؤ قبل استئناف الهجوم على القدس وقد خصصت هـذه الفترة لتبديل قطعات الفيلق ٢١ المنهكة بالفيلق ٢٠ الذي كلف بواجب الهجوم الجديد ، ولاصلاح الطرق وجعلها صالحة للتنقل . وقد اثبتت الخدمات الادارية البريطانية تمتعها بمرونة فائقة وكفاءة عالية في معالجة احوال متغيرة ، فعند الدخول الى المناطق الجبلية استخدمت الجمال ولما ثبت في الزحف الاول عدم ملاءمة الجمال للعمل في هذه المنطقة وعدم تعود سواقيها المصريين المدنيين على العمل في البرد في الأراضي الجبلية ، استعيض عنها بنقلية الحمير . وكانت هيأة الركن الادارية البريطانية قد سبقت النظر وجمعت عدداً منها منذ شهر ونظمت منها رتل نقلية مؤلفاً من ٢٠٠٠ حمار وكان الحمار واسطة النقل المثالية في المنطقة بدليل استعماله من قبل السكان المحليين بكثرة ، وقد وصفه التأريخ الرسمي البريطاني بانه (حيوان له قدرة خارقة على تحمل المشاق دون كلل ، وأنه جريء ولا يأبه للنار المنصبة عليه ، قليل الاكل ويكتفي بالنزر اليسير ، سهل التدريب وأليف) وبالنظر لما اصابه هـذا الرتل من نجاح فقد شكلت ثلاثة ارتال مماثلة وأصبح عدد الحمير المستعملة في اوائل سنة ١٩١٨ حوالي ٨٠٠٠ حمار .

تم تبديل القطعات البريطانية وأصبح موقفها على الوجه التالي :

١ – استلم الفيلق ٢١ الخط في السهل الساحلي من فيلق الصحراء واصبحت جبهته تمتد من يافا الى الرملة .

٢ – استلمت الفرقة ٦٠ جبهة الفرقتين ٧٥ و ٥٢ في منطقة صوبا – القسطل قرية العنب – بيت سوريك – النبي صموئيل .

٣ – كانت الفرقتان ٧٤ و ١٠ من الفيلق ٢٠ يوم ٢ تشرين الثاني في طريقهما الى الشمال لاستلام الجبهة وتعزيز الفرقة ٦٠ وقد وصلت الفرقة ٧٤ الى اللطرون يوم ٢٨ واعقبتها الفرقة ١٠ بعد يومين .

٤ – استلم الفيلق ٢٠ المسؤولية من الفيلق ٢١ يوم ٢٨ وفتح مقره في محطة وادي الصرار . وقد تم تبديل كافة القطعات باستثناء فرقة الخيالة المتطوعة في الجناح الشمالي ، وكانت هذه الفرقة تشغل جبهة تزيد على أربعة أميال بقوة لا تتجاوز ٨٠٠ بندقية بالنظر لما تكبدته من خسائر. وكانت هناك فجوة خمسة اميال في منطقة وعرة قليلة المسالك بين هذه الفرقة والجناح الايمن للفرقة ٥٤ التي تشغل الجناح الايمن للخط البريطاني في السهل الساحلي.

٥ ـ الفت القيادة البريطانية قوة باسم (مفرزة موت) مؤلفة من الفرقة ٥٣ وكتيبة خيالة وبطرية ثقيلة وحشدتها في شمال بئر السبع للتقدم نحو القدس على طريق الخليل . وكانت هذه المفرزة بإمرة القيادة العامة مباشرة ثم وضعت فيما بعد بإمرة الفيلق ٢٠ قبيل الهجوم على القدس .

وضع الجنرال تشتوود قائد الفيلق ٢٠ خطة جديدة لمهاجمة القدس عوض الخطة السابقة التي كانت تجعل محور الهجوم شمال القدس وهدفه قطع طريق القدس – نابلس العام . وكانت الخطة الجديدة مبنية على مهاجمة القدس من الغرب والجنوب الغربي والجنوب حيث لاقى تطبيق الخطة السابقة صعوبات جمة لوعورة المنطقة وصعوبة تقديم المدفعية لتأمين الاسناد الناري ومشاكل ادامة قوات كبيرة في المنطقة ، ولذا قرر الجنرال تشتوود جعل محور هجومه الرئيسي طريق يافا – القدس العام . وكانت تفاصيل الخطة الجديدة كما يلي :

١ – تقدم الفرقة ٦٠ على محور طريق قرية العنب – القدس العام . على ان يؤسس جناحها الايمن التماس مع الفرقة ٥٣ (مفرزة موت) .

٢ – الفرقة ٥٣ (مفرزة موت) ناقص لواء تتقدم على طريق بيت لحم – القدس .

٣ – تقوم كتيبة خيالة بسد الثغرة بين الفرقتين ٥٣ و ٦٠ .

٤ ـ تتقدم الفرقة ٧٤ الى يسار الفرقة ٦٠ وتكون مسؤولة عن منطقة النبي صموئيل .

٥ ـ تتحشد الفرقة ١٠ في منطقة بيت عور التحتة في أقصى الجناح الايسر لحماية الجناح وتأمين التماس مع فرقة الخيالة الاسترالية التي كانت تسد الثغرة بين الفيلقين ٢٠ و ٢١ .

وقد انفتحت القطعات البريطانية وأشغلت مواضعها بموجب هذه الخطة بين ٤ و ٧ كانون الاول ١٩١٧ .

هجمات الاتراك المقابلة

شعر المارشال فالكنهاين بثاقب نظره ان البريطانيين في فترة اعادة تنظيم فقرر الاستفادة من ذلك بالقيام باجراءات تخفف الضغط عن الجيش التركي السابع وتعيق الهجوم على القدس ريثما تصل التقويات التي كان ينتظرها بفارغ الصبر وهي الفرقة ٥٠ والفرقة الاولى ولواء خيالة القفقاس وفيلق آسية الالماني ، بالاضافة للقطعات التي سحبها من شرقي الاردن لتعزيز القدس وهي لواء الخيالة السابع ولواء المشاة ١٥٠ . وقد بنى فالكنهاين خطته على القيام بهجمات مقابلة يربك بها البريطانيين ويخل باستعداداتهم ، وقد كان ذلك هدفه عندما سبق النظر وامر بحركة الفرقة ١٩ وتحشدها بين الجيشين السابع والثامن التركيين للقيام بهجوم مقابل يوجه من الثغرة بين الفيلقين البريطانيين ٢٠ و ٢١ . ومن الواجب القول ان تفكير فالكنهاين السوقي كان ممتازاً وكانت تقديراته لحركات البريطانيين المتوقعة منذ استلامه القيادة بصورة فعلية في ٦ تشرين الثاني ١٩١٧ دقيقة بشكل يدعو الى الاعجاب الا انه فشل في الحصول على النتيجة التي كان يتوخاها لتعب القطعات ولا سيما الفرقة ١٩ ولضعف قواته مادة ومعنى . وقد كان فالكنهاين يبني خططه بمستوى القطعات الالمانية والجندي الالماني ويحاول تطبيقها على القطعات التركية غير

ملم بقابلياتها الحقيقية ولذا لم يستطع تحقيق اهدافه بالشكل الذي كان يرغب فيه .

شرع الاتراك بهجماتهم المقابلة يوم ٢٧ تشرين الثاني على محاور مختلفة . فتوجه الاول منهما نحو جامع النبي صموئيل اثناء عملية تبديل قطعات الفرقة ٥٢ بالفرقة ٦٠ وقد استطاع البريطانيون صد الهجوم واكمال عملية التغيير . وتوجه هجوم تركي آخر على جبهة الفرقة المتطوعة في موقع (زيتون) على الحافة الغربية من تل الزيتون بقوة فوج مسند بالمدفعية من الفرقة ٢٤ وقد نجح البريطانيون بصده حتى المساء ، وبناء على الحاح قائد فرقة الخيالة المتطوعة اتخذت اجراءات لسد الثغرة الكائنة في جناحه الايسر بلواء الخيالة السابع من الاحتياط وبافواج الفرقة ٥٢ التي تم سحبها من الجبهة وقد اشغلت هذه موضعا في (البرج) . واضطرت فرقة الخيالة تحت الضغط الشديد للانسحاب يوم ٢٨ الى بيت عور الفوقة . وقد استمر وصول النجدات البريطانية فوصل لواء الخيالة الرابع الاسترالي الذي كان مقدمة فرقة الخيالة الاسترالية التي كانت في طريقها لتبديل فرقة الخيالة المتطوعة . وقد اضطرت فرقة الخيالة المتطوعة لتعديل خطها بالانسحاب من بيت عور الفوقة ايضاً تحت تضييق العدو فأشغلت خطا يمتد من بيت دقو الى بيت عور التحتة . واضطرت القيادة العامة البريطانية الى تحريك الفرقة ٥٢ بكاملها نحو الثغرة لسدها واستقر الموقف ليلة ٢٨ ــ ٢٩ في جناح الفرقة ٦٠ الايسر على الوجه التالي :

١ ــ فرقة الخيالة المتطوعة على الخط بيت دقو ــ بيت عور التحتة .

٢ ــ لواء الخيالة السابع على طنف الحلبي الى يسار فرقة الخيالة المتطوعة.

٣ ــ الفرقة ٥٢ ناقص لواء في الجناح الايسر وبتماس مع الفرقة ٥٤ على السهل الساحلي في (شلتا) وكان مقر الفرقة في بيت سيرا .

٤ ــ لواء الخيالة الرابع الاسترالي جنوب بيت عور التحتة.

وقد وصلت كتائب مدفعية من الفرقة ٧٤ الى الجبهة ايضاً لتعزيزهـا . واستمر تضييق الاتراك ليلة ٢٨ ـ ٢٩ واستطاعوا النفوذ من الجناح الايسر حيث استولوا على شلتا في أقصى جناح الفرقة ٥٤ الايمن وقد استطاع البريطانيون سد هذه الثغرة بهجوم مقابل وجهته الفرقة ٥٢ من الشرق .

وفي صباح يوم ٢٩ كان الفيلق البريطاني العشرون قد استلم مسؤولية القيادة في الجبهة من الفيلق الحادي والعشرين ووصل لواء مشاة من الفرقة ٧٤ الى (بيت عنان) وبذا ضمن البريطانيون تفوقا عدديا ساحقا في الجناح الايسر . استمر الاتراك بهجومهم طيلة نهار ٢٩ على مسجد النبي صموئيل دون نجاح ووجهوا هجوماً آخر نحو بيت عور التحتة في جبهة الفرقة ٥٢ ومني بالفشل ايضا . واستمرت عملية تبديل فرقة الخيالة المتطوعة بالفرقة ٧٤ وتوجه هجوم تركي ثالث نحو بيت نبالا دون نجاح . وفي يوم ٣٠ استمرت عمليات التبديل وارسلت سرية نحو بيت عور الفوقة التي كان يعتقد الفوج المسؤول عن القاطع انها في حوزة الخيالة البريطانية ، بينما كان الاتراك قد استولوا عليها منذ يوم ٢٨ ، ولما وصلت السرية فجر يوم ٣٠ وجدت قوة تركية تقدر بفوج في حالة استراحة واسلحتها مشبكة بانتظار طعام الفطور . وقدر آمر السرية البريطانية الجريء الموقف بسرعة وادرك الخطر الذي يحيق به فاندفع الى الامام وفي صحبته مترجم نحو الاتراك طالباً اليهم التسليم باعتباره قد طوقهم بقوة فائقة وضمن بضع لحظات أطلقت خلالها بضع طلقات استسلم ٤٥٠ تركياً للبريطانيين ونظمهم آمر السرية البريطاني بشكل رتل بقيادة ضباطهم واوفد معهم قوة للحراسة وارسلهم الى الخلف نحو الخطوط البريطانية وفي الطريق استطاع بعض الاسرى الهروب ووصل منهم الى قفص الاسرى ٨ ضباط و ٢٨٩ من المراتب . وبعد بضع ساعات توجه هجوم تركي قوي نحو بيت عور الفوقة وارغم السرية البريطانية على الانسحاب ثم استمرت القوة التركية التي كانت بقوة فوج على التقدم واستولت على (الطيره) الواقعة على بعد ميل واحد شمال بيت دقو واسرت عدداً من البريطانيين . وفي ليلة ٣٠

تشرين الثاني-١ كانون الاول استلمت الفرقة ٧٤ الجبهة من الفرقة ٥٢ واستلمت فرقة الخيالة الاسترالية جبهة فرقة الخيالة المتطوعة الممتدة من بيت سيرا الى (شلتا). وبنفس الليلة قام فوج تركي من الفرقة ١٩ بهجوم منظم على العزم والجرأة على الخط بيت عور التحتة - البرج واحرز الهجوم في البداية بعض التقدم ثم قام البريطانيون بهجوم مقابل بقوات فائقة فجرا فاستطاعوا استعادة ما فقدوه من المواقع وتطويق القوة المهاجمة وتدميرها حيث أسر منها ٦ ضباط و ١٠٦ مراتب واستشهد او جرح الباقون ولم ينج الا القليل. وفي يوم ٢ كانون الاول استلمت الفرقة البريطانية ١٠ القاطع من الفرقة ٧٤ وبدلت فرقة الخيالة الاسترالية بقايا الفرقة ٥٢ المنهكة. وفي يوم ٣ كانون الاول حاولت الفرقة ٧٤ الاستيلاء على بيت عور الفوقة فهاجمتها بقوة فوج الا أن الهجوم فشل وتكبد الفوج خسائر فادحة بلغت حوالي ٣٠٠ واضطر الى الانسحاب الى بيت عور التحتة.

وتوقفت سلسلة الهجمات المقابلة التركية التي لم يجن منها الاتراك شيئاً سوى الخسائر الفادحة في وقت كانوا به بأمس الحاجة لكل محارب للدفاع عن القدس وإعاقة البريطانيين لحين وصول التقويات اليهم. وقد كانت هجمات فالكنهاين طموحة وبنطاق واسع فقد كانت خطته لعمليات يوم ٢٧ تشرين الثاني مثلا تشمل هجمات تقوم بها الفرقتان ٣ و ٧ في السهل الساحلي عبر نهر العوجة والفرقة ٢٠ نحو (ملبس) في الجناح الايسر للفيلق ٢٢ من الجيش الثامن. وهجوم تقوم به كل من الفرقة ١٦ نحو (رانتيس) بين الجيشين السابع والثامن والفرقة ٥٤ نحو الطيرة والفرقة ١٩ نحو الخط (نعلين - بيت عنان). واذا أخذنا بنظر الاعتبار موجود الفرق التركية وضعف اسنادها الناري تبين لنا درجة تأثير هذه الهجمات.

الزحف الثاني والاستيلاء على القدس :

عين الجنرال اللنبي يوم ٨ كانون الاول ١٩١٧ موعداً للشروع بالهجوم

للاستيلاء على القدس وأخذت القطعات تنفتح حسب الخطة التي سبق شرحها. وكانت (مفرزة موت) الزاحفة من الجنوب على طريق القدس — الخليل قد وصلت يوم ٦ كانون الاول الى مسافة ٤ أميال جنوب بيت لحم وأسست التماس مع كتيبة الخيالة الاسترالية العاشرة في وادي الصرار . وفي يوم ٧ كانون الأول هطلت أمطار غزيرة استمرت طيلة ليلة ٧ – ٨ وقام لواء من الفرقة ٦٠ المكلفة بالهجوم الرئيسي من الجنوب الغربي باجتياز وادي الصرار ، وشن هجوماً مباغتاً فجر يوم ٨ في الساعة ٠٣٣٠ على الأراضي المرتفعة جنوب عين كارم واستولى عليها . وسقطت هذه المواضع القوية التي كانت تشغلها الفرقة ٢٦ التركية بسهولة غير متوقعة وقد كسبها البريطانيون بحصولهم على المباغتة نتيجة تقدم صامت وسوء احوال الطقس وغفلة الاتراك . وقد فشل الفيلق ٢٠ التركي الذي كانت قوته حوالي ١٢,٠٠٠ محارب في قبول معركة دفاعية ناجحة في دفاعات القدس التي اشغلها وعمل على تحصينها منذ ٢١ تشرين الثاني أي منذ ١٦ يوماً . وقد حصلت الفرقة ٧٤ البريطانية في الشمال على مواطىء قدم في منطقة بيت اكسا أثناء الليل وقد عمل البريطانيون طيلة يوم ٨ لتوسيع مكاسبهم واستثمار ما حصلوه من فوز وكان التقدم بطيئاً بسبب المطر ووعورة الارض ، واكملت الفرقة ٧٤ عند حلول الظلام احتلال بيت اكسا بعد التغلب على المقاومة العنيفة التي ابدتها الفرقة ٥٣ التركية. واستطاعت الفرقة ٦٠ الاستيلاء على الخط عين كارم دير ياسين . وتقدمت الفرقة ٥٣ (مفرزة موت) مجتازة بيت لحم حيث وصلت بيت جالا عند حلول الظلام. وقد تأخرت هذه الفرقة بسبب رمي المدفعية التركية المؤثر المستند على تسجيل دقيق ولرغبة البريطانيين بتجنب القتال في مدينة بيت لحم المقدسة والاكتفاء بأحاطتها لارغام الاتراك على الانسحاب منها .

وفي الجانب التركي قدر قائد الفيلق ٢٠ حراجة الموقف فجر يوم ٨ كانون الاول بعد نجاح هجوم البريطانيين المباغت في عين كارم وقرر قبل ظهر ذلك اليوم استحالة الدفاع عن القدس ووجوب اخلائها ليلة ٨–٩ والانسحاب

شرقاً حسب الخطة المقررة . وفي يوم ٩ كانون الاول ١٩١٧ كان آخر جندي تركي قد انسحب من القدس الشريف . وسلم رئيس البلدية المدينة الى قائد الفرقة ١٠ البريطانية ودخلتها القطعات من جميع الاتجاهات . وكانت القطعات التركية في حالة انسحاب على طريقي نابلس وأريحا . وأوفدت (مفرزة موت) كتيبة الخيالة الملحقة بها لسد طريق القدس — أريحا وقامت الفرقة بتطهير طريق نابلس حتى شمال (تل الفول). وفي يوم ١١ كانون الاول ١٩١٧ دخل الجنرال اللنبي القدس بمراسيم احتفالية ترافقه مفارز فرنسية وايطالية من القطعات الملحقة به وأمر بوضع قطعات حراسة من الهنود المسلمين الموجودين بامرته على أماكن عبادة المسلمين مراعاة للشعور الاسلامي . وقد كان للاستيلاء على القدس تأثير معنوي كبير أثر على هيبة الامبراطورية العثمانية كثيراً لا سيما وانه أعقب سقوط بغداد بيد البريطانيين قبل بضعة اشهر .

ترصين الموقف البريطاني

تم للبريطانيين الاستيلاء على القدس عاصمة فلسطين ، ويافا مدينتها الاولى ، إلا أن قرب الاتراك منها وكونها ضمن مدى مدافعهم استوجب القيام بعمليات تبعدهم عنها الى مسافة كافية تضمن أمن المدينتين ، وقد أصدر اللنبي أوامره يوم ١٨ كانون الاول الى قائدي الفيلقين ٢٠ و ٢١ لاتخاذ ما يلزم حول ذلك . فاتخذ الفيلق ٢١ على السهل الساحلي الاجراءات اللازمة لعبور نهر العوجة ودفع الاتراك الى الخلف وقد تم له ذلك ليلة ٢٠ — ٢١ كانون الاول كما سيأتي شرحه فيما بعد . وأشغل الفيلق بعد ذلك خطاً يمتد من عرطوف (على الساحل ١٠ أميال شمال يافا) الى شيخ بلوطة — تل مخمر — فجة — رانتيس . وبذا تم تأمين منطقة يافا .

اما الفيلق العشرون في جبهة القدس فقد انصرف بجد لتحسين الطرق

وجعلها صالحة للعجلات ولا سيما في المنطقة غربي طريق نابلس – القدس العام وتكديس المهمات تمهيداً للهجوم ودفع الاتراك شمالاً الى خط بيتين – نعلين الذي يبعد ١٢ ميلا الى شمالي القدس . وتضمنت الخطة الزحف بأربع فرق ، وهي من الشرق الى الغرب ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ١٠ . وتقرر الشروع في التقدم يوم ٢٧ كانون الاول إلا ان الاستخبارات البريطانية علمت عن طريق استراق المخابرات اللاسلكية التركية واستجواب الاسرى ان الاتراك ينوون شن هجوم مقابل واسع النطاق لاسترجاع القدس وقد تعززت قطعاتهم بالفرقة الاولى التي وصلت حديثاً . ولذا قرر الجنرال تشتوود قائد الفيلق ٢٠ الدفاع على جانبي طريق نابلس العام لستر القدس من الشرق والشمال بالفرقتين ٥٣ و ٦٠ وبعد إيقاف الهجوم التركي الاستمرار على تنفيذ خطته الاصلية بالتقدم بقدر ما يتعلق الامر بالجناح الايسر غربي طريق نابلس العام بالفرقتين ٧٤ و١٠ . وقد شرع الاتراك بهجومهم فعلاً بالوقت الذي توقعه البريطانيون أي ليلة ٢٦ – ٢٧ وكانت القطعات البريطانية منذرة ومتهيئة لصد الهجوم . وتمركز الهجوم التركي على تل الفول الواقع شرقي طريق نابلس بحوالي ٣ أميال شمال القدس وقد هاجمته الفرقة ٥٣ التركية ، وهاجمت الفرقة ١٩ النبي صموئيل . وكان من المقرر هجوم الفرقتين ١ و٢٤ على (بيت دقو) و (بيت اجزا) كصفحة ثانية إلا انها لم تنفذ فعلاً لأن الهجوم المقابل البريطاني توجه نحوها . وقد هاجمت الفرقة ٢٦ ولواء الخيالة السابع التركي القدس من الشرق على محور أريحا . وقدرت القوة التركية الهاجمة بحوالي ٣٠،٠٠٠ بينما كانت قوة الفيلق ٢٠ المدافعة ٣٣،٠٠٠ أي اكثر منها عدداً بالاضافة للتفوق الجوي والمدفعي . وبعد ان نجح البريطانيون بايقاف الهجرم التركي – الذي انطوى على كثير من الشجاعة – دون تقدم يذكر ، أصدر الجنرال تشتوود اوامره لجناحه الايسر المؤلف من الفرقتين ٧٤ و ١٠ بالتقدم نحو (بيتونيا) و (رام الله) ولباقي القطعات بالزحف شمالا . ونجحت الفرقة ٦٠ بالاستيلاء على (الجيب) و (الرام) وشرع الاتراك بالانسحاب شمالا يوم ٢٩ وزالت

مقاومتهم تماماً يوم ٣٠ ودفن بساحة المعركة ١٠٠٠ شهيد تركي وأسر ٥٥٠ أما خسائر الفيلق ٢٠ فكانت حوالى ١٠٠٠ . واستقر الفيلق ٢٠ على الخط بيتين – بالو – دير قديس – نعلين الذي يبعد ١٥ ميلا شمالي القدس . وبذا تم للبريطانيين ترصين أهدافهم والاستراحة خلال موسم الشتاء بموقف ملائم جداً .

عبور نهر العوجة

(الخريطة رقم ٧)

كانت عملية عبور نهر العوجا جزءاً من عملية تأمين العمق الكافي لحماية يافا التي سبقت الاشارة اليها وسنبحث العملية هنا بالتفصيل .

الوصف الطوبوغرافي

يصب نهر العوجة في البحر على مسافة اربعة اميال شمالي يافا ويتراوح عرضه بين اربعين ياردة في مصبه واربعين قدماً على بعد اربعةاميال الى شرقي المصب . ويبلغ معدل عمقه ١٠ الى ١٢ قدماً وضفافه طينية رخوة ولا سيما في موسم الشتاء الذي جرت اثناءه عملية العبور . وتسيطر ضفته الشمالية على الجنوبية كما ويسيطر الطنف الذي تقع عليه قرية (شيخ مونس) التي تبعد نصف ميل عن النهر وميلا ونصف ميل عن البحر ، على معظم المنطقة تقريباً. وقد سبق للبريطانيين ان استولوا عليها إلا انهم أخرجوا منها في ٢٥ تشرين الثاني . والعارضة المسيطرة الاخرى هي الطنف الذي تقع عليه قرية الخضرة الواقعة على بعد ميل وربع ميل شرقي قرية شيخ مونس . اما الأماكن الصالحة للعبور فكانت السد الواقع في مصب النهر حيث توجد قربه مخاضة عمقها ثلاثة اقدام ونصف قدم . وقد خرب الاتراك الجسر الواقع

قرب قرية الخضرة وكان يمر منه طريق يافـا ـ طولكرم . كما ودمروا سد الطاحونة الذي يقطع النهر قرب جريشة الواقعة على بعد ميل جنوب غربي الخضرة . وقد عزز الاتراك مواضعهم وحصنوها بصورة جيدة بعد مظاهرة العبور التي قام بهـا البريطانيون لتأسيس رأس جسر والتي استطاعوا القضاء عليها . وبصورة عامة كانت الاراضي الواقعـــة جنوب النهر أي على ضفته اليسرى مستنقعة . وتكثر على الضفتين الاحراش الصغيرة واشجار البرتقال التي تسدي ستراً لا بأس به . ويتصل نهر الباردة بنهر العوجه جنوب شيخ مونس تماماً . وهناك نطاق الكثبان الرملية الممتدة نحو الساحل وتمتد بموازاة الساحل طنوف واطئة وتحتوي الاراضي الواقعة الى شمال نهر العوجـة على تلال رملية واطئة وتوجد مزارع قليلة غرب شيخ مونس .

خطـة العبور

كانت خطة الجنرال بولفن قائد الفيلق ٢١ مبنية على عبور صاخب بإسناد قوي يؤمنه قصف المدفعية لمدة ٢٤ ساعة على خنـــادق الاتراك ومدافعهم المستمكنة . ويعقب ذلك حركة عبور ليلية . وكان الفيلق ٢١ قد تعزز ـ بعد تحسن المواصلات في السهل الساحلي ـ بكثير من المدفعيـــة ولا سيما الثقيلة منها (مدافع ٦٠ رطلا وأقواس ٦ عقـــدة) وقد استلم الفيلق ٢١ الجبهة الساحلية من فيلق الصحراء من يوم ٧ كانون الاول وقد انفتح من يوم ١١ كانون الاول بالفرقة ٧٥ في اليمين أي شرق خط السكة الحديد والفرقة ٥٤ في المركز والفرقة ٥٢ في اليسار . واقتضى تسهيل العبور دفع الفرقتين ٧٥ و ٥٤ الى الأمام لحماية المواضع الجديدة للمدفعية . وكانت الفرقـة ٧٥ تحتل موضعاً يتجه من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي لتأمين الاتصال مع الفيلق ٢٠ الذي كان متأخراً بالقدمة عن الفيلق ٢١ ومشغولاً في معركة القدس . وبنتيجة الحركات التمهيدية التي جرت أشغلت الفرقة ٧٥ قرية بيت نبالا الواقعة على بعد ٤ أميال شمال شرقي اللد وأشغلت الفرقة ٥٤ قريـــة

الطيرة الواقعة على بعد ٣ أميال شمال بيت نبالا .

وقد عهد الى الفرقة ٥٢ القيام بعملية عبور نهر العوجـــة . وبعد درس الموضوع طلب قائد الفرقة من قائد الفيلق يوم ١٤ كانون الاول تبديل الخطة وجعل العبور صامتا لا صاخبا وانتستند الحركة بالدرجة الاولى على المباغتة وقد وافق قائد الفيلق على خطةالعبور الصامت بعد التأكد من امكانالاستفادة من مزارع الحمضيات وغابات اليوكالبتوس الكثيفة في الضفـــة الجنوبية لستر الاستحضارات . وتقرر ان تمد الخطة النارية وتطبق في حالة فشل المباغتة وانكشاف الحركة . وتضمنت الخطة عبور قطعات ساترة قويـــة بواسطة الاطواف والجسور الخفيفة لتأسيس رأس جسر ومن ثم نصب جسور قوارب لعبور باقي القطعات والمدفعية . وتقرر إجراء العبور ليلة ٢٠ – ٢١ كانون الاول على ان تقوم الفرقة ٥٤ بمد جناحهـا الايسر الى جسر الخضرة وان تستلم ألوية الخيالة خطوط الفرقة ٥٢ الدفاعية قبل موعد العبور . وبالنظر لخمول الدوريات التركية واهمال المدافعين مراقبة نشاط عدوهم استطـــاع البريطانيون القيام باستطلاعات عديدة كان يجري بعضها ، سباحة ، وكان أهمها استطلاع قام به ضابطان ليلة ١٤ – ١٥ كان أحدهما المقدم اندرسون آمر الفوج المكلف بالعبور من مخاضة سد نهر العوجة ، وقـــد سبح هذان الضابطان الى عرض البحر مجتازين مصب نهر العوجة ووصلا الى مـــا وراء الخنادق التركية حيث ثبتا موضع المخاضة قربسد المصب وقاسا عمقهاوتأكدا من عدم وجود موانع تحت سطح الماء فيها ثم عادا الى الخطوط البريطانية.

وزع أمر حركات الفرقة٥٢البريطانية الذي صدر صباح يوم ١٨ الواجبات بين ألوية الفرقة الثلاثة وهي : (١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧) على الوجة التالي :

اللواء ١٥٥ – واجبه العبور من الشرقمن عطفة النهر في منتصف المسافة بين جسر الخضرة الحجري وجريشة والاحاطـــة من الغرب بالخضرة والاستيلاء عليها .

اللواء ١٥٦– واجبه العبور من جنوب قرية الشيخ مونس والاستيلاءعليها

وعلى الارض المرتفعة الى الى شمالها .

اللواء ١٥٧ – العبور من مخاضة سد المصب والاستيلاء على تـــل الرقطي الكائن على بعد ميلين الى شمالي المصب .

وعهد الى الهندسة واجب نصب جسرين من البراميل لحمل المشاة بالرتـل الرباعي وعين محل الاول في ملتقى نهر الباردة بالعوجة والآخر قرب مصب العوجة جنوب شرقي المخاضة .وطلب الى المدفعية التهيؤ لتعبير بطريتين من مخاضة المصب للاسناد القريب دون انتظار اكال الجسور على ان لا يتم عبورها الا بأمر من الفرقة . وتم تقديم جحفل من المدفعية الثقيلة للامام وهو مؤلف من ٤ بطريات مدافع ٦٠ رطلا وبطرية واحـدة قوس عيار ٦ عقدة (ذات مدفعين) وكلف هذا الجحفل بمقاتلة بطريات العدو واسناد العبور والحركات التي ستعقبه عند صدور الاوامر اليه بذلك . ولمنع نشاط الدوريات المعادية واخفاء اصوات عملية العبور وضع منهج اسناد ناري بسيط تشترك به مدفعية الفرقة وبعض الرشاشات المتوسطة على مواضع العدو المستمكنة . وقـد نفذ هذا المنهج في ليالي متعاقبة بنفس الاوقات وقد شرع بذلك قبل العبور ببضعة أيام وذلك لتعويد الاتراك وبث الطمأنينة فيهم ولعدم اثارة شكوكهم في ليلة العبور الحقيقي . وقد امتازت أوامر الفرقة بالمرونة لمعالجة الطوارىء بعد عبور الفوجين الاولين . وتقرر صنع الاطواف من اطارات خشبية مغطـــاة بالجنفاص وكانت هذه تتسع لستة عشر شخصا ومن ثم يستفاد منها لحمل سقائف الجسور . وقد استفيد من اخشاب الدور والسقائف في القرى المجاورة لصنع الجسور . وقد تمرن الجنود على استخدام هذه الاطواف وركوبها في حوض كبير من أحواض الري خلف الخطوط الامامية .

تطور الحركات

عينت ساعة الصفر بالساعة ٢٠٠٠ من ليلة ٢٠ – ٢١ وقـد كان يومـا ١٩ و ٢٠ ممطرين جداً وارتفع نهر العوجة منذراً بالخطر وغمرت المياه الوادي

واصبحت الطرق القريبة الى الضفاف ولا سيما نقاط العبور رخوة وموحلة مما استوجب فرشها بشبكات سلكية في القسم الاخير منها وكان البرد قارساً والقمر في تربيعه الاول . وقد اتخذت ترتيبات متقنة للمواصلات الداخلية ومدت خطوط سلكية مزدوجة لمقرات الالوية وللمدفعية . وبدأت عملية العبور بالوقت المعين حيث انزلت الاطواف وشرعت القطعات الساترة بالعبور بين المصب وملتقى نهر الباردة بالعوجة . وفي الساعة ٢٢٣٠ تم عبور الفوجين الاولين بهدوء تام وقد بوغت الموقع التركي المسؤول عن الدفاع عن مخاضة سد المصب واسر به ضابطان و ١٨ من المراتب كانوا نياماً ، كما وأسر في الخنادق الى وراء هذا الموقع ٤ ضباط و ٦٢ من المراتب وثلاث رشاشات . وفي الساعة ٢٤٠٠ تم نصب اول جسر وعبر اللواء ١٥٦ بكامله الى الضفة اليمنى وتقدم اللواء الى اهدافه في منطقة (الشيخ مونس) واستولى عليها .

وفي جبهه اللواء ١٥٧ تقدم الفوج الاول نحو سد المصب للعبور من المخاضة الا أنه تعذر العثور عليها اذ ان ارتفاع مستوى النهر بتأثير الأمطار ازال كافة التأشيرات التي سبق وضعها وقد اضطر آمر الفوج المقدم اندرسون ، نظراً لعدم وجود زميله الذي رافقه في الاستطلاع يوم ١٤ (حيث كان مريضاً في المستشفى) الى خلع ملابسه والنزول الى النهر بحثاً عن المخاضة وبعد ان ثبت محلها قام المهندسون بتأشيرها بالحبال . وامر المقدم اندرسون فوجه بالعبور خوضاً برتل رباعي على ان تتشابك الاربعات بايديها . وفتحت المدفعية التركية نارها على المخاضة التي سبق لها تسجيلها وكبدت الفوج حوالي ٣٠ من الخسائر . وتم عبور الفوج بالساعة ٠١٣٥ وأعقبه الفوج الثاني من اللواء ، وشرع الفوجان بالتقدم نحو تل الرقطي وتم عبور اللواء بكامله والاستيلاء على أهدافه بالساعة ٠٣٣٠. واسر كثير من ضباط الاتراك بملابس نومهم ولم يتكبد البريطانيون الا خسائر بسيطة جداً .

والى الشرق شرع الفوج الامامي من اللواء ١٥٥ بالعبور بالاطواف بالساعة ٢٣١٥ وقد عرقل الطين ووضع الضفاف وتحولها الى مستنقعات عملية إنشاء

الجسر ، فأمر آمر اللواء افواجه الاخرى بالعبور بالاطواف أيضاً مما اخر العبور فلم يتم الا بالساعة ۰۳۳۰ وتقدم اللواء الى اهدافه فتم الاستيلاء على قرية الخضرة بالساعة ۰٥۰۰ دون ان تتجاوز خسائر الفوجين الهاجمين ۱۲ وأسر أثناء ذلك ۱۳۱ تركياً . وتقدمت سرية بريطانية لمهاجمة المواقع التركية التي تستر الجسر الحجري المخرب في (الخضرة) حيث نشب قتال عنيف بالحراب تم بعده القضاء على القوة التركية بالساعة ۰٥٤۰ وفي فجر يوم ۲۱ تم نصب جسر قوارب في جريشة وجسر قوارب آخر قرب مصب العوجة وتم تصليح الجسر الحجري جنوب (الخضرة) . وعبرت بطاريتا المدفعية بالساعة ۰٦۰۰ لاسناد اللواء ۱٥۷ قبل نصب الجسور من مخاضة سد المصب . وبنتيجة جهود الليلة السابقة تم للفرقة ٥۲ عبور نهر العوجة والاستيلاء على الاهداف المعينة . وتم تنفيذ خطة الفيلق ۲۱ لتأمين العمق الكافي لحماية يافا واخذ الاتراك بالانسحاب . وبنهاية العملية اشغل الفيلق ۲۱ خطاً يمتد من عرطوف (۱۰ اميال شمال يافا) الى شيخ بلوطة – تل مخمر – فجة – رانتيس ، كما سبق بيانه . وقد ساهمت البحرية البريطانية التي اقتربت من الساحل الى شمالي العوجة بقصف ارتال العدو كما ساهمت القوة الجوية ايضاً بنفس الواجب بقصف الارتال التركية بقنابلها والاخلال بأنسحابها.

الدروس المستحصلة

استطاع البريطانيون خلال هذه الصفحة من الحركات ، اي منذ الهجوم على خط غزة – بئر السبع في ۳۱ تشرين الاول ۱۹۱۷ الى سقوط القدس في ۹ كانون الاول ۱۹۱۷ وكما جاء في تاريخهم الرسمي (لقد استطعنا في خلال ٤۰ يوماً الاستيلاء على عدة مواضع تركية قوية ، وقد تقدمت قواتنا حوالى ٦۰ ميلاً على جبهة تبلغ ۳۰ ميلاً . وقد انزلنا بالعدو هزيمة شنعاء ويعود الفضل في نجاة قواته من الدمار التام الى طبيعة الأرض فقط . وقد أسرنا منه ۱۲،۰۰۰ محارب واستولينا على اكثر من ۱۰۰ مدفع ، وقد بلغت

خسائر الاتراك في هذه الفترة حوالى ٢٥،٠٠٠ بينما لم تتجاوز خسائر البريطانيين ١٨،٠٠٠) . وقد برزت في هــذه الصفحة دروس مهمة لتلميذ التاريخ العسكري ، نتصدى لاهمها فيما يلي :

١ – خطة الدفاع التركية عن القدس

لم يسبق الاتراك النظر في موضوع الدفاع عن القدس وفي ذلك اهمال خطير للاهمية العظيمة لهذه المدينــة المقدسة . وبالرغم من أن المبادىء العسكرية تقضي باعتبار قوات العدو هدفاً اصلياً للقائد الا ان المراكز السوقيــة ذات الخطورة العسكرية او السياسية او المعنوية ستبقى اهدافاً لهـا خطورتها التي لا يمكن تجاهلها. وكان ينبغي ان يكون من الواضح ان ضياع القدس سيكون ضربة قاصمة بالنسبة للامبراطورية العثمانية وكسباً معنوياً كبيراً للحلفاء .

ولذا فمن الغريب اهمال امر اعداد خطة دفاعيــة رصينة للدفاع عنها واتخاذ ما يلزم لتنفيذهــا بالرغم من مساعدة طبيعة الارض المحيطة بالقدس وملاءمتها لاغراض الدفاع بصورة ممتازة . وقــد اصدر مقر يلدرم في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٧ اوامره باعداد دفاعات القدس وهو امر كان يجب ان يتم منذ قبول الدفاع وصرف النظر عن مشاريع غزو مصر او التقدم نحو السويس اي منذ معركــة الروماني في آب ١٩١٦ . ولذا لم تكن دفاعات القدس عند الهجوم عليها في كانون الاول ١٩١٧ اكثر من خط واحد من خنادق النار المحفورة حديثاً في ارض كلسية طباشيرية يكشف بهــا التراب المستخرج حديثاً ببياض لونه خط التحصينات . ولم يكن هناك اي ملاجىء او مواضع بديلة او موانع او غيرها مما تتطلبه التحصينات الحديثة . كما ولم يكدس بها ما يكفي لاغراض الدفاع الطويل من ارزاق وعتاد ومدخرات ولم تجهز بمدافع الحصار الثقيلة كما ولم تتخذ اي اجراءات فيما يتعلق بموضوع السكان المدنيين واخلائهم او ترتيب اعاشة الباقين في المدينة في ظروف المعركة الدفاعية .

وبالرغم من كل ذلك فقد اشغل الفيلق العشرون التركي بقيادة اللواء علي فؤاد باشا مواضعه للدفاع عن القدس اعتباراً من ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧ وقد استطاع فالكنهاين بمناوراته البارعة ان يحدد جبهة الهجوم البريطاني ويحصره بهجوم جبهوي على محور طريق يافا القدس العام وان يفسح المجال للفيلق العشرين لاعداد دفاعاته دون ان يقلقه العدو وقد نجح بتأمين فرصة اسبوعين للفيلق ، كما ونظم خط مواصلات حر وامين للفيلق يمتد شرقاً نحو اريحا وعبر نهر الاردن الى سكة حديد الحجاز . وكان فالكنهاين قد عقد الآمال على كسب الوقت الحيوي اللازم لتأمين وصول التقويات المرتقبة ولا سيما الالمانية منها حيث كان وصول اول فوج الماني من فيلق آسية الى نابلس متوقعاً يوم ١٢ كانون الاول ، الا ان آمال فالكنهاين انهارت حيث لم يستطع الفيلق ٢٠ الصمود في معركة القدس الدفاعية حتى لمدة ٢٤ ساعة اذ انهارت خطوطه في اليوم الاول وشرع بالانسحاب بمجرد اقتحامها دون اي محاولة جدية لمعالجة الموقف . ويمكن ان نستنتج من هذا التطور غير المتوقع الدروس التالية :

أ – المعنويات :

لم يكن اللواء علي فؤاد قائد الفيلق ٢٠ مؤمناً بامكان الدفاع عن القدس وقد ابرق من مقره في باب الواد يوم ١٥ تشرين الثاني عند تكليفه بواجب الدفاع عن القدس معتذراً عن قبول الواجب بالنظر لموقف فيلقه الذي انهكه القتال المستمر تحت تضييق شديد مباشر من العدو . وقد نجح فالكنهاين باقناع قائد الفيلق الذي كان يعتبره احسن قادة الفيالق التركية بقبول المهمة وامر بترقيته الى رتبة لواء فور استلامه مسؤولية الدفاع عن القدس . وخوله صلاحية الانسحاب عند تحرج موقفه وعندما يهدد العدو خطوات انسحابه نحو نهر الاردن وهي صلاحية استعملها علي فؤاد بسرعة دون ان تبررها حراجة الموقف . أما القطعات فكانت منهكة فعلا وقد منيت بخسائر كبيرة في المعارك التي خاضتها منذ الهجوم على خط غزة – بئر السبع الى حين انسحابها للقدس . وقد أدى هذا النقص في موجود الوحدات الى

التضحية بالعمق فكان للفيلق ٤٠٠٠ بندقيه في القاطع الغربي منفتحة على جبهة طولها ١٤ كيلو مترا وهي جبهة تتطلب لاشغالها بعمق صحيح حوالي خمسة اضعاف هذا العدد على الاقل. وقد أدى ضعف المعنويات لدى القائد والقطعات الى ضعف العزم على الثبات وهو اول ما يستند عليه الدفاع .

ب – استخدام الاحتياط:

استطاع البريطانيون اقتحام المواضع التركية فجر يوم ٨ كانون الاول والحصول على موطىء قدم في كل من (بيت اكسا) و (عين كارم) ولما كانت (بيت اكسا) في الشمال وهي قريبة من منطقة الفيلق الثالث و (عين كارم) الى الجنوب وهي تشكل تهديدا مباشرا للقدس فقد كان على قائد الفيلق العشرين اولا ، التريث في استخدام احتياطه ريثما يتم له الحصول على صورة واضحة عن الموقف ، وثانيا، كان عليه ان يقدر خطورة (عين كارم) بالنسبة لواجبه . الا أن ما حدث كان قيام قائد الفيلق العشرين باستخدام احتياطه لمعالجة الموقف في منطقة بيت اكسا قبل أن تنكشف له خطورة الموقف في عين كارم ، وقد أدى هذا التسرع في استخدام الاحتياط الى تحرج موقفه وارغامه على الانسحاب المبكر عندما ازداد الضغط البريطاني في منطقة عين كارم .

ج – تقدير خطورة عامل الوقت :

يبدو من دراسة سير الوقائع المتعلقة بمعركة القدس أن خطورة عامل الوقت لم تستوعب بصورة كاملة من قبل قائد المعركة الدفاعية . اي قائد الفيلق ٢٠ التركي ، أو انها لم تؤكد عليه من قبل قيادة يلدرم بصورة كافية . فقد كان لعامل الوقت بالنسبة لمعركة القدس الدفاعية خطورة مزدوجة ، اذ ان كسب الوقت بالصمود امام الهجوم سيؤمن وصول التقويات التركية التي أصبحت قريبة وبوسعها تحسين الموقف بصورة مؤثرة ، وأن كسب الوقت سيزيد حراجة موقف البريطانيين اذ ان تأخر استيلائهم على القدس سيعرضهم

الى مصاعب الشتاء بصورة أكثر في منطقة وعرة قليلة المسالك شديدة البرد .

د – الامن :

من الواضح جدا ان الفيلق العشرين التركي كان مهملا جداً باتخاذ تدابير الامن الفعالة ومراقبة جبهته بدوريات نشيطة ومفارز حمايوية وجرائد مستقلة مدفوعة ببعد كاف الى الامام . وقد أدى هذا الاهمال الى تقدم البريطانيين بصمت وسكون دون ان يشعر بهم المدافعون والى حصولهم على مباغتة اكسبتهم النصر

٢ – خطة اللنبي للاستيلاء على القدس :

أ – استثمار الفوز :

بنى اللنبي خطته بعد نجاحه في تحطيم خط غزة – بئر السبع على عدم فسح المجال لعدوه لاعادة تنظيمه ومضايقته بصورة مستمرة . وبالرغم من أنه لم ينجح بتطبيق خطة المطاردة التي وضعها للصعوبات الادارية التي أعاقت القطعات الراكبة ، الا أنه مضى في تطبيق خطته لشطر القوات التركية وعزل الجيش السابع التركي عن الثامن واندفع في محاولته للاستيلاء على القدس دون توقف . ويبرز في ذلك تطبيقه لمبدأ استثمار الفوز الذي حصل عليه وقوة شخصيته وعزيمته التي كانت الباعث لهذا التصرف غير المألوف من القيادة البريطانية . فقد كان الموقف الاداري حرجاً بالنسبة للمقاييس البريطانية اذ كان الفيلق العشرون بدون نقلية وعلى بعد ٥٠ ميلاً عن الجبهة . ولم تستطع خطوط مواصلات اللنبي وخدماته الادارية ادامة اكثر من خمس فرق اثنتان منها راكبة ، فترك فرقة خيالة وفرقة مشاة على السهل الساحلي واندفع بفرقة خيالة وفرقة مشاة الى المنطقة الجبلية في محاولة للاستيلاء على القدس وقطع الطرق بينها وبن نابلس . وقد تحمل المسؤولية على عاتقه حيث حذرته وزارة

الحرب البريطانية ببرقية ارسلتها في ١١ تشرين الثاني ١٩١٧ من مغبة التورط بقتال غير ملائم في المنطقة الجبلية او تكليف قطعاته بأمور فوق طاقتها ، وذلك لمنع تكرر مأساة طاونسند في الكوت وانذرته باحتمال سحب بعض القطعات منه الى فرنسة في السنة المقبلة أي ١٩١٨ . وقد قدر اللنبي هذه المحاذير المتعددة كقلة القوات المتيسرة له بالجبهة ووعورة الطرق ورداءة الطقس وصلاحية المنطقة للدفاع وعدم ملاءمة الموقف الاداري وتعب القطعات وهبوط موجودها نظراً لما تكبدته من خسائر في قتال مستمر وعدم تيسر خرائط دقيقة للمنطقة وبموازنة المحاذير ازاء الفرصة المتأتية من عدم السماح لعدو متزعزع للم شعثه وتنظيم دفاعه ، قرر دون تردد قبول المجازفة والاندفاع نحو هدفه دون تأخير . وفي هذا مثل لخصلة اساسية في القائد وهي سرعة اعطاء القرار المصيب وتحمل المسؤولية .

ب – المرونة وتجنب الارتجال :

عندما فشل زحف اللنبي الاول نحو القدس قدر بسرعة ان الموقف يتطلب معالجة على اسس جديدة واتخذ فوراً قرارات صحيحة لتنفيذ ذلك . فقرر اولاً تبديل القطعات المنهكة بأخرى منتعشة وان يكون التبديل شاملاً للقيادة والقطعات ، فسحب الفيلق الحادي والعشرين واستبدله بالفيلق العشرين ، ثم قرر تبديل محور الهجوم وتجنب تكرار محاولة الحصول على ما فشل في الحصول عليه ، أي قطع طريق نابلس – القدس وقرر توجيه الهجوم الجديد على محور جديد نحو القدس وذلك من الغرب والجنوب مستفيداً من الطريق للتغلب على الصعوبات التي سببت فشل الزحف الاول وذلك بتأمين الأسناد الناري اللازم بتقديم ما يكفي من المدافع للامام وبحل المشاكل الادارية الناتجة عن رداءة الطرق . وقدر الوقت اللازم لذلك بأسبوعين وخصصه فعلاً متجنباً الاعمال المرتجلة والمستندة الى تدابير ناقصة . وبعد ان تم له انجاز ذلك شرع بزحفه الثاني الذي تم له بواسطته تحقيق هدفه وهو الاستيلاء على القدس . فقد حاول اللنبي في الزحف الاول قبول المجازفة واستغلال المباغتة وسرعة

العمل وعندما فشل في ذلك عاد في الزحف الثاني للعمل المتأني الدقيق . وفي هـــذا مثـل على القيادة المرنة التي تتكيف حسب الاحوال مستغلة المواقف المتبدلة .

ج – مناقشة رأي تركي :

يرى المؤرخون الاتراك انه كان بوسع اللنبي بعـد الاستيلاء على بئر السبع يوم ٣١ تشرين الاول الاندفـاع نحو القدس مباشرة حيث تبلغ المسافة بينها وبين القدس ٧٥ – ٨٠ كيلو متراً. أي ثلاث مراحـل للمشاة ومرحلة طويلة للخيالة ولم يتيسر للاتراك من اجل الدفاع على هذا المحور سوى فوج تدريب واحـد . ولم يكن بوسع الاتراك بالنظر لوضع قواتهم حشد اكثر من ٣٠٠٠ بندقية لايقاف البريطانيين والدفاع على هذا المحور . ويرى القائلون بهذا الرأي ان هذا الاندفاع كان يؤمن للبريطانيين الاستيلاء على القدس في الاسبوع الاول من تشرين الثاني. ونرى ان هذا الرأي قابل للمناقشة اذ ان حركة كهذه تتطلب تبديلاً تاماً في الجهاز الاداري البريطاني، والابتعاد عن البحر وتعذر التعاون مع الاسطول. ولا يمكن الشروع بعملية كهذه ما لم تنزل ضربة قوية بالقطعات التركية المقاتلة على خط بئر السبع – غزة وهو ما كان يستهدفه اللنبي . وقد كان هجومه على بئر السبع واستيلاؤه عليها خطوة تمهيدية لقيامه بذلك . ولذا لا نتفق مع هذا الرأي التركي حول امكانية القيام بالعمل .

٣ – عبور نهر العوجة :

يمكن استنباط الكثير من الدروس القيمـــة من عبور نهر العوجة وفيما يلي اهمها :

ا – اهمية الاستحضارات المتقنة :

وتشمل الاستطلاعات الدقيقة التي قام بها البريطانيون ودراستهم التامـة

للنهر وضفافه واماكن العبور الملائمة وحسن انتخابها ومن ثم اعداد المعدات اللازمة وتدريب الجنود على استخدامها .

ب – المباغتة :

وهي ضرورة لازمة للنجاح في كل حركة عسكرية وتزداد خطورتهـا في عمليات العبور لمنع المدافعين من انزال خسائر فادحة بالقطعات العابرة .وقد امنها البريطانيون بالكتمان والعبور الصامت وبتدابير التمويه كمناهج الرمي المتكررة وقد حصلوا عليها اخيراً بسرعة التنفيذ وحجم القوة المستعملة .

ج – التدريب :

كانت الفرقة ٥٢ البريطانية التي كلفت بعبور العوجـــة من خيرة الفرق البريطانية وقد طلب قائدها القيـام بعبور صامت لاعتماده على قطعاته ، وقد استطاع جنوده فعلاً العبور والوصول الى اهدافهم بجرأة وعزم ، مستفيدين من حرابهم ، ولم يطلق مشاة الفرقة طلقة واحدة طيلة ليلة العبور كما ان خسائر الفرقة لم تتجاوز ١٠٢ ، وقد باغتت القطعات العابرة الاتراك مباغتة تامة واسرت منهم ١٥ ضابطاً و ٥٤٣ من المراتب .

د دفاع الأتراك:

كان الدفاع التركي عن نهر العوجة ضعيفاً فقد اغفل الاتراك تدابير الامن التي تقيهم المباغتة وكانت دورياتهم خاملة ومفارزهم الحامية تغط في نومها وهي في خط القتال . وبالنظر لضعف القطعـــات التركية وما كانت تشكوه من نقص في الاشخاص لم تتيسر الاحتياطات التي تؤمن العمق ولم يكن بوسعهم القيام بهجوم مقابل .

٤ – تدابير فالكنهاين :

لقد سبق لنا التطرق الى مزايا المارشـال فالكنهاين ومقدرته العسكرية باعتباره من اساطين فن الحرب . وقد عمل فالكنهاين مع الجيش التركي فترة لا تتجاوز الخمسة اشهر ، واستلم المسؤولية في وقت كانت به الامبراطورية العثمانية قد استنزفت قواها اي في السنة التي سبقت انتهاء الحرب وكانت حليفتها الكبيرة المانية عاجزة عن مساعدتها ولذا لم يكن بوسع فالنكهاين انقاذ الموقف او خلق المعجزات . ويتبين من دراسة ما اتخذه من تدابير حسن تقديره لنوايا خصمه وسرعة استيعابه للموقف المتطور بسرعة ، ومعالجته الفورية لذلك . الا ان هذه المعالجات لم تكن مثمرة لتفوق خصمه الساحق ولضعف القوات التركية بالكم والكيف . وهي امور لا تتمكن العبقرية العسكرية وحدها من التقلب عليها . ويؤاخذ فالكنهاين من ناحية واحدة فقط وهي عدم تفهمه لقابليات الجيش التركي وهيئات الركن التركية ولروحية الجندي التركي وامكانياته . فكانت مقابيسه في العمل نفس ما ألفه في الجيش الالماني أكفأ جيوش العالم، ولم تكن هذه عملية بالطبع في الجيش التركي حيث كانت النتائج دوما دون ما يتوقع اذ لم يملك الاتراك سرعة المناورة الموجودة لدى الالمان حيث لم تتوفر لهم الوسائط والطرق والجهاز الاداري الذي يستجيب للمناورة السريعة ولذا كان فالكنهاين يظهر دائماً بمظهر من يخطىء في تقدير قدرة قطعاته بالنسبة للواجبات المنوطة بها. ومن الغريب ان اللنبي كان اكثر تفهما لامكانيات الاتراك من فالكنهاين حيث كان يرى انه ليس بوسع الاتراك الاستفادة من مناورات فالكنهاين واستغلال الفرص التي كان الموقف يساعد عليها ، ولذا لم يقم بمعالجة جدية او باجراء تبديلات اساسية في خططه لمقابلة تدابير فالكنهاين .

ومن الامثلة على ذلك (الهجمات المقابلة) التي قام بها فالكنهاين لاستثمار الفرص التي اتاحها له البريطانيون والتي كان يستهدف فيها بالدرجة الاولى

الاخلال بتدابيرهم التعرضية وتعويقهم وكسب الوقت ويعرف هـذا النوع من الهجوم باللغة العسكرية الحديثة بالهجوم المفسد SPOILING ATTACK ويستهدف منع العدو من القيام بهجموم او ارغامه على تبديل خططه . وكان فالكنهاين يعتمد على الدفاع بالمناورة ويرى انه بالنظر لموقف الاتراك فأن خير حل هو تطبيق مبدأ (التعرض أحسن طرق الدفاع) اذ ان ضعف القوات التركية وقلة معداتها لا تساعد على إشغال خطوط دفاع قوية بعمق كاف أو تحصينها للصمود بوجه هجوم فائق مدبر . وقد طبق فالكنهاين هذه الطريقة كما سبق بيانه بعد سقوط بئر السبع بهجوم مقابل قام به في منطقة (ابي خوف – الخويلفة) ثم طبقها في المناورة التي دفع بها الفرقة ١٩ التركية الى منطقة عابود بين الجيشين التركيين السابع والثامن لتهديد الجناح البريطاني والهجمات المقابلة التي قام بها يوم ٢٧ تشرين الثاني وما بعده ، ثم الهجوم المقابل الذي اعقب سقـــوط القدس يوم ٢٦ كانون الاول . وينتقد آخرون وضمنم المؤرخون الاتراك اجراءات فالكنهاين هذه ويرون انها حملت الاتراك خسائر فادحة في وقت كانوا به بأمس الحاجة لكل جندي ، وانها لم تؤد الى ايـة نتيجة وقد سببت تدمير الفرقة ١٩ التركية لكثرة ما تكبدته من خسائر ، وأن فالكنهاين لم يدرك ان التركي كمدافع افضل بكثير منه كمهاجم ، ويعتقد هؤلاء ان القتال بخطوط دفاعية متعاقبة كان افضل الحلول بالنسبة للاتراك . والنقد التركي لتدابير فالكنهاين منطقي جدا اذ أن تفوق البريطانيين كان ساحقاً بدرجة لم يكن بها لهذه الهجمات المقابلة أي تأثير ولذا لم تكن هناك ثمة فائدة من تكرارها .

٥ – الشؤون الادارية :

يبرز من دراسة هـــذه الصفحة من الحركات البون الشاسع في الشؤون الادارية بين الجانبين البريطاني والتركي . فالبريطانيون متنعمون بفضل ثراء دولتهم وما تبذله من مبالغ طائلة للترفيه عنهم، ولهم خدمات ادارية كفوءة

تسندها منظومة مواصلات متقنة ومرنة تستخدم السكك الحديد والنقليـــة الآلية (المدولبة وذات السرفة) والعجلات المسحوبة بالحيوانات والجمـــال والحمير والسفن لادامة القطعات في خط القتال . وتستطيع القيادة البريطانية بفضل مواردها سبق النظر والتكديس الاحتياطي ودفع خط السكة الحديد بسرعة تتمشى مع سرعة التقدم ، وقد تم بجهود خارقة اعادة تشغيل الخطوط الحديدية التركية وايصـــال القطار الى المجدل يوم ٨ كانون الاول . وبوسع القيادة البريطانية تبديل قطعاتها المتعبة بغيرها من الاحتياط ويمكنها بفضل سيل التقويات المستمر سد خسائر القتال والمرض . واجمالا كانت الخدمات الادارية البريطانية بمستوى يضمن النصر لقطعاتها مهما ساءت الظروف وكان اللنبي حريصا على ادامتها بهذا المستوى .

أما الجانب التركي فقـــد كان يعتبر مستوى الخدمات الادارية الذي يعتبره البريطانيون رديئاً وباعثاً للتذمر ترفيها لا يحلم الاتراك بمثله . فقد كانت القطعات التركية دومـــاً أما في خط النار أو في حالة تنقل ولم تكن هناك قطعات احتياطية لتبديلهـا . أما التقويات فكانت قليلة جداً ولا تكفي لسد جزء من خسائر الوحدات المتزايدة نتيجة القتال والمرض وما كان يصل من التقويات فأنما كان ناقص التدريب وغير لائق صحيـــاً . وكان جنود الأتراك يتناولون باستمرار ثلثي الاستحقاق المقرر لهم من الارزاق التي كانت بحد ذاتها رديئة ولا تؤمن السعرات الحرارية المطلوبة . وكان نقص نقليـة الحيوانات يتجاوز ٦٠٠٠ والموجودة منها كانت ضعيفة وعاجزة لسوء تغذيتها. وتشير تقارير الآمرين الاتراك الى هذه الاحوال بمرارة . وقد نقلت المصادر التركية الكثير منهـــا بنصه لايضاح الاحوال الادارية في الجانب التركي ، ويتطرق معظمها الى موقف الاحذية والى أن احـذية الجنود ممزقة ويسير الكثير منهم حفاة والى عـدم تيسر الادوات الاحتياطية الاسلحة والى سوء حالة المدافع والرشاشات التي فقدت خواصهـا نتيجة الاستعمال المستمر والى عدم امكان تصليحها .

وبالنظر لهذا الفرق في المستوى الاداري كان نصر البريطانيين أمراً لا شك فيه وصمود الأترك مدعاة للعجب والاعجاب .

٦ – الامن والمباغتة :

نجح البريطانيون في حالات متعددة بمباغتة الأتراك بسبب اغفال الآخرين اتخاذ تدابير الامن اللازمة وعدم تشبثهم بالحصول على معلومات عن عدوهم سوقياً وتعبوياً ولعدم مراقبتهم للنشاط المعادي في جبهتهم كما تقضي الاصول. ومن أمثلة ذلك المباغتة بعبور نهر العوجة والمباغتة في اقتحام المواضع التركية في عين كارم وبيت اكسا اثناء الحملة الاخيرة على القدس، والمباغتة في الاستيلاء على جبل النبي صموئيل . ولعل هذه الاخيرة اخطرها من حيث النتائج . وقد ادت هذه المباغتة المتكررة الناتجة عن غفلة الاتراك الى انهيار خطوط دفاع كانوا يعقدون عليها الامال واستيلاء عدوهم عليها بسهولة غير متوقعة . وكان البريطانيون بعكس الاتراك يعملون بجد للحصول على المعلومات بمختلف الوسائل فمن نشاط دورياتهم الى استراقهم لمخابرات عدوهم اللاسلكية الى الاستطلاعات الجوية ، وقد سهل لهم التجسس الصهيوني الحصول على كثير من المعلومات القيمة عن موقف الاتراك كما سبقت الاشارة اليه ومن ذلك استخبارهم عن الهجوم المقابل التركي الذي جرى بعد سقوط القدس أي يوم ٢٦ كانون الاول واستعدادهم لصده بتدابير مقابلة مؤثرة .

٧ – التعاون الالماني التركي واحابيل الصهيونيين :

لم يكن التعاون الالماني التركي بصورة عامة وفي جبهة فلسطين بصورة خاصة بالمستوى الذي تتطلبه ظروف حرب يتوقف عليها مصير الدولتين فقد كان الاتراك يشكون دوماً من عجرفة الالمان ومن عدم تفهمهم لامكانيات الجيش التركي أو تحسسهم بشعور الاتراك ومن تقديمهم للمصالح الالمانية على

التركية ، ومن وجود نوايا سياسية سرية لديهم كانوا يعملون على تنفيذهـــا بواسطة ضباط ارتبـــاط سياسيين ملحقين بمقراتهم . أما الالمان فكانت شكاويهم تنحصر بعدم كفاءة المقرات التركية وسوء تنظيمها وهو امر بديهي اذ انها كانت دون المستوى الالماني بمراحل . وقد زاد الطين بلة وصول مقر جحفل يلدرم الذي كان المانياً مائة بالمائة ولم تعين للضباط الاتراك الموجودين فيه سوى واجبات ثانوية . أمـــا المقرات الأخرى فكانت مختلطة فالجيش السابع التركي مثـلا كان قائده تركياً ورئيس اركانه المانياً والجيش الثامن كان قائده المانياً (فون كريس قبل تبديله) ورئيس اركانه تركياً . وكان بعض الضباط الالمان يقودون فرقاً وفيالق في الجبهات المختلفة من الجيش التركي. وقد أدى هذا الى صدور كثير من الاوامر باللغة الالمانية فقط وترجمتهـــا بصورة غير مباشرة من قبل غير مسؤولين مما اخل بتنفيذها ، ولم يف بمقاصد الجهة التي اصدرت الاوامر . ومن الامثلة على ما سبق رفض مصطفى كمال باشا (اتاتورك) الذي كان من اكفأ قادة الاتراك قيـــادة جيش بأمرة جحفل يلدرم . والتنافر الذي حصل بين جمال باشا القائد التركي وفالكنهاين بعد وصول مقر جحفل يلدرم الى منطقة نفوذ جمال باشا ، وتقليص صلاحيات جمال باشا مما ادى الى عدم تعاونه مع مقر يلدرم والى مغادرته للشام في كانون الاول ١٩١٧ بحجة الاجازة ظاهرياً وبصورة نهائية في الواقـــع ، وتسلم فالكنهاين المسؤولية الكاملة لادارة هـذه المنطقة الواسعة التي تشمل الحجاز والعراق وفلسطين وسورية اعتباراً من ١٢ كانون الثـــاني ١٩١٨ . ثم بدأ الاحتكاك بين فالكنهاين وانور باشا وكيل القائد العام التركي واقوى رجل في تركية ، مما ادى الى استقالة فالكنهاين وعودته الى المانية في شباط ١٩١٨ وقد سبقت لنا الاشارة الى تنحية فون كريس من قيـــادة الجيش الثامن في كانون الاول ١٩١٧ ايضاً . وتشير المصادر التركية الى رعاية الضباط الالمان لليهود الالمان الموجودين في المستعمرات الصهيونية في فلسطين . فقد رفضوا مثلا قصف مستعمرة سارونا الكائنة قرب يافا لانها تعود ليهود المـان وعند

اعداد القدس للدفاع خصصوا كثيراً من وسائط النقـــل الضرورية للقطعات المقاتلة لنقل اليهود الالمان واخلائهم مع عوائلهم كما خصصوا كثيراً من الارزاق المكدسة للقطعات المحاربة للمؤسسات اليهودية الالمانية في فلسطين . ومن المهم ان نلمس الاعيب الصهيونيين في فلسطين في هذه الفترة فقد كانوا يتوددون للالمان ويتجسسون لهم ويستجدون عطفهم وحمايتهم وفي الوقت نفسه كانوا يتوددون لاصدقائهم وحماتهم البريطانيين ويتجسسون لهم وفي حالة القبض على جواسيسهم يشفع لهم اصدقاؤهم في الجانب الآخر وقد قبض ضباط الاستخبارات الاتراك على كثير من اوكار التجسس اليهودية في فلسطين الا انهم لم يعلقوا اي يهودي على المشانق كما فعلوا مع العرب في سورية ولبنان في ايار ١٩١٦ وكان سبب ذلك ضغط الولايات المتحدة الامريكية قبـــل دخولها الحرب وضغط حلفائهم الالمان . وقد روى العقيد الركن (حسين حسني امير) في كتابه (يلدرم) قصة طريفة نرى من المفيد نقلها للعبرة والتاريخ حيث كتب (.. كنت اسكن في مقر يلدرم بالناصرة في غرفة كانت مخصصة قبـــلي لضابط ركن الماني اسمه فون بابن وقد كتب اسمه بالطباشير على بابها ، حين دخل علي شخص متقدم في السن يرتدي الملابس المدنية بعد فتح الباب بهدوء. ولما كنت انام في نفس الغرفة فقد كنت بلباس نومي ولم يكن هناك ما يدل على اني ضابط تركي . وبدأ الحديث بيني وبين الزائر بالالمانية حيث قال انه مدرس يهودي من حيفا اسمه (فلدمان) وقال بأنه يرغب ان يعرض على فالكنهاين اضطهاد الاتراك لليهود بسبب اتهامهم بالتجسس ، ولليهود كما هو معلوم لدى الحكومة الالمانية مصالح كبرى في فلسطين وبالنظر للفوضى الضاربة اطنابها وعدم تمكن الوكالة اليهودية من السيطرة على الامور فقد عهد الى (فلدمان) الاتصال بفالكنهاين لوضع اليهود تحت حمايته ورعايته ، واليهود اصدقاء الالمـــان وللطرفين مصالح مشتركة في فلسطين . وعندما سألته عن الجهة التي اوعزت له الاتصال بفالكنهاين اجاب ان القنصل الالماني في حيفا اوعز له بذلك ومهد له . وعندما استفسرت منه عن عنوانه ومحـل اقامته

صرفته ثم اصدرت اوامري الى آمر موقع حيفا بالتحري عنه واعتقاله واجراء اللازم معه ...) .

والدرس البارز من كل هذا هو الموقف الدقيق بين هيئات القيادة في الدول المتحالفة وضرورة توافر عناصر الثقة المتبادلة وتوحيد المصالح العليا وهي امور يتعذر النجاح بدونها ، كما وان من المهم درس الجهود التي بذلها اليهود والاعيبهم وتقدير الخطر الكبير الذي يهدد العرب من وجود هذا السرطان فيما بينهم .

٨ – الترصين :

بعد الاستيلاء على يافا والقدس وضع اللنبي خطة محكمة جديدة لترصين الفوز الذي احرزه وحدد خطوطا واضحة لفيلقيه العشرين والحادي والعشرين وطلب منهما الوصول اليها لتصبح هاتان المدينتان خارج مدى مدفعية الاتراك المؤثر دفعا لخطر قيامهم بهجوم مقابل . ولا شك أن عمل اللنبي كان صحيحا ومنطبقاً على ما ينص عليه مبدأ الامن فالنصر لا يتم الا بترصينه للحفاظ عليه .

٩ – التعاون :

كان النصر البريطاني في هذه الصفحة ثمرة التعاون المتقن بين القوات الثلاث البرية والبحرية والجوية وبين صنوف الجيش المختلفة ، فقد قامت القوة الجوية البريطانية بانتزاع التفوق الجوي من الاتراك وسيطرت على أجواء جبهة فلسطين وسببت بقصفها وهجماتها المؤثرة زعزعة معنويات ارتال العدو المنسحبة ومنعت طائراته من الحصول على معلومات عن حركات البريطانيين. وقامت البحرية بنقل المدخرات وتسهيل أعمال القدمات الادارية بتقصير خطوط المواصلات بتقديم القاعدة البحرية الى الامام ، وساعدت بمدافعها كذلك حركات الفيلق الحادي والعشرين على السهل الساحلي . وفي داخل الجيش

قامت الهندسة بأعمال باهرة في فتح الطرق وتصليحها في جبال يهوذا الوعرة أثناء مهاجمة القدس ، وبذلت المدفعية جهوداً خارقة لتقديم مدافعها الى الامام لاسناد المشاة في حركاتهم .

١٠ – اللياقة البدنية :

تتطلب احوال الحرب القاسية مستوى عالياً من اللياقة البدنية للضباط والمراتب ليستطيعوا الاستمرار في أداء ما يطلب منهم . ونورد كمثال على مستوى اللياقة البدنية العالي بما في ذلك مستوى آمر الفوج ، قضية المقدم اندرسون ، وهو آمر احد الافواج التي عبرت نهر العوجة ، فقد قام هذا الضابط مع ضابط آخر من وحدته باستطلاع استوجب السباحة لمسافة طويلة في أوج البرد القارس في شهر كانون الاول ، وعندما تمرض رفيقه في الاستطلاع وتعذر على الادلاء العثور على المخاضة ، خلع آمر الفوج المقدم اندرسون ملابسه مرة أخرى ، ونزل في النهر سابحاً في ليلة العبور لتأشير المخاضة التي قام باستطلاعها . وبعد أن وجه الفوج المخاضة قاده بنشاط وعزم لاحتلال أهدافه حسب الخطة . ويبرز لنا هذا ان الحرب اختبار قاس لا ينجح فيه الا من كان يتمتع بلياقة بدنية عالية ولا سبيل لانماء هذه الا بالتدريب العنيف وممارسة الالعاب الرياضية من قبل الضباط أو المراتب على اختلاف رتبهم .

١١ – الاسناد الناري :

لا يتم النصر للجانب المهاجم الا بعد ان تسيطر افواهه النارية على نيران المدافعين فالتفوق الناري شرط اساسي لنجاح الهجوم وقد ثبت هذا في الزحف البريطاني الاول على القدس فقد كان البريطانيون متفوقين بمشاتهم الا انهم عجزوا لوعورة المنطقة وعدم ملاءمة الطرق عن إيصال مدافعهم الى الامام

ليكون بوسعها اسناد هجوم المشاة ، فلم يتيسر لفرقة الخيالة المتطوعة مثلا اسناد اكثر من اربعة مدافع خفيفة تحملها الجمال ولذا منيت الفرقة بخسائر فادحة ولم تتوفق في عملياتها من جراء تفوق المدفعية التركية وسيطرتها على الجبهة . ولم يستطع البريطانيون النجاح في تعرضهم الا بعد ان تحسنت الطرق وأصبح بامكان مدفعيتهم التقدم للامام لاسناد هجوم المشاة واسكات المدفعية التركية بنيرانها الكثيفة .

١٢ – التدريب وما يتعلق به من واجبات الاركان

من المهم الاستمرار على التدريب حتى اثناء القتال لشحذ العزائم ورفع الكفاءة وتعزيز المعنويات . وكمثال نورد حادثة طريفه ذكرها العقيد حسين حسني أمير في كتابه (يلدرم) فقد ذكر ان حالة من الارتباك والهياج سادت مقر يلدرم في نابلس يوم ١٣ كانون الاول ١٩١٧ لتوارد برقيات متعددة عن قيام البريطانيين بانزال بعض القطعات خلف الخطوط التركية ، وتبين اخيراً ان هذه الانباء عارية عن الصحة ومبعثها قيام آمر موقع الناصرة بتطبيق تمرين قام باعداده على القطعات المسؤولة عن الدفاع الساحلي لفحصها ورفع مستواها. وتضمن التمرين فرضية تستند على حدوث انزال في منطقة قيسارية على البحر جنوب حيفا ، الا ان المقر المذكور اغفل اخبار المقرات العليا عن تمرينه هذا وموعد تطبيقه، كما واغفل ذكر كلمة (تمرين) في المخابرات المتعلقة بالتمرين كما تقضي الاصول ، ولذا اختلطت البرقيات الحقيقية ببرقيات التمرين وسبب ذلك الفوضى والارتباك. وبالرغم من ان فالكنهاين قدر همة آمر موقع الناصرة وشكر له عمله على تدريب قطعاته فانه في نفس الوقت نبهه لوجوب اتباع الاساليب الصحيحة ومراعاة الدقة في واجبات الاركان .

٧

الحركات في سنة ١٩١٨

١ كانون الثاني – ١ ايلول ١٩١٨

الموقف العام في مستهل سنة ١٩١٨ – وصف طوبوغرافي – الاستيلاء على أريحا – موقف الاتراك – الاغارة الاولى على شرقي الاردن(غارة عمان)– تقليص قوة الحملة المصرية– الاغارة الثانية على شرقي الاردن (غارة السلط)– عمليات صيف ١٩١٨ – الدروس المستحصلة .

الموقف العام في مستهل سنة ١٩١٨

أخذت القوات البريطانية عند حلول شتاء سنة ١٩١٨ ترصن موقفها وتحسن خطوط مواصلاتها وأمورها الادارية حيث كان الخط المزدوج قد وصل الى اللد تقريباً . وبالنظر لعقد روسيا صلحاً منفرداً وخروجها من الحرب في أوائل سنة ١٩١٨ توفر للالمان عدد كبير من القطعات يمكن حشدها والاستفادة منها في فرنسا في حملة كبيرة لاحراز النصر قبل أن يساهم الامريكيون في الحرب مساهمة مؤثرة ، حيث دخلت امريكا الحرب في نيسان ١٩١٧ الا ان اكمال تدريب القوات الامريكية ونقلها الى اوربا استغرق وقتاً طويلاً .

وباستقرار الموقف في القفقاس بخروج روسيا من الحرب استطاع الاتراك نقل القطعات من هناك لتقوية جبهتهم الضعيفة في فلسطين .

واستقرت القوات البريطانية ، كما سبق ذكره على خط يبعد خمسة أميال

شرقي القدس ثم يتجــه الى الشمال في (بيتين) ثم الى الغرب في (نعلين) ثم ينعطف نحو الشمال الغربي الى الساحل قرب (عرصوف) الكائنة على بعد ١٠ أميال شمال يافا . وقـد اشغل الخط بالفيلق ٢٠ في اليمين والفيلق ٢١ في اليسار وكان فيلق الصحراء الراكب بالاستراحة في منطقة (مجدل – أسدود – يبنه) ونقل اللنبي مقره الى منطقة (بئر سالم) قرب الرملة وعلى طريق يافا – القدس العـام الذي كان شريان المواصلات الرئيسي وكان المقر على بعد عشرة أميال عن يافا وخمسة وعشرين ميلاً عن القدس .

وبعـد الاستيلاء على القدس اعادت وزارة الحرب البريطانيـة النظر في مستقبل الحركات في جبهة فلسطين ، وكانت هناك وجهتا نظر حول الموضوع تمثلها فئتان ، ترى اولاهمـا ان الجبهة الغربيـة في فرنسة هي المرسح الرئيسي الذي تكسب به الحرب ويجب حصر كل الجهود بها وسنشير لهذه الفئة باسم الغربيين . والفئة الثانية تؤمن بأن خير وسيلة لكسب الحرب هي القضاء على حلفاء المانية وسنشير الى هؤلاء باسم الشرقيين .

كانت المناقشات التي استنـد لها الغربيون هي ، أن سلامة الجبهة الغربية أمر حيوي اذ ان الهزيمة في فرنسا معناهاخسارة الحرب أما التقدم في فلسطين فمهما كان نطاقه ، وحتى اذا وصل الى دمشق وحلب فأن تأثيره لن يكون خطيراً ولن يؤدي لخروج تركيا من الحرب لبعده عن المراكز السوقية الخطيرة في تركيا نفسها ولان تركيا لن تتخلى عن المانية ما دامت الاخيرة قوية وقادرة على كسب الحرب ، بالاضافة الى ان خروج روسيا من الحرب قلل كثيراً من أهمية فتح الدردنيل أو تخفيف الضغط عن جبهة القفقاس. كما ان تعزيز القوات البريطانية في فلسطين سيزيد من العبء الملقى على البحرية البريطانية لما يتطلبه من شحن ونقل بحريين في البحر الابيض المتوسط حيث كان خطر الغواصات المعادية كبيراً . وكان الغربيون يرون ان قبول الدفـاع في فلسطين سيوفر السفن ووسائط النقل والاموال وبذا يسهل نقـل القطعـات الامريكية الى اوربة واعاشة الجزر البريطانية والجبهة الغربية ويوفر المـال والرجال حيث

يمكن سحب فرقتين بريطانيتين على الاقل ونقلهما من الجبهة الفلسطينية الى فرنسة ، وأن انهيار تركية وخروجها من الحرب قضية وقت ليس الا اذ أن النكبات التي منيت بها في العراق وفلسطين انزلت بها ضربات مميتة .

أما الشرقيون وعلى رأسهم لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية فكانوا يناقشون الموضوع بالصورة التالية : إن قبول الدفاع في الجبهة الغربية في الظرف الحاضر أمر لا مفر منه بعد خروج روسية من الحرب والى ان تستطيع الولايات المتحدة المساهمة بصورة مؤثرة حيث يمكن الشروع بالتعرض . ولذا فقبول الدفاع بجبهة فلسطين في نفس الوقت سيؤدي الى سلبية وقنوط لا مبرر لهما ، كما وأن نقل القطعات من جبهة فلسطين بعد ان الفت احوالها واصبح في مستطاعها الحصول على نتائج باهرة الى الجبهة الغربية حيث حرب المواضع والخسائر الفادحة بالارواح ، غلطة لا تغتفر وأن تعرضاً قوياً آخر يجري في ربيع ١٩١٨ مستهدفاً حلب سيخرج تركيا من الحرب وستتبعها حتماً بلغاريا وسيوفر القطعات من جبهتي العراق وفلسطين معاً وعندئذ يمكن التفرغ للقضاء على المانية وحليفتها الاخيرة النمسا حيث يمكن مهاجمتها من الخلف عن طريق بلغاريا . وقال لويد جورج أن الغربيين يبالغون في تهويل الخطر الذي يهدد الجبهة الغربية ، فقد اثبتت معارك السنوات الثلاث المنصرمة ان التفوق العددي الكبير في الاشخاص والمدافع لم يكسب المهاجمين الا تقدماً محدوداً مقروناً بخسائر فادحة ولذا فلا مبرر للاعتقاد بأن الالمان بتفوقهم العددي الضئيل ولفترة محدودة فقط سينجحون بشق دفاعات الجبهة الغربية ولن تؤدي محاولاتهم الا الى استنزاف قواهم ، بالوقت الذي يتخلص به الحلفاء من حليفين لالمانية هما تركيا وبلغاريا . وقد قبلت وزارة الحرب وجهة نظر لويد جورج وقررت في اجتماع عقدته أواخر كانون الثاني ١٩١٨ الشروع بتعرض حاسم ضد تركية في ربيع ١٩١٨ وقد ارسلت ممثلا عنها وهو الجنرال سمطس ومعه هيئة منتخبة للمذاكرة مع اللنبي ومع ممثل للقيادة البريطانية في العراق حول وضع خطة لعمل موحد يؤدي لاخراج تركية من الحرب .

وبعد دراسة الموقف في الجبهة الفلسطينية رفع سمطس تقريراً لوزارة الحرب من اواسط شباط بيّن فيه ان الامكانيات المتيسرة لا تساعد على التعرض في جبهتي العراق وفلسطين معاً ، ولذا اقترح قبول الدفاع في جبهة العراق ونقل ما يمكن توفيره من القطعات منها الى جبهة فلسطين . وكانت الفرقة السابعة الهندية قد وصلت الى مصر من الجبهة العراقية في تلك الفترة واقترح سمطس نقل فرقتين اخريين ولواء خيالة من جبة العراق الى فلسطين ايضاً . كما وانه كان من المقرر نقل فرقة خيالة هندية من فرنسة الى فلسطين ، وبذا تصبح قوة اللنبي عشر فرق مشاة واربع فرق خيالة مع لواء خيالة اضافي . وقد قبل سمطس مقترحات اللنبي حول خطة حركاته المقبلة وكانت تنطوي على القيام بعمل سريع لتمديد جناحه الايمن الى وادي الاردن ثم اجتياز الاردن الى جبال موآب وتدمير سكة حديد الحجاز ، ثم القيام بتقدم يستهدف الوصول الى خط طبريا – حيفا . وبعد تأمين هذا الخط يكون التقدم الرئيسي لا على دمشق مباشرة بل بموازاة الساحل ماراً بموانىء صور – صيدا – بيروت وقد يستمر بعدها الى طرابلس حيث ينفذ الى حمص ويقطع خط مواصلات دمشق ويعزلها ، وبالتقدم بهذه الصورة يسهل النقل البحري قضايا التموين وتستر الجبال الجناح الايمن ، وبالاضافة الى ذلك يوفد رتل اصغر للتقدم من الجنوب نحو دمشق على طريق حوران بالتعاون مع العرب والدروز . ولم يعد اللنبي بأي تقدم سريع وبين ان سرعة التقدم ستتوقف على سرعة مد السكة الحديد وتأمين ما يقتضيه ذلك من مواد ووسائط وأيد عاملة ، واعتبر معدل مدها مسافة ميل واحد يومياً امراً ينطوي على التفاؤل .

وصف طوبوغرافي

من المفيد لتقدير تطور الحركات بيان وصف طوبوغرافي موجز للمنطقة الكائنة شرقي الاردن والقسمين الشمالي والمركزي من فلسطين . تمتد جبال

موآب الى شرقي نهر الاردن وبمحاذاة الغور بصورة مباشرة ويتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠٠ – ٤٥٠٠ قدم والطرق التقربية نحوها وعرة . وتمر سكة حديد الحجاز فوق اراضيها المرتفعة بطريقها من دمشق – درعا – معان الى حيث تنتهي في المدينة المنورة . وتنحدر وديان المياه من جبال موآب الى وادي الاردن وأهمها وديان نمرين والزرقاء ووادي العرب ووادي اليرموك . وكان الطريق الوحيد الصالح للعجلات في المنطقة في تلك الفترة يربط القدس وعمان ماراً بأريحا والسلط ويبلغ طوله ٥٠ ميلا .

يجري نهر الاردن في الغور المحصور بين جبال موآب شرقاً وجبال يهوذا والسامرة غرباً ويهبط بسرعة من بحيرة طبريا الى البحر الميت (١٢٩٢ قدماً تحت سطح البحر) . ويرتفع مستوى النهر بسرعة عند هطول الامطار فيغمر الضفاف ويبلغ معدل عرضه في القسم الجنوبي ١٢٠ قدماً وضفتاه مكسوتان بالاحراش . وأهم الوديان التي تصب فيه من الغرب وادي كلت ووادي العوجة الشرقي (يختلف عن نهر العوجة الذي يصب في البحر الابيض المتوسط شمال يافا) ووادي فرحا المار من نابلس ونهر جالود المار ببيسان . ونقاط العبور الرئيسية في نهر الأردن هي :

أ – مخاضتا الهنو والحجلة قرب البحر الميت .

ب – جسر الغورانية .

ج – جسر الدامية في منتهى وادي فرحا .

د – جسر المجامع قرب نهر اليرموك .

أما مناخ وادي الاردن فلا يطاق لانخفاضه عن مستوى البحر فحره شديد جداً صيفاً وهو موبوء بالملاريا والى غربي الاردن كانت في الجنوب سلسلة جبال يهوذا والى شمال نابلس جبال السامرة وأعلى قممها جبل فقوعة ويبلغ معدل ارتفاعها ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ قدم وكان الطريق الوحيد الصالح للعجلات في المنطقة في تلك الفترة الطريق الممتد من دمشق الى طبرية – الناصرة – نابلس – القدس . ويخترق فرعاً من سلسلة جبال يهوذا فلسطين

ويقطعها بزاوية تبلغ ١٢٠ درجة منتهياً في جبل الكرمل المشرف على حيفا ويبلغ معدل ارتفاع هذا الفرع ١٢٠٠ – ١٥٠٠ قدم ويؤلف الحدود الجنوبية من مرج بن عامر العظيم وهو سهل واسع وخصب جداً يرويه وادي جالود. وتختلف تسمية السهل باختلاف مناطقه فيسمى القسم الشرقي منه في منطقة بيسان وادي جزريل ويسمى القسم المركزي في منطقة الناصرة سهل مجدو واما القسم الغربي فيسمى سهل عكا. والى الغرب يمتد القسم الشمالي من السهل الساحلي المعروف باسم سهل اسدرلون. وتمتد في المنطقة شبكة طرق صالحة تربط بين يافا وطولكرم ونابلس وحيفا وعكا والناصرة. والى الشمال تقع جبال الجليل التي يبلغ معدل ارتفاعها ٣٠٠٠ – ٤٠٠٠ قدم غربي نهر الاردن وتمتد الى سلسلة لبنان. وتتمكن السفن من الاستفادة من خليج عكا كمرفأ جيد.

الاستيلاء على اريحا

اجتمع مجلس الحرب الاعلى للحلفاء في (فرساي) في شهر شباط واقر خطة الحرب للنصف الاول من سنة ١٩١٨ وكانت تقضي بقبول الدفاع في الجبهة الغربية بفرنسة وانزال ضربة قاضية بالاتراك في فلسطين. واشترط الفرنسيون عدم تقليل القطعات البريطانية الموجودة في فرنسة لتنفيذ ذلك.

قبلت وزارة الحرب البريطانية مقترحات سمطس بعد تعديل بعض تفاصيلها، فوافقت على سحب فرقتين فقط من الجبهة العراقية الى فلسطين وهما الفرقتان الهنديتان الثالثة والسابعة. وفي تلك الفترة كان اللنبي قد شرع بتنفيذ المرحلة الاولى من خطته وهي تمديد جناحه الأيمن الى وادي الاردن لتأمين الحماية اللازمة لقطعاته، ولحرمان الاتراك من الاستفادة من نقلية السفن في البحر الميت، حيث كانت تنقل لهم الحبوب، ولمنعهم من الاغارة على الخطوط الخلفية البريطانية. وقد تقرر الشروع بالعملية يوم ١٩ شباط وكانت الخطة العامة تقضي بتقديم الفرقة ٦٠ بصورة مباشرة نحو أريحا من قواعدها الأمامية

في المرتفعات الواقعة على بعد تسعة أميال جنوبي شرقي القدس ، وان تقطع المسافة التي تفصلها عن أريحا والبالغة ثمانية أميال ، في منطقة وعرة مؤلفة من هضاب يبلغ ارتفاعها ٢٠٠٠ قدم ثم تهبط فجأة الى عمق ١٢٠٠ قدم تحت مستوى سطح البحر بانحدارات شديدة وقطوع صخرية. وتقرر بنفس الوقت قيام فرقة «الانزاك» التي وضعت موقتاً بامرة الفيلق العشرين باحاطة الجناح التركي الايسر ، بالاندفاع من الجنوب قرب بيت لحم مستهدفة الوصول الى نبي موسى لقطع خط مواصلات الاتراك بين أريحا والاردن . وقد أثرت وعورة المنطقة على سير الحركات تأثيراً فاق تأثير العدو ولا سيا في منطقة عمل « الانزاك » حيث اعترضهم وادي كلت العميق . ولم تتكلل جهودهم بالنجاح المتوقع حيث انسحب الاتراك قبل ظهور تأثير الاحاطة مستفيدين من وعورة المنطقة وملاءمتها للدفاع . وفي ليلة ٢١/٢٠ شباط انسحب الاتراك عبر نهر الاردن محتفظين برأس جسر في الضفة الغربية في (الغورانية) ودخل البريطانيون يوم ٢١ شباط أريحا ، وتوقفوا فيها دون محاولة عبور الاردن .

وبانتهاء اللنبي من تنفيذ المرحلة الاولى من خطته بالاستيلاء على أريحا ، تخلص نهائياً من الخطر الذي يهدد القدس من الشرق الا أنه رأى أن القيام بحركات مؤثرة في شرقي الاردن ضد سكة حديد الحجاز والتعاون مع القوات العربية بصورة جيدة يتطلب الحصول على عمق كاف لحماية جناحه الايسر ، مما يستوجب ابعاد الاتراك الى الشمال أكثر في منطقتي وادي الأردن وجبال يهوذا ، للسيطرة على الطرق في المنطقة وعرقلة تحشد القطعات التركية لهجوم مقابل . ولذا قرر اللنبي تقديم الخط البريطاني الامامي الى الحدود الطبيعية التي تفصل منطقة جبال يهوذا الوعرة عن منطقة السامرة الخصبة . وقد استغرقت هذه العملية الفترة من ٨ — ١٢ آذار لانجازها وتقدم خلالها الفيلقان ٢٠و٢١ نحو سبعة أميال على جبهة يبلغ طولها ٦٩ ميلاً . وكانت الخطة تقضي بتقدم الفيلق العشرين للاستيلاء على منطقة (أبو طلّول — مصلبة)

الكائنة الى شمال وادي العوجه الشرقي والمشرفة على طريق بيسان – أريحا . وقد عهد بهذا الواجب الى الفرقة ٦٠ التي كانت في الجناح الايمن للفيلق ، أما باقي الفرق وهي ٥٣ و٧٤ و١٠ فقد تقدمت على جانبي طريق نابلس العام وامتد خط الجبهة غرباً الى كفرمالك – سنجيل – شمال وادي الحبيب – نبي صالح . وقد قاتلت الفرقة الستون قتالاً عنيفاً للاستيلاء على أهدافها ، كما خاضت الفرقة الثالثة والخمسون معركة عنيفة للاستيلاء على تل عاصور . أما في جبهة الفيلق ٢١ في الجناح الايسر ، فقد تم الاستيلاء على قرية (عابود) الحصينة ورصن الفيلق موقفه على خط يمر من وادي بلوط – مجدل يابا – رأس العين ، بعد قتال عنيف أيضاً . وقد توصل اللنبي نتيجة هذا القتال الذي استمر أربعة أيام الى نتائج أثرت على خططه المقبلة ، فقد أدرك ان التقدم في المناطق الجبلية أمر بطيء يؤدي الى خسائر كبيرة نسبياً ، وان عمل المدفعية محدد بالطرق العامة كما وان رشاشات المدافعين المعبأة بمهارة في الكهوف تشكل خطراً جدياً على الهجوم .

موقف الاتراك

لقد سبق لنا التطرق الى الغاء (مقر القيادة العامة لسورية وبلاد العرب الغربية) بعد مغادرة جمال باشا (السفاح) لسورية ، حيث أنيطت واجباتها بمقر جحفل يلدرم بقيادة فالكنهاين اعتباراً من ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ . وفي ١٦ شباط أعيد تنظيم القيادات التركية وتقرر تشكيل مقر الجيش الرابع القديم مجدداً ، وعين لقيادته جمال باشا المرسيني الذي كان يعرف بالصغير لتميّزه عن جمال الكبير (السفاح) وقد سبق له قيادة الفيلق الثامن في جبهة فلسطين . وتقرر تأليف الجيش الرابع من الفيلق الثامن الذي كان مقره في درعا وحاميتي موقعي معان وتبوك والفرقة ٢١ الموجودة في عسير والفيلق السابع الموجود في اليمن وقيادة القوة السفرية في الحجاز .

ثم تقرر تشكيل قيادة الجيش الثاني في حلب وقد انيطت بالزعيم نهاد باشا

ووضع بامرته الفيلق ١٢ الذي كان مقره في اطنة ، والفيلق ١٥ الذي كان مقره في حمص . وقد أعفي المارشال فالكنهاين من منصبه في ٢٦ شباط بعد أن اشغله لمدة خمسة اشهر ، اثر مشادة بينه وبين أنور باشا وكيل القائد العام التركي وقد خلفه الجنرال ليمان فوَن ساندرس الالماني . وتقرر في نفس الوقت فكّ ارتباط الجيشين الثاني (مقره في حلب) والسادس (ومقره في العراق) بقيادة جحفل جيوش يلدرم . ووصل فون ساندرس الى الناصرة يوم ١مارت واستلم واجباته .

وقد أحدث تبديـــل القائد العام هذا تغيراً جذرياً في الآراء والخطط في الجانب التركي ، فقد كان تقدير فالكنهاين للموقف وخططه تستندان على تقليل القوات الموجودة في الجبهة وسحب أكبر عدد ممكن من القطعات الى الخلف لاعطاء العمق وتشكيل الاحتياطات وكان ينوي سحب الجيش الثامن الموجود في جناحه الايمن غربي طولكرم الى الخلف حيث المواضع شمـال نهر اسكندرون أكثر ملاءمة، وقد أرجع جميع مقره – باستثناء قسم الحركات – من الناصرة الى دمشق وكتب في تقرير رفعه الى مراجعه العليا وهو يتنبأ ، كما لو كان منجماً ، – وقد أثبت الواقـع صدق نبوءته – ، ما نصه : « لقد سبق لمقري النجاة في آخر لحظة في معركة القدس . ويجب أن لا يتكرر هذا ، اذ ان عمل هيئات الركن يجب أن يتم بأسلوب دقيق ومنظم دون الاضطراب الذي لا مبرر له » . وقرر فالكنهاين أيضا نقل مقر الجيش السابع من نابلس الى عمان وجعله مسؤولاً عن الحركات في شرقي الاردن ، ونقل مقر الجيش الثامن من طولكرم الى نابلس وجعله مسؤولاً عـــن الحركات في غربي الاردن .

أما فون ساندرس فكانت آراؤه تختلف تماماً ، فقـــد ألغى فور وصوله أوامر فالكنهاين التي أصدرها لتنفيذ خطته المشار اليها ، وأعاد كافة منتسبي مقر يلدرم الى الناصرة وأمر جواد باشا قائد الجيش الثامن بالعودة الى مقره القديم في طولكرم . وأصدر أوامره للفيلق العشرين الذي كان قد عبر نهر

الاردن بعد انسحابه من القدس واستيـــلاء البريطانيين على اريحا بالعودة الى غربي الاردن . واشغـــال مواضع الى يسار الفيلق الثالث المنفتح على جانبي طريق « نابلس – القدس » العام . واناط فون ساندرس مسؤواية الحركات شرقي الاردن بقيادة الجيش الرابع . ويبدو من هـذه الاجراءات ان فون ساندرس كان يختلف عن سلفه فالكنهاين بعدم قبوله لمبدأ الدفاع بالمناورة او اعطاء الاهمية البالغة للعمق ، فقد كان فون ساندرس يؤمن بان من الواجب عدم اخلاء اي شبر من الارض الا بالقتال وان المعارك يجب ان تستمر الى آخر لحظة والى ابعد ما يمكن في الامام . وكان فون ساندرس اكثر معرفة من سلفه بالاساليب التركية ، حيث كان رئيساً للبعثة الالمانية الموفدة لتدريب الجيش التركي منذ اكثر من ثلاث سنوات . وكان من اول اجراءاته ايضاً تغيير هيأة الركن الالمانية التي كانت تؤلف مقر فالكنهاين بهيأة ركن جديدة معظمها من الاتراك ، وكان قد اشترط لقبول المنصب السماح له باستصحاب الزعيم كاظم باشا رئيس اركانه في قيادة الجيش الخامس الذي نقـــل منه لاشغال منصب رئيس أركانه في مقر يلدرم.وكان للاتراك ثقة عظيمة بفون ساندرس باعتباره قائد القوات التي دافعت في جناق قلعة (غاليبولي) ، وانتزعت النصر في تلك المعارك الضارية وأرغمت الحلفاء على الانسحاب . وقد خدمت الصدف فون ساندرس حيث استلم القيادة قبيل الحركات التي قام بها اللنبي بين ٨– ١٢ آذار للحصول على مجال للمناورة بدفع قواتـه للامام لمسافة محدودة ، وقيام فون ساندرس شخصياً بادارة الحركات التركية المقابلة واتخاذ مـا يلزم لصد البريطانيين.وعندما توقفت حركات البريطانيين عند تحقيق الاهداف المحدودة التي قررت لها منذ البداية ، اعتبر انصار فون ساندرس ذلـــك موفقية له وادعوا ان ما قام به قد انقذ نابلس ، وانه قد أحبط محاولات البريطانيين للاستيلاء عليها ، وهو أمر لم يكن البريطانيون ينوونه اصلا

وفي خلال هذه الفترة وصلت فرقة تركية جديدة الى الجبهة وهي الفرقة ١١ التي قدمت من القفقاس وقرر فون ساندرس تسليمها مواضع الفرقة ٢٤ التي

تقرر تقرير سحبها لأعادة التنظيم بعد ان تحملت زخم الهجوم البريطاني الموجه من الفرقتين البريطانيتين ٧٤ و ١٠ على تل عاصور .

الإغارة الأولى على شرقي الأردن

الخريطة رقم (١٠)

كانت الاغارة على شرقي الاردن جزءاً من الخطة العامة لاللنبي وكان الهدف العام منها ارغام الاتراك على حشد قواتهم لمقابلة القوة المغيرة وبذا تضعف مقاومتهم للجيش العربي فيفسح له المجال للتأثير على الاتراك بشكل أقوى ، كما وان تخريب سكة حديد الحجاز بصورة مؤثرة سيضع القوات التركية المعزولة بسبب قطع خط مواصلاتها تحت رحمة القوات العربية . وكان اللنبي يرمي لهدف ابعد وهو اثارة مخاوف الاتراك وتنبيههم لخطورة المنطقة الكائنة الى شرقي الاردن واحتمال قيام البريطانيين بزحف منها نحو درعا العقدة الحيوية للمواصلات خلف خطوطهم ، وذلك لحملهم على تعزيز قواتهم في هذه المنطقة على حساب قواتهم في غربي الاردن حيث كان ينوي انزال ضربته القاضية .

كانت حركات الجيش العربي التي يشرف عليها ويديرها ضابط الاستخبارات البريطاني لورنس [١] حتى هذه الفترة مقتصرة على الغارات على القطارات التركية ومهاجمة المواقع التركية على خط سكة حديد الحجاز حيث يستفيد العرب من سرعة حركتهم وعدم تقيدهم بخط مواصلات أو قاعدة . وكان من

---

(١) T.E. LAWRENCE (لورنس ١٨٨٨ - ١٩٣٥) ضابط استخبارات بريطاني تجول في البلاد العربية قبل الحروب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) فدرسها واتقن اللغة العربية وعهد له بواجب العمل مع الجيش العربي اثناء الحرب فالتحق بقيادته ولعب دوراً خطيراً اثناء الثورة العربية وخلال عقد مؤتمر الصلح : له كتاب باسم اعمدة الحكمة السبعة مترجم الى العربية يصف به احداث تلك الفترة ويبين ما قام به من اعمال .

أهم الاعمال التي قاموا بها بعد الاستيلاء على العقبة في تموز ١٩١٧ استيلاؤهم على الطفيلة الواقعة على بعد ١٥ ميلا جنوب شرقي البحر الميت في ٢٦ كانون الثاني ١٩١٨ . وكان قد شرع منـــذ سقوط العقبة بتشكيل جيش عربي نظامي بالاستفادة من اسرى الحرب العرب من ضباط ومراتب حيث ثبت عدم قدرة العشائر غير النظامية على الصمود امام القطعات التركية المدربة ، ولصعوبة حملهم على العمل الموحد بالنظر للخلافات الموجودة بينهم . وأخذت القيادة البريطانية العامة على عاتقها تدريب وتجهيز وتسليح هذا الجيش العربي النظامي فالحقت به هيئة من الضباط وضباط الصف البريطاني و « المترجمين المصريين » وكلف اللنبي القوات العربية بعد سقوط القدس بسد الثغرة التي يمكن أن يهدد منها الاتراك جناحه من جنوبي البحر الميت بقيامهم بغارات نحو بئر السبع والخليل وطلب اليها ايضاً منع الاتراك من نقل الغلال في البحر الميت . ودام التجنيد للجيش العربي وتدريبه طيلة صيف ١٩١٨ وبلغت قوته في آب فرقتين مجموعها ٨٠٠٠ محارب و ٥٢ مدفعاً و ١٥٠ رشاشة متوسطة .

وحدد اللنبي الاهداف الخاصة للقوات المغيرة بتدمير نفق وقنطرة على السكة الحديدية قرب محطة عمان مع احداث اضرار كبيرة بالخط الحديدي في الاماكن الاخرى جهد الامكان .

تقع عمان على مسافة ٣٠ ميلاً شمال شرقي اريحا ، وتقع مدينة السلط في منتصف الطريق وهي مركز مهم تلتقي فيه السبل الممتدة من مخاضات الاردن في ام الشرط وجسر دامية والسبل القادمة من الشمال وكان الطريق بين السلط وعمان جبلياً ووعراً ويتطلب التصليح .

تقرر وضع القوة المغيرة بقيادة الجنرال « شي » قائد الفرقة ٦٠ وتأليفها من فرقة الانزاك ولواء الهجانة والفرقة ٦٠ ولواء من المدفعية الجبلية وسرية مدرعات وبطرية ثقيلة . ونصت الوصايا الصادرة الى الجنرال « شي » على عبور الاردن يوم ١٩ آذار واحتلال السلط بمشاته ثم دفع قواته الراكبة الى الامام لتخريب السكة الحديدية قرب عمان ، ومن ثم التهيؤ لسحب القسم الاكبر من

قواته عبر الاردن بعد ترك حامية قوية في السلط وقوات كافية للدفـــاع عن خط مواصلاتها مع وادي الاردن. وكان الباعث لذلك استعمال السلط كنقطة اتصال مع القوات العربية . وقد تعرقلت الحركة منذ البداية بتأثير الطقس حيث ادى هطول الامطار المستمر بغزارة الى تأجيل عملية تجسير الاردن لمدة يومين فلم ينجز ذلك الا يوم ٢١ آذار عوض ١٩ وهو الموعد المقرر بسبب ارتفاع مستوى الاردن بشكل غير متوقع ، حيث ارتفع مستواه ٩ اقـدام ليلة ٢٠ — ٢١ ولم يستطع القسم الاكبر العبور حتى يوم ٢٣ حيث استغرق عبور النهر الفائض حوالي ثلاثة ايام تم خلالها نصب خمسة جسور عليه . وفي فجر يوم ٢٤ طردت الفرقة ٦٠ القوات التركية من مواضعها في شونة نمرين بعد صعوبات كبيرة سببتها الامطار المستمرة ، ووعورة الطرق التي لم تساعـد في بعض الاحوال الا على التنقل بالرتل المنفرد ، استطاعـــت القوة الوصول الى السلط مساء يوم ٢٥ بالرغم من ان المسافة بينهما لاتزيد على ٩ اميال وقد ادى هذا التأخر الى فسح المجال للاتراك لاتخـاذ تدابير مقابلة مؤثرة حيث شعروا بالحركة منذ يوم ٢٢ آذار فاوفدوا مفرزة قوية عبر الاردن لتعزيز الفرقة ٤٨ الموجودة شرقي الاردن ، وكانت قوة التعزيز مؤلفة من فرقة الخيالة الثالثـــة بقيادة الزعيم اسعد بك ، وقد الحقت بها وحدات اضافية . ارغم البريطانيون الفرقة ٤٨ التركية على الانسحاب من السلط نحو عمان واستمرت القطعات الراكبة البريطانية ليلة ٢٥-٢٦ على التقدم نحو عمان وتحشدت فجر يوم ٢٦ قرب « عين السير » على بعد ٦ اميال غربي عمان وتقرر تأجيل الهجوم الى فجر يوم ٢٧ وكانت المواضع التركية قوية وتشغلها قوة تقدر بـ ٥٠٠٠ محارب مؤلفة من الفرقة ٤٨ المعززة بفوج الماني من فيلق آسية وباسنادها ١٥ مدفعاً . فشل الهجوم البريطاني لمناعة الموضع وبسالة المدافعين وقـلة الاسناد الناري المتيسر للمهاجمين بالمدافع والعتاد . وتجددت المحاولات البريطانية دون ان تكلل بالنجـاح في الايام التالية وفي مساء يوم ٣٠ تلقت القطعات البريطانية الهاجمة أمر الانسحاب . اما فيما يتعلق بتخريب سكة حديد الحجاز فبالنظر

لعدم استطاعة البريطانيين الاستيـــلاء على النفق والقنطرة لفشلهم في اقتحام المواضع التي تسترها فقد قاموا باجراء تخريبات اخرى بسيطة شمالي عمان وجنوبيها استطاع الاتراك تصليحها خلال يوم واحد . ولم يلاق البريطانيون أية مشاكل في الانسحاب الا بقدر ما يتعلق الامر بالامطار المستمرة ووعورة المنطقة وقامت فرقة الخيالة الثالثة التركية (جحفل أسعد بك) بتهديدجناح القوات البريطانية المنسحبة بتوجيهها نحو السلط فقررت القيادة البريطانيـة صرف النظر عن ترك حامية بالسلط فاستردتها القوات التركية يوم ٣١ ، وفي مساء يوم ٢ نيسان كانت القوات البريطانية بأسرها قد عبرت الاردن باستثناء قوة رأس جسر في الغورانية وحاول الاتراك القضاء على رأس الجسر البريطاني هذا فقاموا بهجوم عليه يوم ١١ نيسان ووجهوا هجوماً محلياً آخر على المواضع البريطانية في (المصلبة) غربي الاردن في الوقت نفسه ، فلم تنجح مساعيهم واضطروا للانسحاب بعد ان منوا بخسائر فادحة .

وباستعراض هذه الغارة التي استمرت ١٢ يوماً ، نجد انها فشلت في تحقيق اهدافها المقررة ، وبدراسة الخسائر نرى ان البريطانيين اصطحبوا معهم عند انسحابهم ١٠٠٠ أسير تركي ، بينما لم تبلغ مجموع خسائرهم اكثر من ١٣٥٠ .. اما من النواحي المعنوية والتعبوية فيمكن اعتبـــار العملية فاشلة بالنسبة للبريطانيين الذين لم يرغموا على الانسحاب منذ عام تقريباً . اما من الناحية السوقية فيمكن اعتبار العملية موفقة اذ انها حققت غايتهـــا المنشودة باثارة الفزع والقلق لدى الاتراك عن احتمال قيام البريطانيين باندفاع نحو درعا من شرقي الاردن ، كما أدت الى صرف الاتراك النظر عن ايفاد قوة كانت معـدة لاسترجاع الطفيلة ، والى سحب قسم من حامية معان الى الشمال وبذا تم تخفيف الضغط عن القوات العربية وتحقيق احدى غايات العملية .

ومن الجدير بالذكر ، ان هذه الغارة البريطانية ، شجعت – كما يروي تاريخ الحرب البريطاني الرسمي – المسيحيين الذين تجمع عدد منهم يتراوح بين ٢٠٠–٣٠٠ مسلح على مهاجمة المسلمين الشراكسة بصورة خاصة في قرية (صويلح)

وذلك بدعوى الانتقام لما كانوا يلاقونه منهم ، وقد قتلوا عدداً منهم ثم تدخلت القوات البريطانية لايقاف هذا القتال الذي جرى يوم ٢٧ آذار ١٩١٨ وارغمت المسلمين على تسليم مقادير من القمح للمسيحيين ، وعندما تراجع البريطانيون عبر الاردن رافقتهم جموع من هؤلاء المسيحيين الذين هربوا خوفاً من حساب الاتراك .

تقليص قوة الحملة المصرية :

بدأ الالمان في ٢١ آذار ١٩١٨ بتعرضهم الكبير الذي كان آخر محاولة لهم لكسب الحرب في الجبهة الغربية بفرنسة ، وقد نجح الالمان في هجومهم ازاء الجيش الخامس البريطاني وخرقوا جبهته ، وشرعت القوات البريطانية بالانسحاب الى مواضع خلفية . وفي يوم ٢٣ آذار تلقى اللنبي اوامر القيادة العامة البريطانية بإيقاف الحركات التعرضية وصرف النظر عن تنفيذ مخطط ارغام تركية على الخروج من الحرب ، كما تقرر سحب احدى فرقه البريطانية واعدادها للسفر الى فرنسة على ان تحل محلها في الجبهة الفرقة ٧ الهندية القادمة من العراق وقد تم التبديل بين الفرقة ٥٢ وهذه الفرقة يوم ١ نيسان واستلمت الفرقة ٧ الهندية الجناح الايسر الساحلي من جبهة الفيلق ٢١ . وسحبت بعد الفرقة ٥٢ فرقة بريطانية اخرى وهي الفرقة ٧٤ و ٩ كتائب من الخيالة المتطوعة . ثم سحبت الافواج البريطانية من كافة الفرق المختلطة ويبلغ عددها ٢٤ فوجاً ، كما سحبت خمس بطريات ثقيلة وخمس سرايا رشاشات متوسطة ، وبلغ عدد المحاربين البريطانيين المسحوبين من الحملة حوالي ٦٠،٠٠٠ وأخذت الوحدات الهندية تتوارد للتعويض عن الوحدات الموفدة الى فرنسة وقد أضعفت هذه التبديلات في الوحدات قدرة اللنبي على التعرض ، وشرع اللنبي اثر ذلك ، ولفترة استمرت طيلة الصيف ، باعادة تنظيم قواته وتدريبها حيث ألغيت فرقة الخيالة المتطوعة ولواء الهجانة . وبتوارد كتائب الخيالة الهندية المسحوبة من فرنسة ،اعاد تنظيم قواته الراكبة

وشكل فرقتي خيالة جديدتين هما الرابعــة والخامسة وقد نظمت كتائب الفرقتين من سيّافة ورمّاحة ، وجهزت بالسيوف والرماح وبذا اصبح في الحملة المصرية اربع فرق خيالة هي الاسترالية والانزاك والرابعــة والخامسة ، وبذا كان اللنبي في الواقع قد ازداد قوة في الخيـــالة واصبح اقوى مما كان عليه . اما في المشاة فبالرغم من ان عدد الفرق بقي سبع فرق كما كان عليه سابقاً إلا انها كانت منوعية أوطأ فقد حلت الفرقتان الهنديتان ٣ و ٧ القادمتان من العراق محل الفرقتين البريطانيتين ٥٢ و ٧٤ وبقيت الفرق الاخرى وهي ١٠ و ٥٣ و ٦٠ و ٧٥ في نظام حرب الحمـــلة بعد اعادة تنظيمها والاستعاضة عن الافواج البريطانية فيها بأفواج هندية . وأبقيت فرقة واحدة وهي الفرقة ٥٤ البريطانية البحتة ، دون اي تبديل بتنظيمها . وقد ظهرت صعوبات كثيرة في التدريب لنقص الضبـــاط الذين يحسنون اللغـــة الهندية بالوحدات المشكلة حديثاً ولقـلة المراتب من الاختصاصيين كالمخابرين واعداد الاسلحة وغيرهم . وكان التدريب خلال أشهر الصيف شاقاً ومركـّزاً وقد استهدف خلق وحدات مقاتلة من كتل المستجدين الاغرار هذه ، وفي خلال خمسة أشهر من الجهود الشاقـــة اصبحت الحملة مستعدة لخوض غمـــار التعرض الكبير الوشيك الوقوع . وقد ألحقت بالحملة افواج من متطوعي الارمن الذين نظمهم الفرنسيون كما التحق بهـــا في أواخر الصيف ثلاثة أفواج يهودية من يهود الجزر البريطانية وقد استغل اليهود وجود هذه الافواج الثلاثة اليهودية ضمن قوات اللنبي لاغراضهم السياسية وألاعيبهم المعروفة فيما بعد ، بالرغم من ضآلة ما قامت به ، أما العرب فقد قاتل جيش كامل منهم شرقي الاردن لمساندةاللنبي بالاضافة لعمل عشرات الالوف منهم من المتطوعين المصريين ضمن جيش اللنبي نفسه في سرايا الفعلة وأرتال النقلية والخدمات الادارية ، وأراقوا دماءهم من معارك القنال الاولى الى نهاية الحرب وأظهروا منتهى الشجاعـــة والتفاني في الاوقات الحرجة كما يعترف تأريخ الحرب الرسمي البريطاني. وبالرغم من هذا

كله فقد غمطت حقوقهم وطمس ذكرهم وكانت نتيجة جهودهم كسب فلسطين للبريطانيين وتسليمها للصهيونيين وتشريد الالوف من ابناء دينهم وجلدتهم .

حدث خلال فترة اعادة التنظيم البريطانية بعض الحركات المحلية ، فقد قامت القوات البريطانية في جبهة الفليق٢١ بحركة تعرضية محدودة استغرقت ثلاثة ايام من ٩ – ١١ نيسان وكانت تستهدف فتح ثغرة في الخطوط التركية في الاراضي الجبلية لتندفع منها فرقة الخيالة الاسترالية للقيام باحاطة تقطع بها خط مواصلات القوة التركية المدافعة في السهل الساحلي ، وقد فشلت الصفحة الاولى من الهجوم وهي عملية فتح الثغرة التي قامت بها الفرقة ٧٥ حيث جابهها فيلق آسية الالماني الذي قاتل ببسالة وحذق ، وكان الاتراك ملمين بتفاصيل الخطة البريطانية حيث عثروا على أوامرها التنفيذية المفصلة في جيب ضابط بريطاني قتيل فاتخذوا ما يلزم لاحباطها . وقد اضطر اللنبي لايقاف التعرض بعد ان أصيب بخسائر فادحة . وتوقف الخط البريطاني بعد تقدم جزئي لمسافة ثلاثة اميال تقريبا تم به الاستيلاء على قرى « كفرعين – بيروكين – رافات » الواقعة على وادي بلوط . وقد زاد أثر هذه العملية ايمان اللنبي بصعوبة الحركات في المناطق الجبلية وما تسببه من تأخير وخسائر .

الاغارة الثانية على شرقي الاردن

(الغارة على السلط)

الخريطة رقم (١٠)

قرر اللنبي القيام بعملية ثانية في شرقي الاردن لتأكيد نواياه على القيام بعمل مهم هناك واثارة مخاوف الاتراك حول ما يهدد جناحهم الايسر من خطر ولمحاولة وضع حامية بريطانية قوية في جبال موآب وفي مدينة السلط بالذات على ان تسلم للعرب فيما بعد ، وبذلك يتجنب وضع قطعات في غور الاردن المزعج صيفاً بتمديد جناحه الايمن الى جبال موآب . واجمالاً كانت الغايات

البي يتوخاها اللنبي من هذه العملية متعددة وهي تشجيع العشائر على مهاجمة المزروعات التي نضجت وقرب حصادها لحرمان الاتراك منها وكانوا بحاجة ماسة اليها ، وحماية الجناح البريطاني الايمن، وخلق تهديد مستمر لسكة حديد الحجاز وتأسيس نقطة اتصال امامية مع القوات العربية التي كان الاتصال بها يتم عن طريق العقبة وجنوب البحر الميت عن طريق وادي عربة. بالاضافة الى ان القوات التركية المرابطة في شونة نمرين على ذيول جبال موآب المحادة للغور كانت منعزلة وبوضع يساعد على تطويقها وتدميرها . وكان اللنبي قد حدد اواسط مايس موعدا للعملية ، الا ان فرصة سنحت له في أواخرنيسان جعلته يقدم موعدها فقد زارته وفود من قبائل بني صخر القوية القاطنة في المنطقة وبين رؤساؤها ان عشائرهم المسلحة متجمعة في (مأدبة) الواقعة على بعد تسعة عشر ميلا عن السلط وهي مستعدة للتعاون مع القوات البريطانية اذا قامت بحركة قبل٤ايار اذ انهم سيضطرون لمغادرة المنطقة بعد هذاالتأريخ حيث ستنفد الارزاق الموجودة لديهم. وقد وافق هذا العرض نوايا اللنبي فقرر تقديم موعد الحركة وعدم انتظار وصول فرقة الخيالة المتطوعة التي كان من المقرر اشتراكها في العملية . وقد تبين فيما بعد ان الوفود التي زارت مقر اللنبي لم تكن تمثل رأي قبائل بني صخر وكانت فئة من الاشخاص الثانويين دون علم الشيخ مرزوق الدخيمي رئيس القبيلة . وقد أدى هذا التسرع بالقرار قبل التأكد من جدية العرض الى نتائج غير مرغوب فيها لا سيما وان الخطة البريطانية كانت تستند الى قيام بني صخر بدور خطير وهو قطع خط مواصلات القوة التركية المرابطة في شونة نمرين مع عمان عن طريق (عين السير) ، وفي واقع الحال لم تساهم قبائل بني صخر في العملية مطلقاً .

وقد عهد بقيادة القوة المكلفة بالعملية الى الجنرال شوفل قائد فيلق الصحراء الراكب ، وكانت القوة مؤلفة من فرقة الانزاك وفرقة الخيالة الاسترالية والفرقة ٦٠ وقد تحشدت القوة يوم ٢٩ نيسان وشرعت بحركاتها فجر يوم ٣٠

وكانت الخطة مبنية على دراسة الطرق التي تربط السلط بوادي الأردن ، فقد كان هناك بالاضافة للطريق العام المار بشونة نمرين الذي يقع الموضع التركي على جانبيه ، ثلاث مسالك فرعية كان اولها قريباً من الموضع التركي ولا يمكن الاستفادة منه أما المسلكان الآخران فكان أحدهما يربط بين مخاضة ام الشرط (٧ أميال شمال الغورانية) والسلط وثانيهما يربط بين جسر دامية (١٦ ميلاً شمال الغورانية) وكان بيد الاتراك والسلط . وكانت الخطة تنطوي على قيام المشاة بهجوم مباشر على الموضع التركي في شونة نمرين بينما تقوم القطعات الراكبة بزحف سريع في وادي الاردن شمالا ، ومن ثم تسلك مسلك أم الشرط ومسلك جسر دامية للوصول الى السلط والاستيلاء عليهما وبذا تقطع الطريق بين شونة نمرين وعمان وبقيام بني صخر بقطع المسلك الآخر المار من عين السير – وهو مسلك ثانوي لا يصلح الا لحيوانات الحمل – تعزل القوة التركية المرابطة في شونة نمرين وترغم على الاستسلام أو تتعرض للابادة . وبالنظر لخطورة مسلك جسر دامية – السلط الذي استفاد منه الاتراك في الغارة الاولى على شرقي الاردن نصت الاوامر الصادرة للقطعات الراكبة على الاستيلاء على جسر دامية وفي حالة تعذر ذلك ، اشغال مواضع تسد هذا السبيل بوجه القوات التركية المتقدمة .

تحركت فرقة الخيالة الاسترالية بسرعة شمالا في الغور بين نهر الاردن وذيول الجبال وكان معدل عرض المسافة بينهما ٣ – ٥ أميال ووصل اللواء الأمامي الى قرب جسر دامية بالساعة ٥٣٠ . ولما تعذر عليه الاستيلاء عليه لقوة الموضع التركي اشغل موضعاً في جبهة واسعة لسد المسلك المؤدي الى السلط وكان باسناد الموضع ثلاث بطاريات من مدفعية الخيالة . واندفع لواء خيالة آخر من الفرقة نحو السلط على هذا المسلك واستولى عليها واسر حاميتها قبل حلول الظلام وفي فجر نفس اليوم (يوم ٣٠) قام لواءان من الفرقة ٦٠ ولواء من فرقة الانزاك في الجناح الايمن بالهجوم على الموضع التركي في شونة نمرين، وقد فشل الهجوم في اقتحام الموضع التركي الذي كان منتخباً

بحذق ومحصنا بصورة جيدة وتشغله قطعات من الفيلق الثامن التركي . وقد تقرر تجديد المحاولة في اليوم التالي على أن تهاجم الخيالة البريطانية التي احتلت السلط بقوة أربعة ألوية خيالة مؤخرة موضع شونة نمرين بتقدمها نحوه من الخلف وان تقوم قبائل بني صخر بسد مسلك (عين السير) وبذا ترغم القوات التركية على الاستسلام . ولم تتحقق هذه الآمال اذ لم يشارك بنو صخر بأي عمل ، وتبين ان الاتراك قد حسنوا مسلك (عين السير) كثيراً واستمروا على الاستفادة منه طيلة المعركة . أما الخيالة فلم تستطع تهديد مؤخرة الموضع التركي حيث توقفت أمام قوات تركية سدت بوجهها الطرق باحتلالها مواضع منيعة تستر مؤخرة موضع شونة نمرين .

كان الاتراك في موقف ملائم جداً لاتخاذ اجراءات مقابلة مؤثرة ، فقد سبق لهم نصب جسر في منطقة (مفيد جوزل) التي تبعد أربعة أميال جنوب جسر دامية ، ولم تكن الاستخبارات البريطانية أو القوة الجوية البريطانية قد اكتشفت ذلك . وكانت فرقة الخيالة التركية الثالثة ترابط في الضفة الغربية منذ مدة شمال هذا الجسر في مواضع مخفية عن الرصد الجوي بصورة ممتازة . واستغل الاتراك هذا الموقف الملائم فوجهوا هجوماً قوياً نحو لواء الخيالة البريطانية المتروك في الغور للقيام بواجبات المجنبة الثابتة لحماية ميسرة القوات البريطانية وتوجه الهجوم التركي على ثلاث محاور فاضطر اللواء البريطاني الى الانسحاب والتراجع عن مسلك جسر دامية — السلط الذي كان مكلفاً بسده ولم يفلح اللواء بالتملص الا بعد صعوبات جمة وضياع ٩ مدافع من ١٢ كانت بأسناده. وقدرت القوة التركية المهاجمة بحوالي ١٧٥٠ بندقية وكانت مؤلفة من فرقة الخيالة التركية الثالثة وكتيبة من الفرقة ٢٤ وسريتين المانيتين وكان قائد القوة الزعيم اسعد بك قائد فرقة الخيالة الثالثة. واستطاع لواء الخيالة البريطاني بفضل التقويات التي وردته ، اشغال خط دفاعي جديد والصمود عليه على مسافة ميل واحد شمال مسلك ام الشرط ، وكان هذا المسلك خط الانسحاب الوحيد للقوات البريطانية الموجودة في السلط .

وتروي المصادر التركية قصة ما حدث فتقول ، كان الجنرال فون ساندرس

يتوقع محاولة جديدة للاغارة على شرقي الاردن بعد الفشل البريطاني الاول ، وقد اتخذ الترتيبات اللازمة لمجابهة ذلك عند حدوثه فأمر فون ساندرس الجيش التركي الرابع بنقل مقره الى الساط وريثما تتم تسويةالامور بقي الجيش السابع مسؤولاً عن الحركات في شرقي الاردن الى ١٣ ايار حيث انتقلت المسؤولية الى الجيش الرابع . ولذا فقد ساهمت قطعات من الجيشين في صد الغارة البريطانية .

وقد عهد الى القطعات التي دافعت عن عمان في الغارة الاولى باستثناء الفوج الالماني الذي التحق بفيلق آسية في الضفة الغربية - باحتلال مواضع شونة نمرين بقيادة مقر الفيلق الثامن ، وفي خلال شهر نيسان حشدت فرقة الخيالة الثالثة التركية ولواء خيالة القفقاس في الضفة الغربية من الاردن وقرب النهر في منطقة (مفيد جوزل) بقيادة الزعيم أسعد بك . وكان فون ساندرس ينوي القيام بهجوم نحو (مصلبة) في يوم ١ ايار أو ٢ منه وقد حشد لهذاالغرض الفرقة ٢٤ التي كانت قد سحبت لاعادة التنظيم بعد معركةتل عاصور كما سبق ذكره . وفور تلقي فون ساندرس انباء حركات البريطانيين أصدر في الساعة ٠٨٣٠ أوامره لقيادة الجيش السابع بارسال الفرقة ٢٤ الى الضفة الشرقية من الاردن عن طريق جسر دامية او (مفيد جوزل) حسب انكشاف الموقف للاشتراك في الهجوم بالتعاون مع قوات أسعد بك .

وقام قائد الفرقة ٢٤ التركية الزعيم الالماني « بوهمة » مع رئيس أركان الجيش التركي السابع العقيد الالماني فون فالكنهاوزن مشتركاً في وضع خطة لعبور الخيالة ولواء من الفرقة ٢٤ من جسر دامية على ان يعبر باقي الفرقة ٢٤ من (مفيد جوزل) ووضعت كافة القطعات الالمانية المتيسرة والتي كانت تبلغ جحفل فوج تقريباً بامرة الزعيم بوهمة . وفي الساعة ٠١٠٠ من يوم ١ أيار ، وبينما كانت الخطة في دور التطبيق تلقى بوهمة أمراً بوجوب عبور جميع القوة من جسر دامية وكان لواء من الفرقة ٢٤ قد عبر الاردن من (مفيد جوزل) فقرر بوهمة الامتثال للامر وأمر اللواء الذي كان قد

اجتاز النهر بعد مسير شاق منهك بالعودة على أدراجه وعبور الاردن الى الضفة الغربية ثم الحركة شمالاً للعبور مرة اخرى من جسر دامية. وقد أدى هـذا الامر المغلوط المبني على عـدم فهم الموقف بصورة صحيحة وقبول بوهمة لتنفيذه الى ضياع فرصة ثمينة وتبذير جهود هـذا الجزء من الفرقة ٢٤ بالمسير ذهاباً واياباً ، ولا شك ان اندفاع هـذا اللواء من (مفيد جوزل) كان سيؤدي لتدمير الجنبة البريطانية في وادي الاردن والى قطع خط رجعـة الخيالة البريطانية الموجودة في السلط . وقد أسعف الحظ البريطانيين بانقاذهم من موقف حرج نتيجة هذه الغلطة . وتتحدث المصادر الالمـانية وتؤيدها البريطانية عن هجوم قوات اسعد بك وتروي انه باتقانه وشجاعة القائمين به وعدم اكتراثهم للخطر كان يجري وكأنه تمارين في ميدان العرض ، وقد أدى جرح أسعد بك قرب السلط الى عدم التوصل للنتائج المرجوة كما يدعي الاتراك .

تكررت محاولات اقتحام الموضع التركي في شونة نمرين يومي ٢ و ٣ ايار دون نجاح. وأخذ الاتراك يضايقون الخيالة البريطانية في السلط من الشرق من اتجاه عمان ، فقد قام مقر الجيش الرابع اثر انسحابه من السلط بحشد كل ما أمكن جمعه من القطعات في صويلح وقد ساق فون ساندرس كل القطعات المتيسرة في المنطقة نحوها لتعزيزها ، وقامت هـذه القوة بقيادة جمال باشا الصغير قائد الجيش الرابع بمهاجمة السلط من الشرق . وبالاضافة لذلك كانت الخيالة البريطانية في السلط تحت التضييق من الشمال والغرب ايضاً من قبـل القوات التركية التي عبرت من جسر دامية أي (جحفل اسعد بك) وقـد منع هذا التضييق الخيالة البريطانية من المساهمة الفعلية في معركة شونة نمرين التي كان يتوقف عليها مصير العملية ، فلو نجح هجوم الفرقـة ٦٠ على شونة نمرين في فتح طريق الغورانية ـ السلط العام لانتهت كل مشاكل البريطانيين إلا أن صمود المدافعين الاتراك واستبسال قواتهم الهاجمة أديا الى فشل الخطة البريطانية . واصبحت القوة البريطانية المغيرة مهددة بخطر العزل والتطويق ،

وزار اللنبي مقر شوفل في غور الاردن يوم ٣ ايار وأصـــدر اوامره له بالانسحاب ليلة ٣-٤ وفي مساء يوم ٤ كانت القوة البريطانية بكاملها قد عبرت الاردن عائدة الى الضفة الغربية . ولم يستطع الاتراك التأثير على الانسحاب البريطاني لتعب قطعاتهم ولما عانوه من خسائر فادحـــة . وقد بلغت خسائر البريطانيين في الغارة الثانية هذه ١٦٥٠ كان اكثر من ثلثيها من الفرقــة ٦٠ وفقدوا ٩ مدافع وقد استصحبوا معهم عند انسحابهم ١٠٠٠ أسير كان بينهم ٥٠ من الالمان . وتروي المصادر التركية ان خسائر الجانب التركي كانت فادحـــة وتجاوزت ٢٠٠٠ محارب حيث تذكر أن فوجاً كاملا من الجيش الرابع قـــد أسر في السلط وتكبدت أربعة أفواج اخرى منه خسائر فادحة ، وتذكر هذه المصادر ايضاً ان خسائر قوات اسعد بك قد تجاوزت النصف .

ومن حيث النتيجة يمكن القول ان هذه الغارة قد فشلت تعبوياً حيث فقد البريطانيون لأول مرة مدافع في هذه الجبهة وانتزع منهم الاتراك المبادأة وتفوقوا عليهم في الاندفاع وحسن ادارة المعركــــة ولم يستطع اللنبي تحقيق أهدافه المتوخاة من العملية باستثناء هدف واحد هو أهمهـــا ، وذلك تعزيز مخاوف الاتراك من قيام البريطانين بتعرض واسع النطاق شرقي الاردن ، وأدى ذلك الى احتفاظهم بثلث قوتهم دوماً في شرقي الاردن ولذا فيمكن القول ان الفشل التعبوي البريطاني كان يحمل في أحشائه نجاحاً سوقياً .

عمليات صيف ١٩١٨

لم تحدث أمور مهمة في الجبهة بين شهر ايار وايلول سوى بعض الحركات الموضعية وقد انهمك البريطانيون في اعادة تنظيم قواتهم وتدريبها كما سبق التطرق اليه . وأصر اللنبي على الاحتفاظ بقطعات في غور الاردن كجزء من خطته لاثارة مخاوف الاتراك ولحماية جناحه الايمن . ومنطقـــة غور الاردن كما هو معلوم من أسوأ بقاع الارض مناخاً ولا سيما في موسم

الصيف حيث تشتد الحرارة ويتكاثف الغبار في هذه المنطقة فيتجاوز المعدل اليومي للحرارة ١٠٠ درجة فهرنهايت . وهواء هذه المنطقة رطب ثقيل إذ انها تقع على انخفاض ١٠٠٠ قدم تحت سطح البحر او اكثر من ذلك. هذا بالاضافة الى تفشي الملاريا في غور الاردن . وكان فيلق الصحراء الراكب مسؤولا عن منطقة الغور، فكان يحتفظ دوماً بفرقتين من فرقه الاربع فيه بينما تكون الفرقتان الأخريان في معسكرات الاستراحة .

وكانت القوات التركية تتضاءل وتتلاشى في هذه الفترة التي ازدادت فيها القوات البريطانية قوة وعدة حيث كانت تركية في السنة الخامسة من الحرب وقد خارت، قواها ونزفت دماء الحياة منها فقطعاتها جائعة وعارية وتشكو نقصاً في السلاح والعتاد والمهمات والاشخاص وفي كل شيء تقريباً ، وهبط الموجود الفعلي للفرق التركية واصبح لا يتجاوز موجود فوج كامل الملاك الا بقليل فكانت القوة العمومية للفرقة التركية تتراوح بين ١٠٠٠ - ٢٥٠٠ محارب . أما الجبهة التي تشغلها القوات التركية فكانت تمتد من البحر الابيض المتوسط وعبر الاردن ، ومنه مع خط سكة حديد الحجاز لمسافة مئات الكيلومترات . فكانت القيادة العامة التركية في موقف شديد الخطورة ، وكانت تقدر تماماً ان النشاط البريطاني المتزايد في الجبهة نذير هبوب عاصفة لا قبل لها بمقاومتها .

ولم تحدث معارك مهمة في الصيف واقتصر نشاط البريطانيين على أعمال الدوريات وغارات استهدفت فحص دفاعات الاتراك وتدريب القوات الهندية الجديدة . فقام فوجان من الفرقة الهندية السابعة يوم ٩ حزيران بهجوم محلي لاحتلال تلين صغيرين يساعدان على الرصد في منطقة عرصوف وقد تكلل الهجوم بالنجاح .

وفي ١٤ تموز قام فون ساندرس بتعرض اشتركت به قوات من الجيشين الرابع والسابع كان الهدف منه منع البريطانيين من القيام بحركات اخرى في شرقي الاردن ، وقد توجه الهجوم بصورة رئيسية نحو المواضع البريطانية في

غربي الاردن الى شمال وادي العوجة الشرقي بمنطقة (ابو طلّول) الممتدة من نهر الاردن الى جرف المصلبة باستقامة وادي الملاحة الذي سبق للاتراك مهاجمته في شهر نيسان . وكان فون ساندرس ينوي الهجوم في هذا القاطع في شهر ايار وقد منعته من ذلك الغارة البريطانية على السلط. وكان البريطانيون شاعرين باهمية هذه المنطقة وقد اهتم فيلق الصحراء بتحصينها . وتألفت القوة المهاجمة من فوجين من الالمان وفرقتين تركيتين كل منهما من لواءين . وشرع بالهجوم بالساعة ٠٣٣٠ من يوم ١٤ تموز واستطاعوا احتلال الخط البريطاني الامامي حيث تقدم الالمان الذين هاجموا من المركز واستطاعوا اختراق المواضع البريطانية الا ان الاتراك الموجودين على الاجنحة لم يتقدموا فانعزلت القوات الالمانية ثم طوقت وتعرضت للهجوم المقابل الذي قامت به الخيالة الاسترالية وانتهى القتال ، بفشل الهجوم دون نتيجة . وقد أسر من الالمان ٣٥٠ ودفن في ساحة المعركة اكثر من ١٠٠ شهيد . أما خسائر المدافعين فلم تتجاوز ٧٠ ولم يبذل الاتراك جهداً كبيراً لمساعدة الالمان الذين تحملوا زخم المعركة وقد أدى ذلك لتوتر العلاقات بين الحليفين، وقد قام الاتراك في نفس الوقت واثناء هجومهم هذا بايفاد قوة الى شرقي الاردن استهدفت مخاضة الهنو جنوب الغورانية الا انها صدت من قبل الخيالة البريطانية وتكبدت ١٠٠ أسير و ٩٠ شهيداً . وثبت للجنرال اللنبي بنتيجة معركة ابو طلّول أن ساندرس متحسس جداً ازاء خطر يهدد جناحه الايسر ومن شرقي الاردن بصورة خاصة ، وبالاضافة لذلك كانت المعركة دليلا واضحاً على تدهور معنويات الجنود الاتراك.

وفي ليلة ١٢ - ١٣ آب قام لواء من الفرقة ١٠ البريطانية بغارة ليلية كبيرة على دفاعات الاتراك الواقعة في (خربة غرابة) غرب طريق نابلس العام والى شمال غربي سنجل مباشرة في منطقة وعرة ومحصنة بصورة جيدة ومحاطة بالاسلاك الشائكة . وقد تمت الغارة بموجب خطة متقنة تم تنفيذها على الوجه الاكمل واستطاعت القوات المغيرة أن تأسر ٢٥٠ تركياً وأن تستولي على ١٤ رشاشة بالاضافة لما مني به الاتراك من جرحى وشهداء كثيرين ، ولم تتجاوز خسائر البريطانيين ١٠٠ قتيل وجريح .

١ – خطة الدفاع التركية في عهدي فالكنهاين وفون ساندرس :

عند استبدال المارشال فالكنهاين بالجنرال فون ساندرس تبـدل أسلوب الدفاع التركي كما سبق التطرق اليه من اسلوب الدفاع بالعمق والمنـاورة الى اسلوب الدفاع الامامي ، والدفاع الى آخر طلقة وآخر جندي ، فـدفع فون ساندرس القطعات التركية للامـام ولم يكن لديه احتياط بالمعنى الصحيح . وفيما يتعلق بالموقف شرقي الاردن كانت القطعات التركية مبعثرة فجزء منهـا في المدينة المنورة وهناك أجزاء أخرى مبعثرة في أرجاء الجزيرة العربية وعلى خط سكة حديد الحجاز فكان هناك حوالي ٢٥،٠٠٠ محارب يمكن الاستفادة منهم في الجبهـة الفلسطينية حيث كانت الحاجة ماسة اليهم ، وبالرغم من تشبثات العسكريين الاتراك والالمان المتعددة لم يفلحوا باقناع المدنيين بأن الضرورات العسكرية تستوجب الانسحاب من المدينة المنورة . وبعـد قطع خط سكة حديد الحجاز أصبح هذا الاخلاء متعذراً . ولا شك ان حشد هذه القطعات المبعثرة وتنظيم الدفاع في منطقة شرقي الاردن بشكل يؤمن حمايـة جناح القوات المدافعة في فلسطين باقل قوة ممكنة كان يخلق للاتراك احتياطاً قوياً ، وهو مـا كان يستهدفه فالكنهاين ويرى البعض ان فون ساندرس مدين بصموده لمـا حدث في الجبهة الغربية في فرنسة ولاعادة تنظيم القوات البريطانية ، اذ ان تطبيق الخطة الاصلية وهي القيـام بهجوم عام في ربيع ١٩١٨ كان سيؤدي الى انهيار قواته حتماً ، بالاضافة الى ان وصول فيلق آسية الذي لم يكن موجوداً في فترة قيادة فالكنهاين قد ساعد فون ساندرس مساعدة كبرى . وخير ما يمكن قوله في المقارنة بين القائدين الالمانيين الكبيرين هو ما كتبه ضابط ركن تركي بارز عمـل مع كليهما فقد قال: « لقد كان أسلوب فالكنهاين الدفاع بالمناورة واسلوب ليمان فون ساندرس الدفـاع بالصمود في الخنادق ، ولم يدرك فالكنهاين قط صعوبة المنـاورة بالنسبة لقطعات تعوزها وسائط النقل وعلى الطرق الرديئة . ولم يدرك فون ساندرس قط ان التمسك

بالارض في فلسطين ليس حيوياً كما كان الأمر في جبهـة غاليبولي التي هزم بها الحلفاء » .

٢ – حركات البريطانيين في شرقي الارد

استهدف اللنبي كما سبق التطرق اليه، غايات متعددة من غارتيه على شرقي الاردن ، ولا شك ان تقديره لاهمية اشغال مدينة السلط كان صحيحـاً ، الا أن من الصعب ادراك اسباب عدم توخي هذا الهدف منذ البداية لا سيما وقد تم له ذلك في غارته الاولى . اما الغارة الثانية فمليها كثير من المآخذ، اولها عدم الحصول على معلومات كافية عن موقف العدو كما حدث في قضية جسر (مفيد جوزل) وعدم تيسر معلومات عن توزيع القطعات التركية في المنطقة. وثاني المآخذ الشروع بالحركة اعتماداً على تعهد وفد من بني صخر وربط مصير حركة يقوم بهـا حوالي ١٥٠٠٠ شخص بهذا التعهد قبل التأكد من درجة الاعتماد عليه . وثالثهـا ضعف المجنبة ، البريطانية التي كانت بقوة لواء خيـالة أنيط به واجب سد المسالك المؤدية الى السلط وأخيراً عدم قيـام الوية الخيالة البريطانية الاربعة الموجودة بالسلط بتشبث جدي للتعـاون مع هجوم المشاة الجبهوي على موضع شونة نمرين، فقد كانت محاولاتها خائرة ولم تسبب احراجاً للاتراك . وبالرغم من أن هاتين الغارتين كانتا عامـلا مساعداً في الحصول على المباغتة السوقية الا انهما انطوتا على كثير من نقاط الضعف وسببتا من المتاعب والخسائر ما يتجاوز الفائدة التي تحققت منها .

٣ – واجبات الاركان :

لا بـد من تقدير الجهود التي بذلتهـا هيئات الركن البريطانيـة في فترة اعادة التنظيم في صيف ١٩١٨ ، فقـد انطوت العملية على اعـادة تنظيم هذه الحملة العظيمة المؤلفة من ١١ فرقة وسبكها بشكل آخر جديد ، فقد تطورت من قالبهـا البريطاني الى قالب هندي وفي ذلك العهد الذي كانت فيه الهند جزءاً من الامبراطورية البريطانية كان الجيش الهندي قوة ذات كيان خاص

بين القوات المسلحة الامبراطورية فكان لكل من الجيشين الهندي والبريطاني اساليبه وارتباطاته وقياساته الخاصة المتعلقة بالتجهيز والاعاشة وغيرهـــا . والقطعات الهندية التي الف منها البريطانيون الجيش الهندي في فترة استعمارهم للهند كانت مختلفة الاجناس والاديان والتقاليد، واجمالاً لا بد من تقدير جهود هيئات الركن هذه التي عملت بصمت وانـــكار ذات ، لتنظيم التشكيلات والوحدات بفترة قصيرة جداً ، واعدادها للقيام بهجوم كاسح أوصلهـــا من القدس الى حلب .

٤ – وضع الخطط

كان اللنبي من تلاميذ تأخير الحرب المتعمقين وكان يقضي معظم أوقـــات فراغه القليلة بدراسة ما دار من حروب في تأريخ فلسطين الحافل ، ودراسة الكتاب المقدس بتعمق ، واستيعاب طبيعة الارض وعوارضها الطوبوغرافيـة ودرجة تأثيرها على الحركات المحتملة . وكان يبني خططـه على ضوء دراساتـه هذه وما كان يتلقاه من تقارير من استخباراته عن موقف عدوه وعلى ملاحظاته الشخصية حول المعارك الدائرة . وكان أول ما درسه اللنبي احتمال القيـــام باندفاع رئيسي نحو دمشق من شرقي الاردن ، وبـــذا يمكن تجنب الدفاعات التركية في فلسطين وقطع خطوط مواصلاتها وابادتها الا انه صرف النظر عن ذلك بعد دراسة عميقة للارض وللحركات التي قامت بها قواته في شرقي الاردن تبين له استحالة ادامة قواته المتقدمة في تلك المنطقة لتعذر مد سكة حديـد من القدس الى عمان ، وكانت السكة الحديد واسطة المواصلات الرئيسية لديه كما أن جهاز الادامة المتيسر لديه منظم بصورة متقنة لادامة القوة غربي الاردن لا شرقيه . وان التقدم الى شرقي الاردن سيحرمه من الاستفادة من الاسطول، ولذا صرف اللنبي النظر عن توجيه الجهد الرئيسي في شرقي الاردن ، الا انه وطد العزم على الاستفادة من الفرصة المتاحة له في هذه المنطقة جهد الامكان ، بتهديد الاتراك منها وتقديم قوات ثانوية فيها تتعاون مع التعرض الرئيسي الذي سيوجه في غربي الاردن . ووجـد بنتيجة المعارك التي دارت ان التقـدم في

المناطق الجبلية المتموجة أمر بطيء وكثير الخسائر ولا يساعد على كسب نتيجة حاسمة سريعة ، ولن يتمكن فيها من استغلال تفوقه العددي أو الناري أو الاستفادة من تفوقه الساحق بالقطعات الراكبة ، وقد كانت مدفعيته عاجزة عن الاسناد القريب لصعوبة تقدمها على الطرق الوعرة وان اسلحة الدفاع المعبأة بمهارة سيصعب استمكانها واسكاتها . ومن المفيد أن نذكر حقيقة أوردها تأريخ الحرب الرسمي البريطاني ، هي : ان وحدات المشاة كانت تفضل الهجوم الليلي دوماً في المناطق الجبلية لتتجنب الخسائر الفادحة من نيران الدفاع المصوبة وكانت، معظم الخسائر في الهجمات الليلية من الكسور والخلوع الناتجة عن السقوط في الوديان والوهاد وعلى الصخور ، وبطبيعة الحال كانت هذه أهون من جروح الطلقات .

ولاحظ اللنبي بدقة تدهور معنويات الاتراك وتزايد عدد الهاربين من صفوفهم في خلال فترة الصيف ، وتلاشي روح العزم في القتال التي كانت من مزاياهم كأمة محاربة ذات تاريخ عسكري مجيد، مما جعله يفكر في أن القيام بحركات تنطوي على المجازفة مأمونة نسبياً ، وان من الأفضل العمل في السهل الساحلي . وكانت هذه كلها أموراً وعوامل بلورت خطته للتعرض النهائي التي سنراها فيما بعد ونستشف منها الاسلوب المنطقي لبناء الخطط التي تكلل بالظفر .

٥ – الامن

الامن كما هو معلوم مبدأ اساسي من مبادىء الحرب فكل قائد مسؤول عن سلامة قطعته ومحافظتها من مباغتة العدو . ومن أمثلة تطبيق هذا المبدأ قرار اللنبي بصدد الاستيلاء على أريحا لحماية جناحه الايمن . وتأثر الغارة البريطانية على السلط بضعف المجنبة في غور الاردن لعدم تقدير قوتها بصورة صحيحة بالنسبة لواجبها. ونجاح المؤخرات البريطانية في ستر الانسحاب بصورة ناجحة جدا في الغارتين اللتين قامت بهما القوات البريطانية شرقي الاردن .

٦ – المباغتة :

المباغتة مبدأ من مبادىء الحرب الاساسية وعلى القائد توخيها دوما . ومن أمثلتها في هذه الصفحة من العمليات الغارة التي قام بها البريطانيون ليلة ١٢–١٣ آب ١٩١٨ والهجوم المباغت على السلط في الغارة الثانية يوم ٣٠ نيسان الذي تم بنتيجته أسر الحامية التركية وكاد أن يوفق في أسر مقر الجيش التركي الرابع كله حيث استطاع الخلاص في آخر لحظة . وقد أدى ضياع المباغتة الى فشل حركات الفيلق ٢١ البريطاني في الفترة من ٩ نيسان – ١١ نيسان ١٩١٨ حيث اطلع الاتراك على تفاصيل الخطة البريطانية بواسطة الاوامر التي عثروا عليها في جيب ضابط بريطاني قتيل . وقد قام اللنبي بعمليات كبيرة في شرقي الاردن وتجشم مصاعب جمة لتأمين المباغتة السوقية اللازمة لنجاح تعرضه النهائي .

٧ – التدريب :

بذلت هيئات الركن البريطانية جهوداً شاقة في التدريب طيلة أشهر الصيف لرفع مستوى الوحدات الجديدة ومنتسبيها وابلاغها الى المستوى المطلوب للعمل المقبل في الخريف . وكان اللنبي بقوة شخصيته يسيطر على التدريب لا من مكتبة ومن وراء منضدته بل بتجوله المستمر في معسكرات الوحدات وتفقده سير العمل في ميادين العرض وميادين الرمي وتمارين القتال وملاحقته المستمرة لتطبيق المناهج وايفاده ضباط ركنه لمتابعة تقدم الوحدات وتحسن مستواها التدريبي . وبالاضافة لذلك كان يصر على غرس روح التعرض في الوحدات الجديدة وذلك بادخالها في خط القتال لفترات قصيرة لتكتسب ما يعرف باسم (تطعيم المعركة) فكان يعهد اليها بغارات محدودة ويطلب منها ممارسة فعاليات دوريات شديدة للتعود على القتال .

٨ – المعنويات :

سبق التطرق في اكثر من مرة الى سوء الاحوال الادارية في الجيش التركي

وما كان يشكوه أفراده من جوع وعري ، وفي السنة الخامسة من الحرب بلغ السيل الزبى ، وفقد الاتراك كل أمل بكسب الحرب بعد فشل التعرض الالماني الاخير في الجبهة الغربية ودخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب . وقد استغل البريطانيون هذه الحالة فابدوا نشاطاً كبيراً في ميادين الدعاية وأمطروا الخطوط التركية بنشرات الدعاية التي كانوا يلقونها من الجو ، وكانت هذه النشرات تبدي لهم عدم جدوى المقاومة وتشجعهم على الهروب والالتجاء للبريطانيين حيث الغذاء والكساء وتبث في الوقت نفسه بذور التفرقة بين الاتراك والالمان وبين الاتراك والعرب . وقد أكسب « اللنبي » هذا الانهيار المعنوي لدى الاتراك نصف المعركة المقبلة التي أدت الى تدمير جحفل جيوش يلدرم .

*

٨

التعرض النهائي وتدمير جحفل جيوش يلدرم

الخريطة رقم (١١)

موقف الطرفين والقوات المتقابلة ـ خطة اللنبي ـ الاستعدادات البريطانية ـ تطور الحركات ـ الصفحة الاولى (معارك مجدو) ـ الصفحة الثانية (الزحف نحو دمشق) ـ الصفحة الثالثة (احتلال حلب) ـ الهدنة ـ الدروس المستحصلة .

موقف الطرفين والقوات المتقابلة

الجانب التركي

سبق التطرق لبيان وضع القوات التركية والحالة التي يرثى لها تلك التي وصلتها في السنة الخامسة من الحرب . وفي النصف الثاني من سنة ١٩١٨ اصبح فوز الحلفاء في الحرب امراً يكاد ان يكون محققاً بعد فشل المحاولة الالمانية الاخيرة في الجبهة الغربية بفرنسة وكانت القوات التركية الجائعة العارية أشبه بشجرة اجتثت عروقها ولا قبل لها بالصمود امام عاصفة كانت الاحوال تنذر بهبوبها . ومما زاد الامر سوءاً انجراف قادة تركية وعلى رأسهم انور باشا رجل تركية القوي في مشاريع خيالية ، فقد ابقيت القوات المتيسرة في شرقي تركية بعد انهيار روسية وخروجها من الحرب بدعوى الزحف نحو القفقاس واستعادة باطوم وقلرص وتفليس التي سلبها الروس من الاتراك فيما مضى عوض سوق هذه القوات لتعزيز جبهة فلسطين الخطيرة ، وقد وصل الهوس بهم الى درجة محاولة سحب القطعات الالمانية من جبهة فلسطين لتنضم للقوات المتحشدة للزحف نحو القفقاس لولا معارضة ليمان فون ساندرس .

وكانت القيادة البريطانية على علم تام بموقف الاتراك هذا وتنظر الى المستقبل بثقة اذ لم يكن هناك ما تخشاه من عدوها وكانت مشكلتها هي تقدير السرعة التي ستنجح بها بتدمير القوات التركية والاسلوب الأمثل الذي تتمكن به من انجاز ذلك .

كانت القوات التركية في الجبهة الفلسطينية منظمة في ثلاثة جيوش على الوجه التالي .

الجيش الثامن

كان هذا الجيش بقيادة اللواء جواد باشا ومقره في طولكرم ويتألف من الفيلق الثاني والعشرين بقيادة الزعيم رأفت بك ويضم الفرق (٧، ٢٠، ٤٦) وفيلق آسية المؤلف من الفرقتين التركيتين (١٦ ، ١٩) والجحفل الالماني بقيادة العقيد فون اوبن . وتمتد جبهة الجيش من البحر الى قرية (فرخة) شرقي (بركين) وكان طول جبهة هذا الجيش يبلغ نحو ٢٠ ميلاً ويشغلها الفيلق الثاني والعشرين في اليمين وفيلق آسية في اليسار وتبلغ قوة الجيش ٦٠٠ سيف و١٠٫٠٠٠ بندقية و١٥٧ مدفعاً .

الجيش السابع

كان هذا الجيش بقيادة مصطفى كمال باشا (اتاتورك) الذي استلم قيادته في شهر آب اثر مرض فوزي باشا وكان مقر الجيش في نابلس ويتألف من الفيلق الثالث في اليمين (الفرقتين ١ ، ١١) والفيلق العشرين للفرقتين (٢٦، ٥٣) وتمتد جبهة هذا الجيش من (فرخة) الى نهر الاردن اي حوالى ٢٥ ميلاً وتبلغ قوته ٤٠٠ سيف و ٧٠٠٠ بندقية و ١١١ مدفعاً .

الجيش الرابع

كانت منطقته شرقي بين نهر الاردن وجبال موآب ويقوده جمال باشا الصغير ومقره في عمان ويتألف من الفيلق الثاني (فرقة الخيالة الثالثة ،

الفرقة ٢٤) والفيلق الثامن (الفرقة ٤٨ والفرقة المختلطة التي تضم الكتيبة ١٤٦ الالمانية) ويبلغ قوة الجيش ٢٠٠٠ سيف و ٦٠٠٠ بندقية و ٧٤ مدفعاً. وكانت القوات التركية في الجبهة بقيادة قائد جحفل جيوش يلدرم ليمان فون ساندرس ومقره في الناصرة وكانت بامرته بالاضافة لما ذكر أعلاه قوات متفرقة على خط سكة حديد الحجاز تبلغ ٦,٠٠٠ بندقية و ٣٠ مدفعاً . واحتياط عام في المنطقة بين طبرية وحيفا ٣,٠٠٠ بندقية و ٣٠ مدفعاً وبذا يبلغ مجموع القوة التركية ٣,٠٠٠ سيف و ٣٢,٠٠٠ بندقية و ٤٠٢ مدفع ، ويلاحظ ان معدل قوة الفرقة التركية ، بالنظر للنقص الكبير بالاشخاص ، كان يتراوح بين ١,٩٠٠ -- ٢,٥٠٠ بندقية . والموجود الحقيقي للقوات التركية قبيل التعرض الاخير موضع نقاش فقد خمنته استخبارات اللنبي قبيل المعركة بما يلي : ٣,٠٠٠ سيف ٢٦,٠٠٠ بندقية ٣٧٠ مدفعاً . اما المؤرخون الاتراك فيدعون ان عدد المحاربين الاتراك في الجيوش الثلاثة لم يتجاوز ٢٣,٠٠٠ وتتحدث المصادر التركية بمرارة عن الاعداد الكبيرة من الافواه الآكلة التي لم يقاتل منها في الجبهة التركية إلا نسبة صغيرة فقط وعن التقصير في التحري عن المحاربين في الخطوط الخلفية وعن عدم سوق الاعداد الكبيرة من الاشخاص المستخدمين على خطوط المواصلات والمؤسسات الادارية الى خط القتال ، وبالنظر لأن قوة الاعاشة لجحفل يلدرم كانت ٣٠٠,٠٠٠ فقد كان من الواجب حشد ما لا يقل عن ٥٠,٠٠٠ — ٦٠,٠٠٠ محارب منهم في خط القتال . وقد تبين من وثيقة استولى عليها البريطانيون ان قوة الاعاشة جنوب دمشق أي للجيوش الثلاثة كانت ١٠٠,٠٠٠ ولذا يبدو التقدير المذكور اعلاه (٣,٠٠٠ سيف ٣٢,٠٠٠ بندقية ٤٠٢ مدفع هو اقرب الى الصواب .

الجانب البريطاني

كانت القوة المتيسرة للجنرال اللنبي ما يعادل ثماني فرق مشاة واربع فرق خيالة فكانت القوة البريطانية في خط القتال ١٢,٠٠٠ سيف و ٥٧,٠٠٠ بندقية و ٥٤٠ مدفعاً . وكانت قوة الاعاشة للحملة ٣٤٠,٠٠٠ يدخل ضمنها

٨٠،٠٠٠ مصري يعملون في ارتال النقلية ووحدات الفعلة، وحامية مصر المتروكة للامن الداخلي وتقابل هذه الاعاشة العامة للجيش التركي في المنطقة التي كانت تبلغ ٢٤٧،٠٠٠. وكانت قوة الاعاشة العامة للفيالق البريطانية الثلاث القائمة بالهجوم ١٥٠،٠٠٠ وعدد المحاربين بخط القتال ٦٩،٠٠٠ ولذا يمكن اجمال قوات الطرفين بخط القتال عشية التعرض البريطاني الاخير كما يلي :

	سيف	بندقية	مدفع
الاتراك	٣٠٠٠	٣٢٠٠٠	٤٠٠
البريطانيون	١٢٠٠٠	٥٧٠٠٠	٥٤٠

ولم يضمن البريطانيون هذا التفوق العددي الواضح فقط بل ضمنوا ما هو أهم منه وهو التفوق المادي والمعنوي فقد تدهورت معنويات الاتراك جداً منذ حلول الصيف المنصرم وبلغ معدل الهاربين الملتجئين للخطوط البريطانية سبعة اشخاص يومياً . وكان معدل ما يصرف للحيوانات كيلوغراماً واحداً يومياً مما أفقدها قابلية العمل فأخذت تنفق باعداد كبيرة وكانت خطوط المواصلات في الخلف بحالة يرثى لها من ناحيتي الطرق والوسائط . واكمل البريطانيون مد خط سكة حديد مزدوج من قاعدتهم في القنطرة الى اللد ومدت شبكة كبيرة من الخطوط الفرعية في الجبهة . وفتحت اربع طرق عريضة تصلح للنقلية الآلية توصل الى الخطوط الأمامية وانشأت طرق جانبية تربط فيما بينها . ونصب جسر ثابت على نهر الاردن في الغورانية وتم تحسين ميناء يافا فأصبح صالحاً لتفريغ المعدات كقاعدة بحرية وانشأت قاعدة امامية كبيرة في اللد . وأمن البريطانيون تفوقاً ساحقاً في الجو واصبح تحليق الطائرات التركية فوق الخطوط البريطانية امراً محفوفاً بالمخاطر جداً .

١ – الجيش العربي

كان اللنبي ينوي في حركاته المقبلة الاستفادة من العرب فائدة قصوى وان يعهد للجيش النظامي العربي الذي تم تدريبه في اشهر الصيف دوراً خطيراً في

خطته فحث قيادة الجيش العربي على تأليف جحفل سيار سريع الحركة ، وجهزهم بجمال لواء الهجانة الامبراطوري الذي تم قلبه الى لواء خيالة وكان عددها ٢٠٠ جمل ركوب سريع وتم تأليف هذا الجحفل السيار الذي بلغت قوته ١٠٠٠ محارب من ٤٥٠ جندي مشاة هجان و ١٠٠ جندي اعداد رشاشات وبطرية جبلية فرنسية وسرية هندسة مصرية وخدمات ملحقة . والحقت بالرتل ٤ مدرعات بريطانية . وفي ٦ ايلول تم حشد هذا الجحفل في قصر الازرق وكان بقيادة الامير فيصل بن الحسين ويرأس ركنه نوري السعيد ويرافقهما لورنس كمشاور وممثل للجنرال اللنبي . وكان هناك بالاضافة للجحفل السيار باقي الجيش العربي المؤلف من ٨٫٠٠٠ محارب والوف من العشائر العربية غير النظامية التي كانت تهاجم الاتراك كلما سنحت لها الفرصة وتخلق لهم المشاكل باستمرار .

خطة اللنبي

تبلورت خطة اللنبي نتيجة دراساته وتجاربه من المعارك الموضعية السابقة، وقرر بموجب هذه الخطة توجيه الضربة الرئيسية في غربي الاردن واختار منطقة السهل الساحلي محلا لانزالها لرغبته بتجنب المنطقة الجبلية الوعرة . وقد وصف اللنبي ما كان يدور في خلده بتقرير رفعه بعد انتهاء الحركات في ٣١ تشرين الاول ١٩١٨ فقال « كنت ارغب في الحصول على التماس بالقوات العربية الموجودة شرقي البحر الميت إلا ان التجربة التي اكتسبناها في الغارتين اللتين قمنا بهما على عمان والسلط في اذار وايار دلت على امكان قطع مواصلات القوات القائمة بالحركات في مرتفعات موآب ما دام في مقدور العدو نقل قطعاته من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، وقد كان بوسعه ذلك لسيطرته على جسر دامية . الا ان دحر الجيشين التركيين السابع والثامن سيمكننا من السيطرة على هذا المعبر — ويبدو ان تدمير هذين الجيشين امر يسهل انجازه وبذلك سيغدو الجيش الرابع في شرقي الاردن منعزلاً اذا استمر على اشغال الاراضي

الواقعة جنوب عمان وغربيها . وعليه قررت انزال ضربتي في غربي الاردن . ووجب علينا لذلك ان نستهدف احتلال عقدتين مهمتين على خطوط المواصلات التركية وهما العفولة وبيسان لقطع خط انسحاب الجيشين السابع والثامن . وكان الوصول الى هذين الموقعين على طريق سهل شارون اسهل بكثير منه عن طريق الاراضي الجبلية شمالي القدس ، كما ان التقدم بالطريق الساحلي يمكن الخيالة من عبور جبال للسامرة من اضيق نقاطها . »

وكانت خطة اللنبي بادىء ذي بدء بسيطة ومحدودة فلم يكن يهدف لاحتلال اكثر من القسم المتبقي من فلسطين والوصول الى خط عكا – طبريا . وكانت الخطة تتضمن اقتحام الفيلق ٢١ لجبهة الاتراك في السهل الساحلي واختراقها وقيام الخيالة بعد ذلك بالتقدم نحو طولكرم وتستدير شرقاً نحو مفرق المسعودية الذي تتشعب منه السكة الحديد نحو نابلس وطولكرم وقيام الفيلقين ٢٠ و ٢١ بالتقدم نحو نابلس وطولكرم بنفس الوقت . وكانت هذه الخطة جريئة وتؤدي في حالة نجاحها الى هدم جبهتي الجيشين التركيين حتما الا ان تدميرهما نهائياً كان خارج نطاقها . وقد بلغ اللنبي خطته هذه الى قادة الفيالق في اوائل آب . وبعد فترة قصيرة اعاد اللنبي النظر بخطته وقرر ان يجعل هدفها تدمير الجيوش التركية تدميراً تاماً ، ولذا قرر توسيع نطاقها بجعل الخيالة تندفع الى الامام عوض الاستدارة نحو مفرق المسعودية ، وان تستمر باندفاعها الى نهاية سهل اسدرلون العظيم اي خلف الخطوط التركية بحوالي ٣٠ – ٤٠ ميلا حيث تسيطر على السكك الحديد التي تمون الاتراك وعلى خطوط انسحابهم .

وكانت هذه الخطة الجديدة قد جاوزت الجرأة الى حد المجازفة بالرغم من ضعف الاتراك المادي والمعنوي الذي اخذه اللنبي بنظر الاعتبار عند قبوله المجازفة . وقد طلب الى الخيالة بموجب هذه الخطة الركوب المستمر لمسافة ٥٠ – ٦٠ ميلا واجتياز خط من الجبال يشغله الاتراك ولا يمكن المرور منه الا من مضيقين وعرين . وكانت العقد الحيوية التي استهدفها اللنبي في مؤخرة

الاتراك هي :

١ – درعا – وهي المفرق الذي تتفرع منه سكة حديـــد فلسطين التي تمون الجيشين السابع والثـامن من سكة حديد الحجاز التي كانت تمون الجيش الرابع.

٢ – معابر الاردن في بيسان وجسر المجامع .

٣ – العفولة وهي ملتقى سكة الحـــديد الممتدة جنوباً نحو مفرق السعودية وسكة الحديد الممتدة نحو حيفا .

ومن هـذه العقد الحيوية كانت درعا خارج مدى الخيالة ولذا قرر اللنبي ترك امر معالجتهـا الى حلفائه العرب . اما العفولة فكانت تبعد ٤٥ ميلاً عن الخطوط البريطانية وكانت بيسان على بعد ٦٠ ميلاً عنها ولذا كان كلا الموقعين ضمن نطاق عمل الخيالة وبوسعهـــا الوصول لها بمرحلة واحدة طويلة ولم يكن هناك ما يعيق حركتها سوى خط الجبال المنتهي بالكرمل والذي كان يفصل بين سهل شارون ومرج بن عامر (اسدرلون) وكان اكبر عمق لهذه السلسلة هو سبعة اميال ويقطعها طريقان وهما :

١ – الطريق الغربي المار من ابي شوشة باتجاه الناصرة .

٢ – الطريق الشرقي المار من اللجون (مجدو) باتجاه العفولة . ويمر الطريقان بمضايق يسهل الدفاع عنها الا انها لا تحتوي على موانـع تحول دون تنقل قوة راكبة فيها . وقد قدر اللنبي ان سرعة زحفه ستمكنه من اجتياز المضيقين قبل ان يستطيـع العدو حشد القوة اللازمة للدفاع عنهما .

كانت خلاصـة خطة اللنبي حشد القسم الاكبر من خيالته (٣ فرق) في السهل الساحلي وتعزيز قوة الفيلق ٢١ وابـــلاغه الى اربع فرق مع مدفعية اضافية ، للهجوم واختراق الدفاعـات التركية في السهل الساحلي وفتح ثغرة للخيالة للاندفاع للامـام والاستيلاء على العفولة وبيسان . وكلف الفيلق ٢٠ بالتقدم على محور طريق القدس – نابلس العام لتثبيت قوات الجيش السابع

الموجودة في جبهته . والفت قوة خاصة باسم قوة تشيتر Chaytor نسبة لأسم قائدها لحماية الجناح الايمن ومنع تعاون القوات التركية عبر الاردن . وكلف الجيش العربي بمهاجمة سكة حديد الحجاز وتدميرها قرب درعا . والخلاصة كانت الخطة تستهدف خنق الجيشين التركيين السابع والثامن داخل كيس تقوم الخيالة بسحب خيوط فتحته .

وعلى ضوء هذه الخلاصة العامة حددت اوامر اللنبي الصادرة يوم ٩ ايلول واجبات التشكيلات المختلفة على الوجه التالي : —

١ - الفيلق الحادي والعشرون — وتألف من خمس فرق (٣ ، ٧ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٧٥) والوحدات الفرنسية والايطالية والحق به ايضاً لواء خيالة ومدفعية اضافية متوسطة وثقيلة . ولذا فقد حشد اللنبي مركز ثقله بالنقطة الحاسمة ، فحشد في جبهة هذا الفيلق ٣٥,٠٠٠ بندقية و ٤٠٠ مدفع (منها ٣٠٠ بجبهة سبعة اميال قرب الساحل) وكانت جبهة الفيلق تبلغ ١٥ ميلاً ويقابل هذا الحشد البريطاني الضخم في الجانب التركي ٨٠٠٠ بندقية و١٢٠ مدفعاً. وترك اللنبي في القسم الباقي من الجبهة والبالغ ٥٠ ميلاً تقريباً ٢٢٠٠٠ بندقية و ٢٧٠ مدفعاً . واتبع نفس المبدأ في حشد الخيالة فحشد ٩٠٠٠ سيف في جناحه الايسر قرب الساحل و ٣٠٠٠ سيف في الجناح الايمن . وكان واجب الفيلق ٢١ الهجوم على جناح الاتراك الايمن وبعد الاستيلاء على المنظومة الدفاعية التركية بين (الطيرة) ونهر الفالق ، التقدم باتجاه الشمال الشرقي لطردهم من خط سبسطية — (على طريق نابلس — جنين وعلى بعد ميل من مفرق دير شرف — طولكرم) . وبذا يقوم الفيلق بقطع طريق نابلس — جنين وكلف لواء الخيالة الملحق بالفيلق بستر الجناح الايسر خلال هذه العمليات .

كان للاتراك في سهل شارون الساحلي خطان للدفاع يبلغ طول الاول منهما ١٤,٠٠٠ يارد وعمقه ٣,٠٠٠ يارد ويمتد باتجاه الشمال الغربي من (بيار عدس) الى البحر . وكان الخط الثاني يقع خلفه اي الى الشمال منه بمسافة ٣,٠٠٠ يارد ويمتد من الطيرة الى نهر الفالق . وكانت الاراضي الواقعة قرب الساحل

مغمورة بالياه وقد استحالت الى مستنقعات .

واجمالا يمكن تشبيه عمل الفيلق الحادي والعشرين بعملية فتح باب ضخم ثقيل مفاصله في المنطقة الجبلية وقبضته قرب الساحل وفي هذه النقطة تركز الجهد لفتح الباب الذي كانت الخيالة تنتظر الدخول منه بفارغ الصبر .

٢ - فيلق الصحراء الراكب

تحشد هذا الفيلق ناقصاً فرقة الانزاك التي ألحقت بقوة تشيتر ولذا كان مؤلفاً من ثلاث فرق (الاسترالية ، الرابعة ، الخامسة) وتم حشده خلف الجناح الايسر للفيلق ٢١ وقد طلب اليه الاندفاع الى الامام فور قيام الفيلق ٢١ بتطهير معابر نهر الفالق والتوجه نحو العفولة وبيسان لقطع خطوط السكة الحديد التركية وسد طرق الانسحاب نحو الشمال والشمال الشرقي . ونصت الاوامر الصادرة لفيلق الصحراء عن اندفاعه ، على تقدمه شمالا بموازاة الساحل وان يصرف النظر عن أية قوة معادية لا تعترضه بصورة مباشرة ، حتى خط نهر مفيجير جنوب قيسارية وبعد اجتياز هذا الخط الذي كان يعتقد بوجود احتياطات تركية فيه تستدير الخيالة نحو الشمال الشرقي لاجتياز المضائق الجبلية في (اللجون وابي شوشة) على الطرق المؤدية الى مرج ابن عامر ، ومن ثم التقدم للاستيلاء على العفولة وبيسان وجسر المجامع وارسال قوة للناصرة لأسر ليمان فون ساندرس ومقره .

٣ – الفيلق العشرون

وقد بقي بهذا الفيلق فرقتان فقط وهما (١٠ و ٥٣) وطلب اليه الهجوم على جانبي طريق نابلس العام لتثبيت القطعات التركية الموجودة بجبهته وللوصول الى موضع يستطيع التعاون منه مع الفيلق الحادي والعشرين للاستيلاء على الاراضي المرتفعة شمال نابلس وشمال شرقيها لمنع الاتراك من الانسحاب شرقاً وذلك بالسيطرة على الطرق المؤدية الى جسر دامية .

٤ – قوة تشيتر

وكانت تتألف من فرقة الانزاك ولواء مشاة هندي ، وأربعة أفواج مستقلة اثنان منها من جزر الهند الغربية وفوجـــان من اللواء اليهودي الذي سبقت الاشارة اليه وهو مجند من يهود الجزر البريطانية ، وقد ترك الفوج الثالث من اليهود في مصر . وقد حددت منطقة عمل قوة تشيتر بغور الاردن وبالضفـة الغربية من النهر . وكلفت القوة بواجب حماية الجناح الايمن ، وباخفاء مغادرة القطعات الراكبة لوادي الاردن ، والقيام بسلسلة مظاهرات في وادي الاردن الاسفل لحمل الاتراك على الاعتقاد باحتمال التقدم لمهاجمة عمان قريباً .

٥ – الجيش العربي

عهد الى الجيش العربي الذي كان يقوده الامير فيصل واجبان اولهما تأمين تعاون العرب مع التعرض البريطاني ، وثانيهما قيام الجحفل العربي السيار المتحشد في الازرق بتخريب سكة حديـــد الحجاز وخطوط البرق التركية جنوب درعا وشرقها وشمالها في يوم يعين فيما بعد . ومنع الاتراك من تصليحها بالاضافة لذلك كلف الجيش العربي بواجب ستر الجناح الايمن للجيش البريطاني عند تقدمه .

٦ – القوات الجوية والبحرية :

كلفت القوة الجوية البريطانية قبيل الهجوم بمنـــع طائرات الاستطلاع التركية من التحليق خشية كشف التحشد البريطاني العظيم بمنطقة الفيلق ٢١ وكلفت فجر يوم الشروع بالهجوم بمهاجمـــة العفولة والمقرات ومراكز البرق التركية المستمكنة والسيطرة الجوية على سماء ساحة المعركة . وكلفت القوات البحرية بقصف تنقلات الاتراك القريبة من الساحل .

الاستعدادات البريطانية

لم تكن المعضلة التي جابهت اللنبي قبل هجومه الاخير الخطر الذي يهدد

قواته من عمل مقابل يقوم به الاتراك،فقد كانوا اضعف من ان يشكلوا خطرا يهدده ، وكان عالماً بذلك حق العلم ، بل كان كل ما يشغل باله تثبيت الاتراك في اماكنهم ريثما يحصل على النتيجة الحاسمة التي يبتغيها ، وهي تدمير القوات التركية تدميراً كاملاً ، فقد كان اشد ما يخشاه انسحابهم وتملصهم قبل انزال ضربته القاضية . ولتجنب ذلك قام ، بالاضافـــة الى استعداداته الادارية الشاملة التي سبق ذكرها ، باعمال واسعة النطاق متنوعة الاساليب لاغفال الاتراك وستر نواياه ، واستطاع بفضلها ، ستر مـــا اجراه من تحشد عظيم في جناحه الايسر واكمال استعداداته للهجوم دون ان يشعر بها الاتراك . وقـــد تبين من خرائط الموقف المؤرخة ١٧ ايلول المستولى عليها في المقرات التركية انهم بوغتوا مباغتة تامة وكانت كافة تأشيراتهم تدل على جهلهم التام بتنقلات البريطانيين وتحشداتهم .

وكانت خطة اللنبي لتعرضه الاخير عكس خطته لمعركة (غزة – بئر السبع) تماما ، حيث قام آنئذ بالهجوم على الجناح الايسر التركي ، وعمل لحمل الاتراك على الاعتقاد بأنه ينوي اختراق جبهتهم في السهل الساحلي . وقام في هجومه الاخير بعكس المناورة حيث استهدف ايهـــام الاتراك بان هجومه سيوجه على جناحهم الايسر بينما كان هدفـــه الحقيقي خرق جبهتهم من السهل الساحلي .

ويمكن بحث ما اتخذه اللنبي من تدابير في قسمين ، يتناول الاول تدابيره لاخفاء التحشد في جناحه الايسر ، ويتناول الثاني ما يتعلق بالتمويـــه لايهام الأتراك بان هجومه سيوجه الى جناحهم الايسر . ففيما يتعلق بالقسم الاول ، اي اخفاء التحشد،قام اللنبي باجراء كافة التنقلات ليلا عند التوجه الى الغرب. اما التنقلات الى الشرق فكانت تجري في وضح النهـــار . وحددت الاوامر المكتوبة بأقل ما يمكن وصدرت لاقل عدد ممكن من ذوي العلاقـــة . وفي خلال فصل الصيف تم نصب عدد كبير من المعسكرات التي لم تكن مشغولة في منطقتي الساحل ووادي الاردن فاشغل كل فوج مثلا معسكرين متباعدين

يكفي كل منها لفوج وقد استفيد من ذلك عند التحشد في الجناح الايسر حيث كان هناك مجال لاسكان القطعات الجديدة في المعسكرات الخالية دون اقامة معسكرات جديدة تثير شكوك الاتراك . ومن المفيد مقارنة ذلك بوضع الجيش التركي الذي كان يشكو نقصا هائلا في الخيم اذ لم يتيسر له ما يكفي حتى لايواء جرحاه. وبالاضافة لذلك استفاد البريطانيون من بساتين البرتقال والزيتون والكروم الكائنة شمال يافا لاخفاء القطعات فيها وللاستفادة من مياهها لسقي الخيل دون نقلها لمسافات بعيدة . ومنع اللنبي قطعاته من اشعال النيران ليلا . ومن المؤكد ان كافة هذه التدابير لم تكن لتجدي نفعاً لولا التفوق الجوي المطلق الذي امنته القوة الجوية البريطانية حيث لم تظهر القوة الجوية التركية اية فعالية طيلة شهر أيلول باستثناء بضع طيرات فقط .

اما القسم الثاني وهو تدابير التمويه لحمل الاتراك على الاعتقاد بأن هجوماً كبيراً سيوجه الى جناحهم الايسر فقد شمل تدابير واسعة ومتنوعة ايضاً . فقد شرع بعمليات تظاهرية لبيان الرغبة في نقل القيادة العامة من محلها القريب من السهل الساحلي الى فندق في القدس ، وهو امر لم يتم طبعاً، وشملت هذه الاجراءات اخلاء الفندق واعداده وتجهيزه بوسائط المخابرة من تلفونات وغيرها ، وتأشير الغرف وتوزيعها على الدوائر المختلفة وغير ذلك مما يوهم جواسيس العدو بنقل المقر الى القدس للسيطرة على الحركات الكبيرة التي ستجري في الجناح الايمن . ثم قام اللنبي بتنظيم حملة اشاعات عن اجراء تحشد عظيم في منطقة القدس وشماليها ونصبت معسكرات جديدة في غور الاردن واقيمت جسور اضافية على نهر الاردن . وابقيت اصطبلات كتائب الخيالة في محلاتها وملئت بخمسة عشر الف دمية صنعت من الجنفاص لتمثيل الجياد . وكانت الخيل تسحب عجلات دون دواليب لاثارة الغبار في اوقات السقي لأيهام الراصدين بأن السقي يجري في اوقاته المعلومة . وكانت بعض افواج المشاة تسير من القدس الى وادي الاردن نهاراً ثم تعود اليها بالسيارات ليلا لتقوم بالمسير نفسه ثانية في اليوم التالي لايهام المراقبين باستمرار حشد القوات

بوادي الاردن وتركت محطة لاسلكية في موضع مقر فيلق الصحراء قرب اريحا بعد مغادرة المقر الى السهل الساحلي واستمرت المخابرة اللاسلكية مع هذه المحطة بانتظام كما لو كان المقر لا يزال في محله . وقام لورنس ببث الاشاعات بين القبائل العربية عن قرب الاحتياج الى كميات كبيرة من العلف والارزاق في شرقي الاردن بمنطقة عمان .

ويتبين نجاح هذه التدابير التي قام بها اللنبي في مقدير للموقف اعده احد ضباط الركن الالمان في اواخر آب تضمن ما يلي (سوف يقوم الانجليز في هذا الخريف – كما جرى في السنة الماضية – بهجوم مدبر باتقان وسوف يكون هدفهم السوقي الاستيلاء على درعا ، وهدفهم السياسي احتلال دمشق . وسيحاولون حملنا على ابقاء اعظم قوة ممكنة في السهل الساحلي الا انهم لن يقوموا بهذه المنطقة الا بمظاهرات كما فعلوا بمعركة غزة في العام الماضي المنصرم وسوف يوجهون القسم الاعظم من قوتهم على محور نهر الاردن بالتعاون مع حلفائهم العرب) .

وقد شعرت القطعات التركية الامامية في خط القتال بأن هناك خطراً داهماً يهددها في السهل الساحلي . وتروي المصادر التركية ان جواد باشا قائد الجيش الثامن طلب الى ليمان فون ساندرس السماح له بالانسحاب الى خط (الطيرة) فرفض الاخير . وفي يوم ١٧ أيلول التجأ الى الاتراك عريف هندي مسلم زودهم بمعلومات عن قرب الهجوم واحتمال تعرض المواضع التركية لقصف هائل . وبناء على ذلك طلب الزعيم رأفت بك قائد الفيلق ٢٢ السماح له بسحب قطعاته من الخط الامامي وجعل البريطانيين يصرفون قنابلهم عبثاً بقصف خنادق خالية ، الا ان ليمان فون ساندرس وليس من المتوقع ان يقدر الشعور الاسلامي الذي دفع هذا العريف الهندي لانذار بني دينه – رفض السماح لرأفت بك بذلك ، وقال انه يعتقد بأن العريف الملتجىء هو عميل دسته الاستخبارات البريطانية . وذكّر فون ساندرس الاتراك بخدعة الحقيبة البريطانية وما جرته عليهم في معركة غزة في العام المنصرم .

تطور الحركات

١٦ ايلول - ٣١ تشرين الاول ١٩١٨

يمكن درس الحركات التي جرت خلال الفترة الممتدة من ١٦ أيلول الى ٣١ تشرين الاول ١٩١٨ ، وهي عملية متكاملة تعرف باسم التعرض النهائي ، بتقسيمها الى ثلاث صفحات وهي معارك مجدو، والزحف نحو دمشق ثم اخيراً احتلال حلب . وسندرسها مفصلا ادناه بموجب هذا التقسيم .

الصفحة الاولى-معارك مجدو

١٦ - ٢٥ ايلول ١٩١٨

افتتح الجيش العربي الصفحة الاولى من التعرض النهائي، فقد تحرك الجحفل العربي السيار من منطقة تحشده في القصر الازرق الى (المتاعية) التي تبعد ١٥ ميلا عن درعا يوم ١٤ ايلول تمهيداً لتنفيذ الواجب المعهود اليه وهو تخريب خطوط المواصلات التركية في منطقة محطة درعا لشل حركة القوات التركية واجبار القيادة التركية على ارسال قواتها الاحتياطية نحو درعا. وكانت الخطة الموضوعة تنص على قيام القوة الجوية البريطانية بقصف محطة درعا بما لا يقل عن ٣٠ طائرة ثم قيام الجحفل العربي السيار بمهاجمة موقع (تل عرّار) وهو موقع محصن شمالي درعا ويبعد عنها حوالي ١٢ كيلومترا على ان يقوم لورنس في الوقت نفسه مع المدرعات وقوات من العشائر وسرية الهندسة المصرية التي الحقت بالجحفل بتخريب خطوط السكك الحديد المؤدية من درعا الى كل من دمشق وعمان والعفولة وفي صباح ١٦ ايلول قصفت القوة الجويـة البريطانية محطة درعا حسب الخطة واستولى الجحفل العربي السيار على تل عرار واسر ٢٠٠ تركي ثم توجه نحو محطة المزيريب الواقعة على الخط المتجه نحو العفولة وحيفا واستولى عليها . وقضى الجحفل ليلة ١٦ ـ ١٧ قرب خط سكة حديد درعا ـ حيفا التي قام بتخريبها . وبالنظر لتوارد نجدات تركية قوية للمنطقة

تراجع الجحفل مساء يوم ١٧ ايلول نحو المتاعية حيث اعدت هناك ارض نزول تنزل بها الطائرات البريطانية التي تزودهم بالمعلومات والاوامر والتهيؤ للواجب الثاني وهو ازعاج القطعات التركية المنسحبة .

وفي جبهة الفيلق ٢٠ قرر الجنرال تشتوود قائد الفيلق ، تجنب محـــور الطريق العام في هجومه وتقديم فرقتيه على جناحي جبهته البالغة ٢٥ ميلا ، واشغال الفجوة التي بينهما بحجاب مؤلف من كتيبة خيالة وافواج الفعلة . والاستيلاء على نابلس بمهاجمتها من الاجنحة على خطوط خارجة . وكان يعتقد انه سيستطيع بخطته هذه تجنب مواضع الاتراك الدفاعية المقامة على الطريق العام واسقاطها باحاطتها . وبدأ الفيلق بعملية تمهيدية ليلة ١٧-١٨ ايــلول استهدفت تقديم الفرقة اليمنى (الفرقه ٥٣) عبر واد عميق بجبهتها تسهيلا لزحفها نحو نابلس . وقد كان لهذه العملية اثر كبير بجلب انتباه الاتراك واغفالهم عمـــا يجري في السهل الساحلي .

حركات يوم ١٩ ايلول :

بدأ هجوم الفيلق الحادي والعشرين في السهل الساحلي بالساعة ٤٣٠ . من يوم ١٩ ايلول بقصف مدفعي شديد اشترك به ٣٠٠ مدفع على جبهـــة سبعة اميال واعقب القصف مباشرة تقدم المشاة ، وشرعت القوة الجويـــة بنفس الوقت بقصف المقرات الكبرى التركية ونجحت بقطع المواصلات بـــين مقر الجيش في طولكرم ومقر فون ساندرس في الناصرة مما حرم الاخير من تلقـــي معلومات عمـــا يجري في جبهته . وبدأ الهجوم بتقـــدم الجناح الايمـــن من الفيلـــق المؤلف من اللواء الفرنسي الفرقـــة ٥٤ وكان هذا القاطع من الجبهة يؤلف المحور الذي سيستدير عليه الفيلق . واستولت الفرق ٣ و ٧ و ٧٥ التي كانت في المركز على مواضع الاتراك الامامية في اول حملة ونجحت الفرقة ٦٠ التي كانت باقصى الجناح الايسر باحتـــلال رأس جسر عـــبر نهر الفالق تخللت منه فرقة الخيـــالة الخامسة وفي الساعة ٠٨٠٠ كانت

القطعات البريطانية الهاجمة قد توغلت لمسافة عميقة في دفاعات الاتراك وشرعت بالاستدارة نحو الشمال الشرقي حسب الخطـــة . فوصلت الفرقة ٧ الى الطيرة وتوجهت الفرقة ٦٠ نحو طولكرم وكان في جناحها الايسر لواء الخيالة الملحق بالفيلق. وفي الساعة ١١٠٠ تجلى تأثير استدارة القطعات البريطانية على الاتراك حيث بدأ الارتباك يظهر في صفوفهم وزادت فيه هجمات القوة الجوية البريطانية على الارتال المنسحبة . واستطاع لواء الخيـالة الملحق اسر اعداد كبيرة من الاتراك ووصل مساء الى موضع يبعـد اربعة اميـال عن طولكرم . واخذت الخيالة تتخلل من المشاة بأسلوب رائع وتوقيت دقيق ، فتقدمت فرقة الخيالة الخامسة بمحاذاة الساحـل بالساعة ٠٧٠٠ وتخللت فرقة الخيالة الرابعـة من خطوط المشاة بالساعة ٠٩٠٠ وفي الساعة ١٠٠٠ كانت فرقتا الخيالة تتقدمان بسرعة تاركتين دفاعات الاتراك الى الخلف ولم يبق امامها ما يعيق فاندفعتا تبغيان اهدافها بيسان والعفولة وقبيـــل الظهر اجتازت الخيالة نهر مفيجير واسرت اعداداً كبيرة من الاتراك . واستأنفت الفرقتان التقدم مساء حيث اجتازت فرقة الخيالة الخامسة مضيق (ابو شوشة) ليلا. ومرت فرقة الخيالة الرابعة من مضيق (مصمص) وفي فجر يوم ٢٠ اصطدمت مقدمتهـــا وهي كتيبة رماحة فور اجتيازها للمضيق بقوة تركية تقدر بفوج كان فون ساندرس قد ارسلها لسـد المضيق وبعـــد قتال استمر بضع دقائق فقط هزمت الخيـــالة البريطانية التي ساندتها المدرعات بنيرانها هـذه القوة وقضت عليها في معركة استغرقت اقل من ساعة ، اسر بنتيجتها ٥٠٠ تركي .

كانت القطعات التركية في منطقة السهل الساحلي تشغل مواضعها فجر يوم ١٩ ايلول على الوجه التالي في قاطع الجيش الثامن :

١ – في اليمين : الفيلق ٢٢ وفرقة موزعة كما يـــلي : الفرقة ٧ في اليمين على الساحل والفرقة ٢٠ باليسار والفرقة ٤٦ بالخلف . وقـــد تعرض هذا الفيلق للقصف الشديد ولزخم الهجوم البريطاني وبالنظر للخسائر الفادحة التي سببها القصف سقطت مواضع الفرقتين ٧ و٢٠ واندفـع البريطانيون

الى مواضع الاتراك الخلفية وفشلت القيادة التركية بجهودها لتأسيس جبهة جديدة او ايقاف الزحف .

٢ – في المركز الفرقة ١٩ والى يسارها الفرقة ١٦ .

٣ – في اليسار : فيلق آسية الالماني بقيادة العقيد فون اوبن وهو مؤلف من ٣ أفواج مشاة مع سرية خيالة و ٣ سرايا رشاشات متوسطة و ٤ بطريات . (القوة منظمة على اساس القدرة على العمل بجحافل افواج مستقلة) .

كان ليمان فون ساندرس صبيحة يوم ١٩ أيلول يجهل تماماً حقيقة الموقف في جبهة الجيش الثامن بجناحه الايمن لانقطاع كافة وسائط الاتصال بطولكرم من الساعة ٠٧٠٠ وفي الساعة ٠٩٠٠ تلقى برقية من مقر فيلق آسية تم ايصالها له عن طريق الجيش السابع في نابلس وقد جاء فيها ان البريطانيين قد نجحوا بخرق الجبهة في القاطع الساحلي وان خيالتهم تزحف شمالاً . فأصدر فون ساندرس اوامره الى فون اوبن فوراً بنفس الطريق للقيام بهجوم مقابل باتجاه طولكرم كما طلب الى الجيش السابع ايفاد قوة لسد طريق نابلس–طولكرم ونظم فون ساندرس قوة مختلطة من التقويات الوافدة ووحدات التدريب والانضباط العسكري (البوليس الحربي) بلغت حوالي ٦ سرايا و١٢ رشاشة واصدر اوامره لها بالساعة ١٢٣٠، بعد ان عين ضابطاً المانياً لقيادتها، للحركة الى اللجون التي تبعد ١٥ ميلاً لسد مضيق (مصمص) بوجه الخيالة البريطانية . وقد تلكأت هذه القوة بالحركة لاهمال آمرها وعدم تقديره خطورة السرعة في هذا الموقف الحرج فلم تصل الى منطقة اللجون الا فجر يوم ٢٠ وكانت الخيالة البريطانية قد اجتازت المضيق فقامت بمهاجمة هذه القوة وتدميرها كما سبق ذكره .

كان فون اوبن قد شرع بهجوم مقابل قبل وصول اوامر فون ساندرس وذلك بناء على طلب قائد الجيش الثامن ، وقد بذل هو وقطعاته الالمانية جهوداً هائلة في هذا اليوم وقد ادخل حتى الكتبة والمراسلين وجميع منتسبي مقره في خط القتال في محاولة مستميتة لاستعادة السيطرة على الموقف . ولما

باءت جميع جهود فون اوبن بالفشل سحب قوته عند حلول الظلام ليلة ١٩–٢٠ بكمال النظام والضبط شمالاً نحو (دير شرف) وكانت تصرفات هذا الآمر يوم ١٩ أيلول في موقف محفوف بالمخاطر مثلاً أعلى للمهارة والشجاعة ورباطة الجأش على حد قول التأريخ العسكري البريطاني الرسمي .

اصدر اللنبي أوامره للفيلق ٢٠ بعد نجاح هجوم الفيلق ٢١ بالسهل الساحلي صباح يوم ١٩ ، بالشروع بالتقدم نحو نابلس وقد لاقت فرقتا الفيلق وهما ٥٣ باليمين و١٠ باليسار صعوبات كبيرة لوعورة المنطقة ومتانة القوات التركية المدافعة التي كانت من الجيش السابع بقيادة مصطفى كمال باشا . وقد طلب مصطفى كمال من فون ساندرس الموافقة على الانسحاب الى مواضعه الخليفة ليلة ١٩–٢٠ بالنظر للموقف الذي نشأ في جبهة الجيش الثامن الى يمينه ولتنسيق جبهته معه بالرغم من فشل الهجمات البريطانية في جبهة الجيش السابع . وقد وافق فون ساندرس على ذلك وتم الانسحاب فعلاً عند حلول الظلام ليلة ١٩–٢٠ أيلول.

حركات يوم ٢٠ ايلول

استأنفت الخيالة البريطانية تقدمها السريع وكان موقفها كما يلي :

الفرقة الرابعة :

استمرت على تقدمها بعد تدمير القوة التركية التي اعترضتها عند مخرج مضيق (مصمص) فجراً فتقدمت مع وادي جزريل نحو بيسان ووادي الاردن فوصلت العفولة في الساعة ٠٨٠٠ وقد وصلها بنفس الوقت لواء من فرقة الخيالة الخامسة . وكانت المباغتة كاملة بدرجة ان ٣ طائرات سالمة استولي عليها في مطارها وقد نزلت طائرة رابعة بالمطار اثناء وصول الخيالة فاستولي عليها أيضاً . ووصلت الفرقة بيسان في الساعة ١٦٢٠ واوفدت كتيبة رماحة منها ليلة ٢٠–٢١ الى جسر المجامع للاستيلاء عليه . وقد قطعت هذه الفرقة مسافة ٧٠ ميلاً في ٣٤ ساعة ولم تفقد من خيلها بسبب الاعياء سوى

٢٦ جواداً .

الفرقة الخامسة :

اندفعت هذه الفرقة من مضيق أبي شوشة فتقدم احد الويتها نحو العفولة فدخلها بالساعة ٠٨٠٠ مع الفرقة الرابعة . وتقدم لواء آخر نحـــو الناصرة مباشرة ووصلها بالساعة ٠٤٣٠ من يوم ٢٠ وكان واجبه أسر ليمان فون ساندرس واعضاء مقره . وقد فشل اللواء في تحقيق ذلك لعدم وجود ادلاء لديه لدلالته في داخل المدينة وللمقاومة التي ابداها الجحفل المرتب من القطعات المرابطة في الناصرة باشراف فون ساندرس فقد غادر الناصرة بالساعة ١٣١٥ متوجهاً نحو طبرية . وفي مساء يوم ٢٠ كانت الفرقة متحشدة في العفولة وقد اسرت الفرقة بحركات اليوم ٢٠٠٠ر٢ اسير .

الفرقة الاسترالية :

تقدمت هذه الفرقة (التي كانت ناقصة لواء الحق بالفيلق ٢١)معقبة الفرقة الرابعة من مضيق (مصمص) فاجتـــازت الجبال في الساعة ١١٠٠ مـــن يوم ٢٠ ثم اندفعت نحو جنين ووصلتها في الساعة ١٧٣٠ حيث استولت على كثير من المعدات والاسرى ثم اشغلت خطاً دفاعيـــاً لسد طريق الانسحـــاب بوجه القطعات التركية المتراجعة .

اما موقف باقي القطعات البريطانية فكان كما يلي :

الفيلق ٢١ :

استدار هذا الفيلق على محور كان يشكله اللواء الفرنسي واستمر بزحفـه نحو الشمال الشرقي وفي مساء يوم ٢٠ استولى لواء الخيالة الملحق والفرقـة ٦٠ على طولكرم ومحطة المسعودية وبذا قطع طريق نابلس – جنـين . وكانت الفرقتان ٧ و٣ تتقدمان نحو نابلس من الجنوب الغربي وبقيت الفرقـة ٧٥ في الطيرة وكانت الفرقة ٥٤ في احتياط الفيلق خلف الفرق الأمامية .

الفيلق ٢٠ :

كان هذا الفيلق لا يزال مستمراً بتقدمه نحو نابلس في منـاطق وعرة وبوجه مقاومة عنيفة .

وقد توفق اللنبي مساء يوم ٢٠ أيلول أي بعد ٣٦ ساعـة من شروعـه بالتعرض في قطع جميع طرق الانسحاب التركية بواسطة خيالته التي أخذت تسحب خيوط الكيس الذي ستدمر بداخله القطعات التركية المطوقة. فبالنسبة لقطعات الجيش السابع والثامن المتراجعـة نحو نابلس كان هنـاك طريقـان للانسحاب أحدهما يتجه نحو الشمال الشرقي الى بيسان والآخر نحو الجنـوب الشرقي على خط وادي (فرحا) الى جسر دامية وقد سبق مصطفى كمال قائد الجيش السابع النظر ففتح طريقاً جديداً بين نابلس وبيسان وأمر بتحسينه وجعله صالحا لمسير العجلات وكان هذا الطريق الوحيد الذي بقي مفتوحـاً للاتراك الا انه كان ايضاً مهدداً بالقطع والخطر يقترب نحوه بسرعة.

موقف الاتراك

أدى هجوم الخيالة البريطانية فجر يوم ٢٠ على النـاصرة الى شل فون ساندرس ومقر يلدرم وعدم توجيهه الأوامر الى الجيوش الثلاثة التركية حتى عصر ذلك اليوم الحرج ، وكان ذلك مؤثراً بصورة خاصة بالنسبة لجمال باشا قائد الجيش الرابع في عمان الذي كان يجهل الموقف ، وكان بوسعه التراجـع بانتظام لو تلقى الأوامر والمعلومات اللازمة . وفي جبهة الجيش الثامن أصدر جواد باشا أوامره الى القطعات التي أمكن جمعها بالانسحاب على طريق العفولة وطلب الى فون اوبن وقطعاته الالمانية ستر الانسحاب من مواضع مؤخرة في جنوب دير شرف . وبعد ورود معلومات عن وصول الخيالة البريطانيـة الى العفولة وجنين قرر جواد الانسحاب طيـلة الطريق الموازي لوادي فرحـا والمؤدي لجسر دامية . وقضت القطعات طيلة يوم ٢٠ في التراجع بحثـاً عن طرق الانسحاب المفتوحة وكان الجنود الاتراك يستسلمون باعداد كبيرة . أما

الجيش السابع التركي فقد انسحب شمالا واخلى نابلس ليلة ٢٠–٢١ حيث قرر الانسحاب نحو جسر دامية على طريق وادي فرحا يوم ٢١ .

وفي مساء يوم ٢٠ كان الموقف كما يلي :

الخيالة البريطانية

كتيبة رماحة تحتل جسر الجامع . الفرقة الرابعة في بيسان . الفرقة الخامسة في العفولة . فرقة الخيالة الاسترالية ناقص لواء في جنين . مقر فيلق الصحراء في اللجون .

الفيلق ٢١ :

مقر الفيلق والفرقة ٧٥ في الطيرة . الفرقة ٦٠ في الجناح الايسر استولت على طولكرم ومستمرة بالتقدم منها نحو نابلس الفرقتان ٣ و ٧ تتقدمان نحو نابلس من الجنوب الغربي وقضتا النهار في مقاتلة فيلق آسية الالماني . الفرقة ٥٤ واللواء الفرنسي في حالة تقدم بالقدمة الى الخلف .

الفيلق ٢٠ :

مقره في رام‌الله والفرقتان ٥٣ في اليمين و ١٠ باليسار تزحفان نحو نابلس .

القطعات التركية

مقر يلدرم في سمخ جنوب بحيرة طبرية والقطعات منتشرة على قوس يمتد من غرب وجنوب نابلس مباشرة الى وادي الاردن . وهي في حالة تراجع وقد اصيب الجيش الثامن الذي انتقل مقره الى طوباس على طريق نابلس – بيسان بخسائر فادحة ولم تبق منه من التشكيلات المنظمة الا فيلق آسية الالماني والفرقتان ١٦ و ١٩ . اما الجيش السابع فكان لا يزال بحالة جيدة وقد انتقل مقره الى شرقي نابلس على طريق نابلس – بيسان . وكانت القوة

الجوية البريطانية نشطة طيلة اليوم وقد قصفت ارتال الاتراك المنسحبة باستمرار .

حركات يوم ٢١ ايلول

استطاع الفيلقان البريطانيان ٢٠ و ٢١ احتلال نابلس فدخلتها الفرقة ١٠ من الجنوب ولواء الخيالة والفرقة ٣ من الغرب. وقد انهارت المقاومات التركية في الجبهة واخذ الانسحاب التركي ينقلب الى هزيمة . وقد اسر الفيلق ٢١ البريطاني منذ بدء الهجوم ١٢،٠٠٠ اسير واستولى على ١٤٩ مدفعاً بينما لم تتجاوز خسائره ٣،٣٠٠ ضمنهم ٤٥٠ قتيلا ويمكن القول ان الجيش الثامن التركي قد قضي عليه كقوة محاربة باستثناء فيلق آسية الالماني وبعض الوحدات التي استطاعت ان تنسحب معه .

وهاجمت القوة الجوية البريطانية رتلاً تركياً كان في طريقه نحو جسر دامية وكان الرتل كبيراً حيث قدر طوله بـ ١٨ ميلا وقد انقضت عليه الطائرات في وادي فرحا الضيق وانزلت به خسائر فادحة وقد عثر فيما بعد عند تقدم البريطانيين على هذا الطريق ، على ١٠٠ مدفع واكثر من ١٠٠٠ عجلة متروكة على الطريق . وقد ادركت القطعات التركية بعد ان تأكد لديها احتلال الخيالة البريطانية لبيسان ان السبيل الوحيد لها للنجاة هو العبور الى شرقي الاردن ولذا اندفعت نحو النهر من جميع الاتجاهات . وكان قاطع النهر المفتوح للعبور يضيق تدريجياً بزحف البريطانيين طوار النهر من الشمال حيث كانت فرقة الخيالة البريطانية تزحف جنوباً من بيسان ، ومن الجنوب حيث كانت قوة تشيتر تزحف شمالاً من الغورانية .

حركات ٢٢ – ٢٥ ايلول

استطاع الجيش السابع التركي بعد ان فقد معظم مدافعه العبور يوم ٢٢ من مخاضتي (بن علي) و (ابو ناجي) الكائنتين بين بيسان وجسر دامية .

وقامت فرقة الخيالة التركية الثالثة بستر العبور . وانتقل مقر جحفل يلدرم الى درعا يوم ٢٢ . وقضى فيلق آسية الالماني وبقايا الجيش الثامن التركي ليلة ٢١ - ٢٢ في طوباس واستمر بمسيره نحو وادي الاردن يوم ٢٢ .

استولت قوة تشيتر البريطانية على جسر دامية يوم ٢٢ قبل الظهر وتلقى الجنرال شوفل قائد فيلق الصحراء بعد ظهر نفس اليوم تقارير من القوة الجوية تفيد بأن الاتراك يعبرون نهر الاردن في قاطعه الكائن بين بيسان وجسر دامية وتبلغ الفجوة بينهما ٢٥ ميلاً فأصدر الجنرال شوفل اوامره بسد هذه الفجوة بزحف فرقة الخيالة الرابعة جنوباً من بيسان على ضفتي الاردن واصدر اللنبي اوامره الى الفيلق ٢٠ لارسال كتيبة خيالته نحو نهر الاردن على طريق وادي فرحا لتطهير المنطقة .

امر ليمان فون ساندرس فور وصوله الى درعا بتنظيم خط مقاومة بين درعا وسمخ لستر انسحاب القطعات المتراجعة واصدر اوامره للجيش الرابع بالانسحاب نحو درعا . وفي ليلة ٢٢ - ٢٣ استطاع فيلق آسية بقيادة فون اوبن وقد هبط موجوده الى ٧٠٠ الوصول مع ١٣٠٠ تركي من بقايا الفرقتين ١٦ و ١٩ الى نهر الاردن حيث كان جواد باشا ومقر الجيش الثامن وشرعت هذه القوات بالعبور ليلاً .

وفي صبيحة يوم ٢٣ تعرضت القوات التركيةالقريبة من نهر الاردن لهجوم قطعات فرقة الخيالة الرابعة البريطانية الزاحفة من الشمال وقد استطاعت هذه القوة البريطانية التي لا تزيد على لواء خيالة اسر اعداد كبيرة من القطعات التركية التي تحاول العبور بفضل الهجمات الراكبة التي قامت بها على جنود الاتراك الجائعين والمنهكين والمنهارين معنويا حيث تجاوز عدد الاسرى ٦٫٠٠٠ .

استطاع البريطانيون يوم ٢٣ ايلول الاستيلاء على ميناء حيفا واستخدامه للتفريغ وسهل ذلك مشاكلهم الادارية كثيرا كما تم لهم في نفس اليوم الاستيلاء على عكا والناصرة واستولى الجيش العربي على معان التي اخلاها الاتراك . وفي مساء يوم ٢٣ ايلول تم تطهير الضفة الغربية من الاردن من الاتراك تماماً وجابه

البريطانيون مشاكل كبيرة بأعاشة واخلاء الاسرى الذين كانوا يستسلمون باعداد كبيرة وفي حالة يرثى لها .

تلقى الجيش الرابع الذي كان مقره بالسلط وفيلقاه الثامن (مقره في شونة نمرين) والثاني (مقره في عمان) اوامر فون ساندرس بالانسحاب شمالاً يوم ٢٢ وشرع بالانسحاب بجميع قطعاته ليلة ٢٢-٢٣ على محوري السلط — أربد ، وعمان درعا . وكانت قوه تشيتر المكلفة بعرقلة انسحاب الجيش الرابع قد احتلت جسر دامية وسدت الطريق المؤدية الى نابلس يوم ٢٢ ايلول وفور علم مقر قوة تشيتر بانسحاب الجيش الرابع شرعت بمطاردته فتقدم رتل منها نحو السلط واحتلها يوم ٢٣ وتقدم منها نحو عمان حيث احتلها بالساعة ١٦٣٠ من يوم ٢٥ بعد اشتباك عنيف بالمؤخرة التركية وتم بذلك قطع خط رجعة القوات التركية من حاميات سكة حديد الحجاز الموجودة جنوب عمان فاضطرت الى الاستسلام وكانت قوتها تزيد على ٤٫٠٠٠ جندي. وكانت القوة الجوية البريطانية تقصف ارتال الجيش الرابع المنسحبة بعنف واستمرار والقوات العربية النظامية والعشائرية (غير النظامية) تضايقها وتنزل بها خسائر فادحة باستمرار وقد ادى نسف السكة الى حرمان الجيش الرابع من الاستفادة منها . وفي ٢٣ ايلول وصل ليمان فون ساندرس ، الى دمشق وشرع باتخاذ التدابير اللازمة للدفاع عنها .

وبتطهير وادي الاردن كانت قوة تشيتر قد انهت واجبها حيث انزلت خسائر فادحة بالجيش الرابع التركي واسرت منه ١١٫٠٠٠ اسير واستولت على ٥٧ مدفعا . ولم تتجاوز خسائر القوة ١٣٦ شخصا .

كان فون ساندرس قد اصدر اوامره ، كما سبق ذكره ، يوم ٢٢ ايلول باشغال خط دفاعي يمتد طوار وادي اليرموك من درعا الى سمخ ، ثم يمتد بين بحيرتي الحولة وطبرية . ونصت الاوامر على اشغال الجيش الرابع للجبهة بين درعا واربد والجيش السابع بين اربد وسمخ وبقايا الجيش الثامن وحامية حيفا بين سمخ وبحيرة الحولة . ولم تكن هذه الاوامر قابلة للتنفيذ لانحلال القوات

التركية وتراجعها غير المنتظم ولسرعة المطاردة البريطانية . وشدد فون ساندرس على وجوب الدفاع عن سمخ ووضع بها سرية المانية وعين ضابطا المانيا لقيادة الموقع وقد تلقت فرقة الخيالة الاسترالية في ٢٤ ايلول امراً بالتقدم نحو سمخ وطبرية وفي ليلة ٢٤ – ٢٥ تعرضت المقدمة البريطانية التي كانت بقوة كتيبة ونصف لنيران الرشاشات من اتجاه سمخ فقرر آمر المقدمة القيام بهجوم راكب ليلا قبيل الفجر بالاستفادة من ضوء القمر ودار قتال عنيف استبسل به الالمان الذين قاتلوا الى آخر طلقة وآخر جندي وكان الالمان جميعا عند انتهاء المعركة بين قتيل او جريح . اما الاتراك الذين استسلم منهم حوالي ٣٠٠ فلم يشتركوا بالقتال بصورة جدية. وبعد الاستيلاء على سمخ صبيحة يوم ٢٥ أيلول اوفدت بنفس اليوم قوة لاحتلال مدينة طبرية فاحتلتها دون صعوبة بالتعاون مع قوة زحفت من الناصرة .

الصفحة الثانية

الزحف نحو دمشق

٢٦ ايلول – ٢ تشرين الاول ١٩١٨

الخريطة رقم (٨)

فاتح اللنبي الجنرال شوفل قائد فيلق الصحراء الراكب حول الزحف نحو دمشق للمرة الاولى عند زيارته له في مقره في اللجون يوم ٢٢ ايلول دون ان يصدر له أي أوامر أو وصايا حول الموضوع . وفي يوم ٢٦ أيلول عقد اللنبي مؤتمراً لقادة الفيالق في جنين وكان الموقف ملائما جداً بالنسبة له ، فقد استولى على فلسطين كلها واسرت قواته ٥٠٫٠٠٠ أسير ولم يبق من الجيشين السابع والثامن التركيين سوى فلول تتراجع بدون انتظام . أما الجيش الرابع فكان ينسحب مسرعاً نحو الشمال بظروف حرجة وقد قدر عدد القطعات التركية المتبقية جنوب دمشق وفي دمشق نفسها بحوالي ٤٠٫٠٠٠ وقد بين

اللنبي خطته للحركات المقبلة وكانت تتضمن مقصده وهو التقـدم نحو دمشق وبيروت وان يعهد بذلك الى فيلق الصحراء وفرقتين من الفيلق ٢١ وقـد حددت العوامل الادارية حجم القوة حيث كان ذلك اقصى ما يمكن ادامته في الأمام. وطلب اللنبي الى الخيالة ان تتقدم نحو دمشق فوراً بفرقتين من غربي بحيرة طبرية على أن تتقدم فرقة خيالة ثالثة نحوها عن طريق درعـا . وبعد القضاء على الجيش الرابع تلتحق بفيلق الصحراء . وكلفت فرقـة من الفيلق ٢١ بالتقدم من حيفا الى عكا ومنها الى بيروت على أن تعقبها فرقة ثانية عندما يساعـد الموقف الاداري حيث ازدادت المشاكل الادارية بالاندفـاع السريع بالرغم من الجهود المبذولة لتصليح السكك والاستفادة من الموارد المحلية.

وعلى أساس هذه الخطة اصدر قائد فيلق الصحراء الجنرال شوفل أوامره لفرقة الخيالة الرابعة بالحركة نحو درعا لقطع خط رجعة الجيش التركي الرابع وللتعاون مع الجيش العربي والتقدم نحو دمشق على طريق الحج القديم المار من (الصنمـين) و (كسوة) . وامر شوفـل أيضاً فرقتي الخيـالة الخـامسة والاسترالية بالزحف نحو دمشق عن طريق القنيطرة من غرب طبرية وكان هذا الطريق اقرب من الطريق الأول الى دمشق حيث كان طوله ١٠٠ ميـل بينما كان طول الطريق الاول ١٤٠ ميلا .

تحركت فرقة الخيالة الرابعـة من جـوار بيسان يوم ٢٦ ايـلول واشتبك لواؤها الأمامي بقتال في اربد عصر ذلك اليوم مع المؤخرة التي كانت تستر انسحاب الجيش الرابع الذي كان قسمه الأكبر آنئذ قـد وصل (الرمثة) ولم يستطع البريطانيون الاستيلاء على المواضع التركية حتى حلول الظلام حيث اخلاها الاتراك منسحبين شمالا . وفي يوم ٢٧ استأنفت فرقة الخيالة الرابعـة تقدمها واصطدمت بالمؤخرة التركية ثانية في (الرمثة) التي تبعد حوالى سبعة أميال من درعا واستطاعت أن تدحر المؤخرة بعد أن أسرت معظم جنودها. وفي هذه الفترة كان الجيش العربي قد قطع طريق درعا — دمشق ووصل الى الشيخ سعد الكائنة شمال غربي درعا . وهاجم الجيش العربي درعا من الخلف

واستولى عليها يوم ٢٧ وعند تقدم فرقة الخيالة الرابعة في اليوم التالي أي ٢٨ ايلول أخبرها لورنس الذي كان يرافق القوات العربية بأن الجيش العربي يسيطر على درعا وانه قد انزل بالجيش الرابع التركي خسائر فادحة واسر منه عدداً كبيرا وان المدينة الآن تحت الادارة العربية . وطلب لورنس الى القوة البريطانية الجلاء الى درعا وبالنظر للسلطات الواسعة التي يتمتع بها لورنس فقد نفذ البريطانيون ذلك وانسحبت فرقة الخيالة الرابعة الى مزيريب غربي درعا بسبعة أميال ، وتم الاتفاق على استئناف التقدم نحو دمشق في اليوم التالي بالتعاون مع القوات العربية التي عهد اليها بحماية الجناح الايمن .

شرعت فرقة الخيالة الاسترالية بالتقدم من سمخ التي استولت عليها يوم ٢٥ أيلول زاحفة نحو دمشق من غرب بحيرة طبرية على طريق القنيطرة . وقد توقفت طيلة يوم ٢٧ أيلول في منطقة جسر بنات يعقوب الذي كان الاتراك قد نسفوه واشغلوا مواضع قوية بمؤخرتهم لستر التخريب وكان معظم جنود المؤخرة من جنود الرشاشات الالمان . وقد انسحبت المؤخرة ليلة ٢٧-٢٨ واستأنفت فرقة الخيالة الاسترالية التقدم صبيحة يوم ٢٨بالاستفادة من المخاضات ومن الجسر بعد تصليحه وفي الساعة ١٣٠٠ دخلت الفرقة القنيطرة حيث قضت ليلتها .وقد عبرت فرقة الخيالة الخامسة التي كانت تعقب هذه الفرقة على نفس الطريق جسر بنات يعقوب بنفس اليوم . وفي يوم ٢٩ اشتبكت الفرقة الاسترالية مجدداً بمواضع تعويق تركية في (صعصع) التي تبعد ٢٠ ميلاً عن دمشق وقد اخلى الاتراك الموضع عند حلول الظلام وانسحبوا منه ليلة ٢٩-٣٠ .

وفي يوم ٣٠ ايلول كان الموقف كما يلي : —

القطاعات التركية :

اخلى فون ساندرس مقره الى حلب منذ يوم٢٥ ايلول بعد ان قدر صعوبة الدفاع عن دمشق . وكانت القطاعات المتيسرة لديه في حالة انهيار باستثناء

فيلق آسية الالماني الذي كان يقوده العقيد فـون اوبن والذي اصبح موجوده لا يتجاوز ٧٠٠ محارب وقد كانت هذه القوة لا تزال محتفظة بمعنوياتها العالية وضبطها الممتاز مستمدة اياهما من شجاعة فون اوبن وحيويته والتحقت بهـا كتيبة المانية كانت بأمرة الجيش الرابع . وقد امر فون ساندرس فيلق آسية باشغال موضع في (الرياق) لستر طريق بيروت – دمشق . وامر مصطفى كمال باشا وبقايا الجيش السابع بالحركة الى تلك المنطقة ايضاً لاستلام القيـادة فيها . وعهد فون ساندرس الى جمال باشا قائد الجيش الرابع بالدفـاع عن دمشق من الجنوب واصدر اوامره بالغاء مقر الجيش الثامن وسافر قائده جواد باشا الى استانبول . الف جمال باشا جحفلاً باسم جحفل طبرية بقيادة الزعيم علي رضا الركابي آمر موقع دمشق وهو عربي من اصل سوري وكان الجحفل مؤلفاً من ٣ افواج و ٨ رشاشات متوسطة و ٨ مدافع وقد طلب جمال باشا الى آمر الجحفل اشغال مواضع في (صعصع) الا ان المومأ اليه ترك جحفله ملتجئاً الى فرقة الخيالة الرابعة البريطانية مما سبب تغلب البريطانيـين على الجحفل بسهولة كما سبق ذكره واوفد جمال باشا فوجاً الى (الكسوة) التي تبعد ١٥ ميلاً عن دمشق على طريق درعـا واضطر هـذا الفوج أيضـاً الى الانسحاب تحت ضغط العشائر وعقبته فرقة الخيالة الرابعة .

القطعات البريطانية :

تلقت فرقة الخيالة الاسترالية امراً بالتقدم نحو دمشق والالتفاف حولهـا من الغرب لسد الطرق المؤدية الى بيروت وحمص وتمكنت هذه الفرقة يوم ٣٠ أيلول ان تقطع الطريق والسكة المؤديين الى بيروت في مضيق (ربوة) الذي يخترقه نهر بردى على بعد اربعة اميال من دمشق وقد باغتت الخيالة الاسترالية رتلاً تركيا طويلاً في المضيق وسلطت عليه نيراناً فاتكة وانزلت به خسائر فادحة أدت الى تدميره كقوة منظمة وقد استسلم منه ٤٠٠٠ اسير .

واستمرت فرقة الخيالة الرابعة على تقدمها على طريق الحج القديم . اما

فرقة الخيالة الخامسة فقد استمرت في تقدمها الى يسار فرقة الخيالة الرابعة . وباتت فرق الخيالة البريطانية الثلاث ليلة ٣٠ أيلول ١ تشرين الاول على أبواب مدينة دمشق التي عمتها الفوضى . وقد دخل الجيش العربي الى دمشق في ٣٠ أيلول واستقبله الاهالي استقبالا حافلا ملؤه الحماس القومي . ودخلت القطعات البريطانية دمشق فجر يوم ١ تشرين الاول ١٩١٨ وكانت كافة القطعات التركية قد انسحبت من دمشق والرياق نحو حلب وقد اسر في دمشق حوالي ٢٠,٠٠٠ اسير تركي في حالة يرثى لها من الجوع والمرض.

وبينما كانت القيادة العربية منهمكة في توطيد الامن واعادة النظام الى دمشق واقامة حكومة عربية لتحقيق الاهداف العربية وما ضحى العرب في سبيله بدمائهم قلب لهم حلفاؤهم ظهر المجن . ووصل اللنبي الى دمشق يوم ٣ تشرين الاول وارسل بطلب الامير فيصل وعند مواجهته صارحه بمعاهدة (سايكس بيكو) وبين له ان الحلفاء قد قرروا اخضاع سورية للاشراف الفرنسي ، وان الفرنسيين سيحكمون لبنان حكماً مباشراً ، هذا مع العلم ان اللبنانيين كانوا يطالبون بالانضمام للدولة العربية الكبرى وقد رجوا فيصل ان يرسل اليهم قوات عربية الى لبنان ، وارسل هذه القوات فعلا بقيادة الفريق شكري الايوبي .

واثر هذا الاجتماع بين اللنبي وفيصل احتج لورنس (كما يدعي) واستقال أو تظاهر بالاستقالة محتجاً (على حد قوله) على نكث العهود المقطوعة للعرب وغادر دمشق عائداً الى بلاده . ولم يجد الامير فيصل بداً من الخضوع وتعليق الامل على مؤتمر الصلح للمطالبة فيه بحقوق العرب . وقد وصف لورنس موقف بلاده بكتابه (أعمدة الحكمة السبعة) فقال :

عرج داوني (ضابط بريطاني) على أبي اللسن لتحية فيصل وابلاغه رسالة اللنبي التي توصيه بالحذر وعدم القيام بأعمال تنطوي على المجازفة عند اغارة البريطانيين على شرقي الاردن ، لأن الحركة مجرد غارة وقد يتعذر على البريطانيين مساعدة العرب اذا قام الاتراك بحركات كبيرة ضدهم وشددت توصية

النبي على عدم قيام فيصل باندفاع نحو دمشق حتى يحين الوقت المناسب . واستقبل فيصل بابتسامة حكيمة مبعوث النبي واجابه بأنه مهما كانت الظروف فأنه سيهاجم دمشق في فصل الخريف . وفي حالة عجز الانكليز عن احراز النصر من جانبهم، فسيخلص شعبه من ويلات الحرب بعقد معاهدة منفردة للصلح مع تركيا .

وكان فيصل منذ مدة طويلة على اتصال ببعض العناصر التركية بمعرفة جمال باشا الذي كان يفتح كل الرسائل . وجمال باشا في كامل وعيه كان مسلماً متعصباً ولذلك كانت الثورة التي اندلعت في مكة امراً لا يقره الدين بالنسبة له وكان مستعداً لأن يقوم بأي عمل لتقويم هذا الخروج على المعتقد ، ورسائله في هذا المجال أصدق دليل على ذلك .

ومما لا شك فيه ان التفاهم مع جمال باشا كان امراً مستحيلاً ، فجمال باشا هو الذي أمر بشنق أصدقاء فيصل في سورية ولا يمكن لفيصل ان يتجاهل دماء اصدقائه وهو العربي الوفي ، ولكن ابلاغ جمال باشا رفضاً لعرض السلام باسلوب ينطوي على الخبث والدهاء كان المقصود به زيادة شقة الخلاف بين القوميين المتعصبين والمتدينين في تركيا .

لقد عرض الاتراك على فيصل اولاً استقلالاً ذاتياً في الحجاز ، ثم ألحقوا سورية بالحجاز وأتبعوا العراق بهما غير ان فيصل بقي غير راض ، فعرض مندوب جمال باشا عليه اعلان الشريف حسين ملكاً ، وفي النهاية اعترف الاتراك بأن مطالبة آل بيت النبي (صلعم) في الزعامة الروحية للمسلمين أمر يقره المنطق . ومن الجدير بالذكر ان هذه العروض قد سببت انشقاقاً في الاركان العامة التركية ، فبينما رأى المسلمون المتعصبون في حركة الشريف حسين خروجاً على الطاعة الواجبة لخليفة المسلمين ومعصية لا تغتفر ، اعتبره القوميون التقدميون عملاً وطنياً مخلصاً قام به الشريف حسين في غير اوانه لأن الانكليز أوقعوه في حبائلهم بوعودهم المعسولة ولذا كان هؤلاء يرغبون في اعادته الى جادة الصواب عن طريق التفاهم دون اللجوء للقوة العسكرية .

وكانت أفضل ورقة في ايدي الاتراك لمهاجمة السياسة البريطانية اتفاقية (سايكس ـ بيكو) التي قضت بأن تتقاسم كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية تركة الرجل المريض، تركية. وقد كشف السوفيات عن هذا الاتفاق بعد ثورتهم على النظام القيصري . وقرأ جمال باشا بنوده السرية في حفل عام دعا اليه في بيروت. وبذلك سبب الكثير من المتاعب ، ولو الى حين في وجه بريطانيا وفرنسا اللتين ارادتا اخفاء نواياهما الحقيقية بشأن البلاد العربية عن العرب . ولحسن حظي انني كنت قد كشفت لفيصل قبل هذا التاريخ عن وجود مثل تلك الاتفاقية واقنعته بأن افضل وسيلة لابطال مفعول الاتفاقية هي تقديم عون فعال للانكليز وعندئذ سيكون من الصعب عليهم بعد النصر التضحية بحليف السلاح من اجل تنفيذ اتفاق ورقي . ولكن بما انني لم اكن واثقاً من حسن تصرف الانكليز فقد رجوت فيصل ان لا يعتمد كوالده على وعودنا بل على قوته هو دون غيره .

وفي الوقت المناسب عرفت الحكومة البريطانية كيف تستر وجهها وتلعب على عدة حبال لتقلل من وقع معاهدة سايكس بيكو على العرب . فوعدت لجنة من الزعماء العرب في القاهرة بمنحهم الاراضي التي يستطيعون انتزاعها من الاتراك خلال الحرب وسرعان ما سرى هذا الخبر في كل انحاء سوريا واخيراً كي تنجد بريطانيا الاتراك المغلوبين وتبرهن لنا انها قادرة على نثر الوعود في كل الاتجاهات والى كل الفرقاء بعد وعدها رقم (١) للشريف حسين ، ووعدها رقم (٢) للحلفاء ووعدها رقم (٣) للجنة العربية، طلعت الحكومة البريطانية بوعد جديد وهو رقم (٤) قابل للتفسير على عدة وجوه اعطته للورد روتشيلد الصهيوني ممثل القوة الجديدة التي دغدغت احلامها مكاسب ممكنة في فلسطين.

وفي احد اجتماعاتنا استدار نوري الشعلان نحوي وفي يده مجموعة من المستندات المتناقضة الصادرة عن الحكومة البريطانية وسألني (اياً من هذه المستندات يجب ان نصدق ؟) . وفي ما اقتبسناه من كتاب لورنس دليل على ما كان يبيته الحلفاء من غدر وجحود لتضحيات العرب الذين استقتلوا للوصول الى مثلهم العليا .

الصفحة الثالثة

التقـــدم نحو حلب

٣ - ٣١ تشرين الاول ١٩١٨

كان للاتراك عندما شرع فيلق الصحراء بزحفه نحو دمشق حوالي ٤٠٠٠٠ محارب جنوب دمشق وبعد احتلالها كان نصف هؤلاء اسرى وقد استشهد منهم بضعة آلاف اخرى . وقدر من تمكن من النجاة منهم بحوالي ١٧٠٠٠ كانوا بدون مدافع او وسائط نقل، ولم تقدر القوة المقاتلة الحقيقية بينهم بأكثر من ٤٠٠٠ وكانت وزارة الحرب البريطانيـة تلح على اللنبي بوجوب التقدم بسرعة نحو حلب اذ لم يكن هناك ما يعيقه باعتقادها . الا ان اللنبي كان يواجه في الحقيقة ثلاث مشاكل كبيرة وهي، بعد المسافة، والتموين، والمرض. وكانت المشكلة الاخيرة هي الأخطر فقد بدأ تأثير الملاريا بالظهور على القطعات بعد الشروع بالتعرض باسبوعين اذ ان البريطانيين كانوا قد اتخذوا تدابير كاملة لمكافحة الملاريا في مناطقهم وخلف خطوطهم الا ان توغلهم في المنـاطق التي كانت تحت سيطرة الاتراك والتي لم تتخذ بها اي تدابير لمكافحة الملاريا جعـل القطعات البريطانية تتعرض للاصابة بها ، وقد قـــدر الاطباء فترة اسبوعين لظهور تأثيرهـــا بشكل مؤثر وكانت هذه الفترة من المتوقع ان تبدأ من ١ تشرين الاول ، وقد لاحظ اللنبي تزايد عدد الداخلين الى المستشفيات من جراء اصابتهم بالملاريا بصورة خطيرة ، ثم اجتـاح الجيش وباء من الانفلونزا فهبط موجود الوحدات كثيراً ولا سيا منتسبي الفرقتين الاسترالية والرابعة .

وفي يوم ٣ تشرين الاول تقدمت الفرقة الهنـدية السابعة من حيفا على الطريق الساحلي المار بصور وصيدا الى بيروت فوصلتهـــا يوم ٨ تشرين الاول وكانت بواخر سفن الاسطول الفرنسي والقوات العربية قد سبقهـــا اليها . ثم ارغم الحلفاء القوات العربية على الخروج من بيروت واقيمت فيها ادارة فرنسية . وفي ١١ تشرين الاول احتل البريطانيون بعلبك بلواء خيالة ثم امر اللنبي قواته بالتقدم الى خط حمص – طرابلس ، فوصلت فرقة الخيالة

الخامسة الى حمص ، ووصل لواء مشاة من الفرقـــة السابعة الى طرابلس في يوم ١٨ .

وفي ١٤ تشرين الاول اعاد الاتراك تنظيم قواتهم فالغوا مقر الجيش الرابع، واودعت القيادة لمقر الجيش السابع وقائده مصطفى كمال ، وتقرر تأليفــه مجدداً من الفلول المنسحبة للوحدات المتراجعــة وجعله مكونا من فيلقين ، الفيلق الثالث ويتألف من فرقتين (٢٤ ، ٤٣) والفيلق العشرين ويتألف من الفرقتين (٤١ ، ١١) وكانت القوات التركية تقدر بثلاثين فوجاً ضعيفاً وكان الاسناد المتيسر للقوة التركية عبارة عن ١٢ رشاشة متوسطة و ١٤ مدفعاً . وكان هذا كل ما تبقى من جحفل يلدرم . وكان مع القوة فيلق آسية الالماني الذي فقد في هذه الفترة قائده البطل العقيد فون اوبن الذي توفي في طرسوس اثر اصابته بالكوليرا بعد ان قاد قطعاته في احرج المواقف واوصلهاالى حلب محتفظة بمعنوياتها العالية وضبطها الراقي .

اخذت المشاكل الادارية تؤثر بشدة على حركات البريطانيين فقـد كانت دمشق تبعد ١٥٠ ميلا عن قواعد التموين المتقدمة وحلب تبعد ٢٠٠ ميل عن دمشق . ولم يتيسر لأللنبي من التشكيلات للزحف نحو حلب الا الفرقة الخامسة التي كان قائدها متحمساً لأخذ هذا الواجب على عاتقه .

وشرعت الفرقة بالتقدم من حمص الى حلب يسندها رتل من الجيش العربي ورتل من المدرعات وغادرت القوة حمص يوم ٢٠ تشرين الاول ووصلت يوم ٢٤ تشرين الاول الى مسافة ٥ أميال عن حلب ولم تصادف في طريقها سوى مقاومات طفيفة ازاحتها بسهولة وفي يوم ٢٥ تشرين الاول دخلت القوات العربية الى حلب وانسحبت المؤخرات التركية على طريق الاسكندرونة وكان لحماس اهل حلب وتأييدهم للقضية العربية اثر كبير في انهيار المقاومة التركية بالرغم من استماتة المؤخرات بالدفاع واستمرار القتال في الشوارع . وانسحب مقر الجيش السابع التركي الى محطة (قطمة) الواقعة على بعد ٤٠ كيلومتراً شمالي حلب ليلة ٢٥ ــ ٢٦ وانتقل منها يوم ٢٨ الى (راجو) . وانتقل مقر

الجيش الثاني التركي المكلف بالدفاع عن السواحل الى (اطنة) .

ودخلت الخيالة البريطانية حلب يوم ٢٦ تشرين الاول وفي هـــذا اليوم دارت آخر معركة في هذا السفر بين مقدمة الخيالة البريطانيـــة المؤلفة من كتيبتين والفرقة الاولى التركية في المسلمية شمال غربي حلب وقد نجح الاتراك بصد القوات البريطانية وارغامها على التراجع . وعند حلول الظلام تراجعت القوات التركية الى مواضع جديدة على خط الاسكندرونة – تل رفعت . ولم يحدث ما يستحق الذكر بعد ذلك حتى تنفيذ اتفاقية الهدنـــة بين الحلفاء والاتراك يوم ٣١ تشرين الاول .

لقد كان الانتصار البريطاني حاسما ففي خــلال الفترة ١٩ ايلول – ٢٦ تشرين الأول غنمت القوات البريطانية ٢٦٠ مدفعاً واسرت ٧٥٫٠٠٠ اسير بينهم ٣٫٧٠٠ من الالمان ولم تتجاوز خسائرها ٥٫٠٠٠ وقد تقدمت اكثر من ٣٥٠ ميلا . وقطعت فرقة الخيالة الخامسة خــلال ٣٨ يوما حوالي ٥٥٠ ميلا وهو عمل من اروع انجازات صنف الخيالة المجيد .

الهدنـة

اقال السلطان التركي محمد وحيدالدين في اوائل تشرين الاول ١٩١٨ وزارة (طلعت – انور) وعين المشير عزت باشا رئيساً للوزراء بعـــد ان اصبحت تركيا على حافة الانهيار وفقدت اكثر من مليون من ابنائهـا في سنوات الحرب الخمس . وكانت المانيا قد قدمت شروطها لعقد الهدنة الى الرئيس الامريكي ويلسن في ٤ تشرين الأول وبدأت المفاوضات حولها . وفي ٢٠ تشرين الاول نقل الجنرال طـــاونسند الذي كان اسيراً لدى الاتراك بعد استسلامه في الكوت شروط الاتراك لعقد صلح مستقل الى الجهات البريطانية. وتم التوقيع على الهدنة بالساعـــة ٩٫٤٠ من يوم ٣٠ تشرين الأول واصبحت نافذة المفعول يوم ٣١ تشرين الأول . وانسحبت القطعات الالمانية والنمسوية

من الجبهة عائدة الى بلادها وسلم ليمان فون ساندرس القيادة الى مصطفى كمال. وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ الغي مقر جحفل جيوش يلدرم ومقر الجيش السابع ووضعت كافة القطعات التركية بامرة قيادة الجيش الثاني . وانزل الحلفاء جنودهم في الاسكندرونة ومرسين وطلبوا الى الاتراك سحب جميع قطعاتهم شرقي سكة مرسين - طرسوس - سيحان ، وامتثل الاتراك لذلك مرغمين والويل للمغلوب .

الدروس المستحصلة

١ - التفوق البريطاني

يرى كثير من المؤرخين العسكريين أن تعرض اللني الاخير كان مناورة عرفت نتائجها مقدماً ، فقد كان معلوماً ان الحكومة التركية قد خسرت الحرب قبل هجوم اللني وذلك بانهيار بلغاريا وتقدم الحلفاء السريع في البلقان . وفي جبهة فلسطين كان البريطانيون قد ضمنوا التفوق في كل شيء ، بالعدد وبالمعدات ، وعلى الاخص بالمدفعية الثقيلة التي كان بوسعها تدمير دفاعات الاتراك الضعيفة وفتح الثغرات فيها ، وبالقوة الجوية التي كانت تزودهم بالمعلومات وتحرم الاتراك منها بالاضافة الى قيامها بشل مواصلاتهم الداخلية . وكان البريطانيون متفوقين أيضاً بوسائط النقل فقد كانت نسبتها للاشخاص لدى البريطانيين اعلى بكثير من نسبتها لدى الاتراك كما كانت أرقى من النقلية التركية بنوعيتها وبتنظيمها ، وعن طريق هذه النقلية كان اللني يضمن التفوق بقابلية الحركة ولاسيما في التعرض. وكان تفوق البريطانيين ساحقاً في القطعات الراكبة مما ضمن لهم استثمار الفوز عندما تتاح الفرص. وكان للبريطانيين تفوق بحري مطلق لم يجرؤ اعداؤهم على تحديه حتى عن طريق الغواصات وقد ضمن لهم هذا التفوق البحري المواصلات في جناحهم الايسر في الوقت الذي كان يهدد به مواصلات اعدائهم البحرية وقد أمن هذا التفوق البحري لهم تموين

قطعاتهم من موانىء متعاقبة عند التقــدم . وكان خطر الانزال البحري في المناطق الخلفية خطراً ماثلاً امام الاتراك دوماً ويفرض عليهم تخصيص القطعات التي كانوا بأمس الحاجة لها لمقاومته . وكان لتيسر الموارد والقـدرة على مد السكة الحديد بسرعة وكفاءة اثر كبير في حشد القوات الكبيرة اللازمــة للحصول على النتائج الحاسمة . وقد أمنت كل هذه العوامل تفوقاً معنويـاً لا يثمن للبريطانيين ازاء خصومهم الذين كانوا يشعرون بأنهم دون عدوهم في كل شيء وان لا أمل لهم في دحره .

وقد يرى البعض أن هــذا التفوق الساحق أمر نادر الحدوث ، وعند وجوده يؤمن النصر حتماً ويطغي على الاخطاء المرتكبة ، ويناقش هذا الرأي بأن ضمان التفوق الساحق أمر يفرضه السوق الاكــبر على الدول التي تنوي خوض غمار الحرب ، وتتجلى عبقرية القائد في استغلال هذا التفوق الساحق وتدمير قوات عدوه تدميراً ساحقاً بأقصر وقت وأقـل خسارة . وهــذا الدرس تبرزه هذه الصفحة من الحركات بصورة جلية .

٢ ـ التحشد :

ان حشد القوة الفائقة في الزمان والمكان الجازمين عامـل جوهري وهو عماد النجاح في المعركة . وعند مناقشة تنفيذ ذلك نرى ان الجانب البريطاني قد قام به على خير وجه . فقد حشد اللنبي اكبر قوة ممكنة من جيشه في المكان الحاسم وهو السهل الساحلي حيث حشد فيه بجبهة لا تتجاوز ١٥ ميلاً ٥ فرق مشاة و ٣ فرق خيالة أي ٣٥٫٠٠٠ جندي مشاة و ٩٫٠٠٠ جندي خيال و ٣٨٧ مدفعاً وحصر جهده الرئيسي في جبهة الاقتحــام التي قرر خرقها واندفاع خيالته منها وكانت هذه لا تتجاوز ١٤٫٠٠٠ يارد . أمــا الجانب التركي فتتجلى بمخالفتــه لمبدأ التحشد بالمشاريع الخيالية التي اندفع وراءها انور باشا في تشكيل جيش قوي للزحف نحـو القفقاس عوض حشد القوات التي يمكن توفيرها بخروج روسيا من الحرب بالجبهات المهمة وفي مقدمتها

جبهة فلسطين . ويضاف الى ذلك ما سبق التطرق له من قُبل وهو حشد جميع القطعات المبعثرة في انحاء الجزيرة العربية وعلى سكة حديد الحجاز وسحبها الى الخلف للاستفادة منها في الجبهة الفلسطينية .

٣ ـ المباغتة :

في حركات الجنرال اللنبي امثلة كثيرة لتوخي المباغتة فهو حريص عليها ودؤوب في طلبها ويقوم بكثير من الاستعدادات للحصول عليها ولكتمان نواياه عن عدوه أو إيهامه بمناورات صورية وقد توخى في تعرضه الاخير اغفال الاتراك حول اتجاه الهجوم وجملهم يعتقدون بأنه سيوجه الى جناحهم الايسر اي في شرقي الاردن ، ولحملهم على هذا الاعتقاد قامُ باجراءات متعددة كاقامة المعسكرات الخالية ، وصنع دمى الخيل ، واجراء تنقلات صورية للقطعات ، وتداول مخابرات لاسلكية مع مقرات وهمية وغير ذلك . كما اتخذ تدابير مشددة لكتمان نواياه كاجراء التنقلات ليلا ، وتقليل الاوامر المكتوبة وحصر تداولها ، واستغلال تفوقه الجوي لمنع الطائرات المعادية من الحصول على معلومات . وبعد الشروع بالتعرض باغت اللنبي الاتراك مباغتة عظمى بسرعة حركاته وبسعة نطاق خطته ومقياسها ، وعمق اندفاع قطعاته الراكبة وكانت مباغتته هذه سبباً لتدمير القطعات التركية .

٤ ـ الموقف الاداري :

سبق التطرق مراراً للموقف الاداري الرديء الذي كانت القطعات التركية تعانيه وقد اصبحت احوال هذه القطعات لا تطاق في اواخر الحرب. ويروي المؤرخون الاتراك ان الضباط بملابسهم الممزقة كانوا لا يميزون عن جنودهم بأسمالهم البالية ، وكان النزاع شديداً للحصول على احذية قتلى البريطانيين ، إذ كان المحاربون الاتراك حفاة الأقدام في كثير من الاحيان ، وكان الضباط والمراتب يرتدون في أقدامهم ما يشبه الصندل وهو نعل خفيف تشده خرق وخيوط عوض احذية الخدمة النظامية التي انقطع تجهيزها ،

وكانت الارزاق قليلة ودون القياس المقرر ولا تصل مطلقاً احياناً . وقد ذكر مصطفى كمال باشا في تقرير رفعه عند استلامه قيادة الجيش السابع قبيل التعرض البريطاني الاخير (اود ان استعرض حالة الجيش السابع ولا سيما الفرقة ٨٩ التي لا يتجاوز موجود ألويتها الألف جندي ، وبالنظر لسوء حالتهم الصحية لا يتمكن خمسون بالمائة منهم من الوقوف على ارجلهم واكثريتهم من الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٧ و ٢٠ سنة او كهول بين ٤٥ و ٥٠ سنة) .

أما الموقف الاداري البريطاني فكان في مستواه الراقي المعهود وكاحرص اللنبي على الاحتفاظ به ، ليؤمن لجنوده حتى الكماليات . ولم يشرع اللنبي بتعرضه الاخير إلا بعد إكمال كافة التدابير الادارية فمدت السكة وفتحت الطرق ، وتم انشاء قاعدة تموين رئيسية في ميناء يافا وربطت بسكة خفيفة بالمناطق الأمامية ، وانشأت مستودعات كبيرة للاعاشة والعينة في اللد واقيمت أكداس أمامية للارزاق والعتاد وانفتحت الوحدات الطبية وزودت القطعات المكلفة بالتقدم بارزاق اربعة ايام تحملها معها . وفور التقدم تمت الاستفادة من موانىء حيفا وبيروت وطرابلس للتموين وتقصير خطوط المواصلات . وقد اقتصرت المطاردة على القطعات الراكبة لتقليل القطعات التي يجب ادامتها في الأمام ، واقتصرت على فرقة خيالة واحدة فقط فيما بعد دمشق للسبب نفسه وكانت تمون بواسطة النقلية الآلية (اللوريات) .

٥ — اعمال القيادة التركية :

يقودنا درس اعمال القيادة التركية في هذه الصفحة من الحركات الى بحث آراء فالكنهاين وليمان فون ساندرس في المعركة الدفاعية مجدداً ، ومن المؤكد ان القطعات التركية كانت بأمس الحاجة الى حنكة فالكنهاين وعلمه الواسع لانقاذها من الورطة التي وقعت فيها نتيجة اصرار ليمان فون ساندرس على التمسك بالارض الى اطول مدة ممكنة . ويلقي فون ساندرس في مذكراته

التي نشرها في كتاب اسماه (خمس سنوات في تركية) اللوم على القيادة التركية العامة وانور باشا . ويقول انه اقترح سحب القطعات الموجودة على سكة حديد الحجـار فرفض اقتراحه . كما اقترح سحب القطعات التركية الى خط دفاعي جديد على طول سلسلة الكرمـل فرفض طلبه ايضاً لانطوائه على اخلاء قسم كبير من فلسطين . ومهما يكن الامر فلا شك ان فون ساندرس ملوم لعدم استطاعته تقدير نوايا عـدوه بصورة صحيحة بعد ان اصبح تعرضه وشيكاً ، وعدم استجابته لاقتراحات القادة الموجودين في الجبهة كقائد الفيلق ٢٢ الزعيم رأفت بك وقائد الجيش الثامن جواد باشا بالانسحاب الى الخلف لتجنب الضربة البريطانية . وكان هذا الاجراء اصح الحلول اذ ان اخلاء المواضع قبيل الهجوم البريطاني الذي استعـد له البريطانيون وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً كبيرة والانسحاب بانتظام وبأقل خسارة ممكنة سيرغم البريطانيين على وضع الخطط لعملية هجوم جديـدة . كما ويلام فون ساندرس لعدم تحصينه مضيقي (ابو شوشة) (ومصمص) في جبال الكرمل وعدم تقديره لحراجة موقف الجيش الثامن وسرعة تطور التعرض البريطاني، وقد يكون سبب ذلك فشل منظومة مواصلاته واهتمامه الزائد بوادي الاردن وانقيـاده لخدعة البريطانيين بالتقدم من ذلك الاتجاه .

٦ — الأمن :

من الواجبات الاساسية لكل قائد اتخاذ التدابير اللازمة لحماية قطعاته وتجنب مباغتة خصمه له . ولا يمكن القول بأن القيادة التركية قد أمنت ذلك . فقد كانت مواصلاتها مهددة دوماً بغارات القوات العربية النظامية وغـير النظاميـة ولم يستطع الحصول على معلومات كافية عن حركات البريطانيين لتجنب مباغتتهم .

٧ — استغلال الموقف :

أدركت القيادة العامة البريطانية ان تركيا على وشك الانهيار وان نهاية

الحرب بالنسبة لها قد دنت ، ولذا حثت اللنبي على الأندفاع السريع ومحاولة الوصول الى حلب قبيل عقد الهدنة ، وقد حقق اللنبي ذلك وقام بمجازفات فرضها الموقف السياسي عليه . واستغل الظروف الملائمة وللمجازفة في هذه الحالة ما يبررها .

٨ - شخصية اللنبي :

كان لشخصية اللنبي اثر كبير في النتائج الباهرة التي حصل عليها البريطانيون فقد كانت ظروفه عسيرة والتيارات السياسية المتضاربة تسود منطقته فوعود الحلفاء المتناقضة للعرب واليهود ومعاهدة سايكس بيكو وغيرها من القضايا المعقدة امور تتطلب قائداً قوي الشخصية واثقاً من نفسه ويتمتع باحترام رؤسائه ومرؤوسيه ليستطيع معالجتها ، وقد كانت هذه الصفات متوافرة في اللنبي . وكانت القطعات الموجودة بأمرة اللنبي تضم خليطاً من انحاء الامبراطورية البريطانية الشاسعة كأسترالية ونيوزيلانده والهند وجزر الهند الغربية ومن خارجها كالجيش العربي والفعلة المصريين والقطعات الفرنسية والايطالية ، وقد استطاع اللنبي السيطرة عليها وجعلها تعمل كوحدة متماسكة متعاونة وفرض شخصيته على جنوده فكسب طاعتهم التامة وثقتهم الكاملة بفضل تجوله الدائم المستمر بين القطعات ومواجهته الشخصية لآمري الوحدات بصورة مباشرة لنقل افكاره ونواياه اليهم ليصبحوا على بينة من خططه ومقاصده في العملية المزمع القيام بها . وكان خصماه فالكنهاين وخلفه فون ساندرس عاجزين عن مجاراته في ذلك بوصفهما المانيين يقودان قطعات تركية فلا يستطيعان محادثة الجنود والاكثرية الساحقة من الضباط ، فهما اجنبيان عنصراً وديناً ولغة وللتماس الشخصي اثره العظيم في القيادة . ومن الجدير بالذكر ان اللنبي قد منع استعمال كلمة (الحروب الصليبية) منعاً باتاً ضمن جيشه ، او تشبيه عملياته العسكرية بحروب صليبية فهو ، على حد قوله ، يقود ضمن جيشه قطعات هندية مسلمة وحلفاؤه العرب المسلمين يسدون له اثمن المساعدات ، والمصريون المسلمون يعملون بخدماته الادارية باعداد كبيرة تتجاوز عشرات الالوف .

ونورد للدلالة على صلابة اللنبي ، أنه فقد ولده الوحيد وكان ضابطاً برتبة ملازم حيث قتل بالجبهة الغربية بفرنسة في تموز ١٩١٦ وكانت صدمة شخصية هائلة تحملها اللنبي ومضى في طريقه لاداء واجبه في ادارة الحرب بجبهة فلسطين حيث كان يرسل المئات ليلاقوا مصير وحيده وقلبه يقطر دما .

٩ – واجبات الاركان

اظهرت هيآت الاركان البريطانية في مختلف المستويات كفاءة عالية في انجاز ما طلب منها من واجبات مختلفة ، فكانت الاوامر دقيقة وواضحة تؤمن المرونة وتضمن السيطرة . وترجع هذه الكفاءة العالية الى اكتساب الخبرة بمرور الزمن ولقلة الخسائر بين ضباط الركن وعدم تبديلهم، وقد ادى ذلك الى رفع مستوى التدريب في القطعات بصورة عامة . اما الاتراك فقد كانوا يشكون نقصاً هائلاً في الضباط وكان عدد ضباط الركن لديهم قليلاً جداً بالنسبة الى الاعمال وقد زادت الامور تعقداً بقدوم هيئات الركن الالمانية التي لم تستطع تفهم الاحوال الخاصة بالجيش التركي وفشلت في تكييف اسلوب عملها وفق ظروف الجيش التركي بالاضافة الى عدم استطاعتها ادارة اعمالها باللغة التركية .

١٠ – التفوق البحري

ضمن البريطانيون التفوق البحري في الجبهة الفلسطينية طيلة مدة الحرب دون نزاع او تحد ، وقد امن لهم هذا التفوق فوائد شتى . فقد كان خطر القيام بإنزال خلف الخطوط التركية قضية اقلقت القيادة التركية كثيراً وجعلتها تخصص باستمرار عدداً كبيراً من القطعات لمقاومته . ومن الغريب ان البريطانيين لم يتشبثوا مطلقاً للقيام بأنزال حتى عندما كانت الظروف ملائمة لذلك تماماً . ويرى فون ساندرس في مذكراته ان الخطة الصحيحة التي كان على اللنبي اتباعها فور خرق جبهة الجيش التركي في فلسطين هي القيام بأنزال

في بيروت ودفع القطعات الراكبة نحو مفرق الرياق عن طريق وادي الليطاني وهو اقصر الطرق المؤدية له .

وقد أمن التفوق البحري للبريطانيين اسناداً نارياً قوياً للمعارك التي دارت قرب الساحل وضمنها التعرض البريطاني الاخير ، وقامت البحرية بتذليل المشاكل الادارية بانزالها المؤن والمدخرات في الموانىء القريبة من القطعات الامامية كما جرى عند فتح ميناء حيفا .

١١ – التفوق الجوي

انتزع البريطانيون السيطرة الجوية من اعدائهم وكانت لهم السيادة الجوية الكاملة في الجبهة الفلسطينية في الاشهر الاخيرة من الحرب وقد أمن لهم هذا التفوق الجوي اسناداً تعرضياً مؤثراً في هجومهم الاخير بقصف منظومة مواصلات الاتراك ومواضعهم وقطعاتهم المنسحبة قصفاً شديداً حطم معنوياتهم. وقد منعت الطائرات البريطانية الطائرات المعادية من الحصول على المعلومات او التحليق فوق خطوطها وكانت الطائرات التركية تحت رحمة الطائرات البريطانية باستمرار .

١٢ – المواصلات الداخلية :

لا تتمكن القيادة من اداء عملها دون منظومة مواصلات داخلية كفوءة تنقل لها المعلومات وتصدر بواسطتها الاوامر . وقد استطاع البريطانيون في الساعات الاولى من تعرضهم الاخير شل منظومة المواصلات الداخلية التركية ، ويرى فون ساندرس ان ذلك كان سبباً رئيسياً للنكبة التي حلت بالاتراك حيث يدعي ان قصف البريطانيين للمقرات وقيام المتسللين العرب بقطع خطوط البرق التركية جعله في ظلام دامس وحرمه من الحصول على المعلومات او معالجة الموقف بشكل مؤثر عند انهيار جبهة الجيش الثامن التركي

١٣ – حسن استخدام الخيالة البريطانية :

امتاز الجنرال اللنبي بحسن استخدامه للخيالة وتفهمه الكامل لامكانياتها ،

ولا غرابة في ذلك فقد تدرج بالقيادة من آمر سرية الرعيل الى السراية فالكتيبة فلواء خيالة وفرقة خيالة وفيلق خيالة وقد استخدم اللنبي خيالته بحذق وحصل على احسن النتائج منها في مختلف المناطق والاحوال فقد استخدمها في الصحراء الرملية بمنطقة بئر السبع وفي جبال يهوذا الوعرة وفي غور الاردن والسهول المنبسطة في منطقة الساحل ومرج ابن عامر . وكان استخدامه للخيالة يمتاز بعدم تحديده لابداع الآمرين وتوجيههم وفق اهداف معينة لا يسمح لهم بالخروج عنها ثم يترك لهم حرية العمل للتوصل اليها . وفي التعرض الاخير اندفعت خيالة اللنبي فقطعت بمدة ٢٤ ساعة ما يقطعه المشاة بثلاث مراحل يومية . وكان اللنبي يؤكد دوماً على الخيالة وجوب الاندفاع واهمال المقاومات الطفيفة وترك معالجتها للمشاة المعقبين خلف الخيالة . ومن استخدام اللنبي للخيالة واستغلال السرعة وقوة الصدمة برزت الخطوط الاساسية التي بنيت عليها تعبئة القطعات المدرعة التي خلفت الخيالة في الحرب الحديثة .

١٦ – توقيت الاندفاع :

ان توقيت اندفاع القطعات السريعة الحركة وتخللها من المشاة القائمين باختراق دفاعات العدو وتحطيم مقاوماته عملية صعبة جداً وتتطلب كفاءة عالية من هيئات الركن والآمرين المسؤولين فيجب حشد القطعات المكلفة بالاندفاع على مقربة من الجبهة وأن تندفع الى الامام في الوقت المناسب تماماً. فاذا اندفعت قبل الاوان تورطت بمعركة المشاة وفقدت حريتها على العمل كقطعات اندفاع . واذا اندفعت بعد فوات الاوان فاتتها فرصة تدمير قطعات العدو ، وهو الواجب الاصلي المعهود لها كقطعات اندفاع . ومن الواضح ان هذا التوقيت كان دقيقاً ويكاد ان يكون مثالياً في التعرض الاخير ، بينما شرع به قبل الاوان في معركة (غزة – بئر السبع) وانتهى بالفشل .

١٥ – تأثير الثورة العربية :

يبدو تأثير الثورة العربية وخطورة الدور الذي لعبه الجيش العربي

واضحاً في دراسة هذه الصفحة من الحركات . فقد كان اللنبي ينوي الاستفادة من الجيش العربي استفادة قصوى ولذا أمر ببذل الجهود لتدريب الجنود العرب النظاميين على الاسلحة البريطانيـــة الحديثة وجهزهم بالاسلحة ووسائط النقل بسخاء وعلى الأخص بجمال الركوب وذلك ليستطيعوا انجاز ما طلب اليهم انجازه . وقد تم التدريب واعادة التنظيم بسرعة لا سيما وان معظم أفراد الجيش العربي النظامي كانوا من المدربين في الجيش العثماني وبينهم ضباط مشهود لهم بالكفاءة وقد جيء بمعظمهم من معسكرات اسرى الحرب الـتي وضعهم فيها البريطانيون بعد اسرهم في معارك العراق وفلسطين ، وقد اطلق سراحهم بعد اعلانهم رغبتهم في الالتحاق بالجيش العربي ، وكان البعض الآخر من الهاربين من الجيش العثماني . والدرس البارز من هذه العمليـة هو استفادة البريطانيين من الخـــلاف بين العرب والاتراك الناتج عن سوء ادارة الاتراك وتنامي الروح القومية بين العرب . وقد استفاد البريطانيون من هذا الخلاف واستغلوه لتحقيق اغراضهم عن أقصر طريق وبأبخس ثمن ودون ان يكون في نيتهم تحسين احوال العرب او تحقيق أمانيهم القومية . ولتحقيق اغراض اللنبي تم تأليف الجحفل العربي السيار وتوجيهه نحو درعــا العقدة الحيوية في نظام مواصلات الاتراك على الوجه الذي سبق شرحه . وكانت القوات العربية بتهديدها المستمر لجناح الاتراك ومؤخرتهم ، عاملا رئيسياً في انهيار المقاومة التركية وتسهيل الاندفـــاع البريطاني السريـع ، ومن المؤكد ان البريطانيين مدينون في شل الجيش الرابع التركي واشغال حوالي ٢٠٫٠٠٠ جندي تركي الى القوات العربية ، وانه لولا العرب لما استطاع البريطانيون احتلال حلب قبل الهدنة فقد أبلوا خير بلاء في القتال باسم الجيش العربي وتحت الرايـة العربية التي رفعت للمرة الاولى منذ قرون وكمثال لتفاني هؤلاء الابطال من ابناء العروبة نورد انه في الهجوم على محطة الجردونه الذي قامت بـه الفرقة الثانية العربية في حزيران ١٩١٨ استشهد اثنان من آمري الالوية (المرحومان السيد طاهر السيد يوسف ، ورشيد علي) وجرح آمر اللواء الثالث (تحسين

علي) وبلغت نسبة الخسائر بالضباط ٦٠٪ وكان هناك عامل خطير آخر وهو شعور أهل المنطقة العربية فقد كانوا جميعاً قلباً وقالباً مع الثورة العربية التي رأوا فيها الأمل المرتجى وقد رفضوا التعاون مع الاتراك وانتهزوا كل فرصة للايقاع بهم والتعاون مع القوات العربية التي تستقبل بمظاهرات حماسية اينما حلت باعتبارها طلائع الجيش العربي للدولة العربية الكبرى وفي استغلال هذه القوى الهائلة تبدو كفاءة اللنبي كقائد ، فقد أحسن تقدير واستغلال كفاءة الجيش العربي بقسميه النظامي وغير النظامي وكان حاذقاً في تقديره للواجبات الملائمة له ضمن اطار خطته العسكرية العامة .

١٦ ـ المرض :

كانت فلسطين في فترة الحرب العالمية الاولى تعتبر منطقة موبوءة بالملاريا ولا سيما في منطقة الغور ومستنقعات السهل الساحلي . وقد اتخذ اللنبي بواسطة خدماته الطبية الكفوءة اجراءات حازمة وناجعة لمكافحة الملاريا ومنع تفشيها في قطعاته . وقد أدرك كما أشار عليه مشاوروه من الاطباء ان المناطق التي يسيطر عليها الاتراك موبوءة بالملاريا لعدم وجود تدابير مكافحة فيها بالمرة ، وان ذلك سيؤدي حتما لتفشي المرض بين قطعاته في خلال اسبوعين . وقد أدى ذلك الى بناء خطته على اساس انهاء العمليات في خلال فترة لا تتجاوز الاسبوعين وقد تم له فعلا تحقيق أهدافه في خلال الفترة بين ١٩ أيلول و ١ تشرين الاول . وأدى تفشي مرض الملاريا كما تنبأ الاطباء فعلا ، الى شل كثير من وحداته وقد هبط موجود بعضها الى أقل من النصف. والملاحظ ان بناء الخطة يجب ان ينطوي على اخذ جميع العوامل المختلفة بنظر الاعتبار.

١٧ ـ التخريب ونشاط العملاء

كانت الاستخبارات البريطانية أنشط بكثير من الاستخبارات الالمانية والتركية وقد استغلت شعور الاقليات الناقمة على الامبراطورية العثمانية أحسن استغلال . ويروي ليمان فون ساندرس بمذكراته ان الحريق

العظيم الذي دبره العملاء البريطانيون في محطة قطار حيدر باشا في استانبول بتاريخ ٦ ايلول ١٩١٧ حرم الجيش التركي من مدخرات كان في أمس الحاجة اليها وقد كان لهذا العمل التخريبي أثر كبير في انهيار المقاومة التركية وكان السبب الرئيسي في اعاقة حركة وتحشد فيلق آسية الالماني في فلسطين عن موعده المقرر . وقد رفعت السكة من أنفاق جبل طوروس قبيل التعرض البريطاني الاخير بحجة تعريضها ، ويبدو ان هذا الاجراء الذي قطع خط المواصلات التركي بأحرج الاوقات لم يكن عفوياً . وقد نشط عملاء البريطانيين بتخريب المعدات التي كانت تنقل على خطوط المواصلات التركية ولا سيما الطائرات الالمانية وادواتها الاحتياطية . وقد لعبت مفارز التخريب العربية التي كان يقودها ويشرف على توجيهها الجاسوس البريطاني لورنس دوراً كبيراً في اضعاف المقاومة التركية .

١٨ – الضبط والتدريب :

ان الضبط الراقي المستند على مستوى رفيع من التدريب هو الطابع المميز للقطعة العسكرية الممتازة وسبيلها الى النجاة عندما يحيق بها الخطر . والمثل البارز على ذلك في هذه الصفحة من الحركات هو فيلق آسية الالماني وقائده العقيد فون اوبن ، فقد كان هذا الجحفل الذي لا يتجاوز بقوته جحفل لواء يحتل قاطعه في جبهة الجيش الثامن التركي عندما بدأ البريطانيون بتعرضهم الكبير ، فقاتل هذا الجحفل الالماني بضراوة وتماسك ، بالوقت الذي انهارت به المقاومة التركية ، وأخذ البريطانيون يأسرون الاتراك بالمئات . ولم يفقد الجحفل الالماني ضبطه او ثقته بقائده فون اوبن وكان دوماً يتحلى بمعنويات عالية فكان هذا الجحفل الالماني في بحر الفوضى التي كانت تسود الخطوط التركية يسير وكأنه علم خفاق يضم تحته كل ما تنطوي عليه الجندية من شهامة وفضيلة ، وشق طريقه بالقتال والدم الى ان وصل الى شمال سورية حيث دفن في طرسوس قائده البطل الذي قتلته الكوليرا بعد ن تحدى الموت في ساحة المعركة مرات ومرات . وانسحب فيلق آسية

مع باقي الألمان عائداً الى وطنه بعد ان عقدت الامبراطورية العثمانية الهدنة مع الحلفاء . لقد بذل الالمان جهوداً كبيرة في اختيار جنود فرقة آسيـــة وتدريبهم تدريباً راقياً واعدادهم لانجاز ما سيعهد اليهم ، وقد اثبت الاختبار القاسي الذي اجتازه هذا الجحفل ان هذه الجهـود لم تذهب سدى وسيبقى ما قامت به هذه القطعة العسكرية في هذه الصفحة من حرب فلسطين موضع احترام تلامذة تأريخ الحرب على مر الزمن .

★

جدول الخرائط

ملحق

ملخص الوقائع اليومية

في حرب فلسطين ١٩١٤ ــ ١٩١٨

١٩١٤

٥ تشرين الثاني اعلان الحرب بين الامبراطورية العثمانية وبريطانية .

١٥ تحشد ٥٬٠٠٠ جنـــدي تركي و ٣٬٠٠٠ من متطوعي القبائل العربية في العريش .

٢٠ الاتراك يحتلون بئر النوس في شبه جزيرة سيناء (في منتصف الطريق بين بئر العبد والقنطرة) .

١٩١٥

١٥ كانون الثاني تحشد ٧٠٠ جندي تركي في بئر العبد في سيناء .

٢٤ وصول ٢٠٠ جندي تركي الى الدويدار .

٢٥ الاتراك يهاجمون تل الراقم (٧٠) الذي يبعد ثمانية اميال عن قناة السويس ويستولون عليه .

٢٧ هجوم الاتراك على (الكوبري) .

٢٨ وصول القطعات التركية الى بئر جابيته .

٢ شباط الهجوم التركي على قنـــاة السويس بالفرقتين التركيتين ١٠ و ٢٥ .

٣ شباط استمرار الهجوم التركي وتوقف سير السفن في القناة .

٤ « فشل الهجوم التركي وانسحاب القوات التركيـــة من جوار قناة السويس

٥ « استئناف سير السفن في قناة السويس .

٦ تشرين الثاني السنوسيون حلفاء الاتراك يقصفون السلوم ويستولون عليها.

٢٥ كانون الاول معركـــة بين السنوسيين والبريطانيين قرب مرسى مطروح وتراجع السنوسيين .

١٩١٦

٢٣ كانون الثاني معركة (هزالين) بين السنوسيين والبريطانيـين وانسحاب السنوسيين .

٢٦ شباط معركة (العجاجية) بين السنوسيين والبريطانيين واندحار السنوسيين وأسر قائدهم جعفر باشا العسكري

٢٧ البريطانيون يسترجعون سيدي براني من السنوسيين .

١٤ اذار البريطانيون يسترجعون السلوم من السنوسيين .

١٩ تشكيل الحملة المصرية واناطة قيادتها بالجنرال آرشيبالدموراي وفتح مقره بالاسماعيلية .

١٣ نيسان غارة الخيالة البريطانية على نقطة الماء التركية في الجفجافـة وتدميرها .

٢٣ غارة الاتراك بقيادة كريس فون كريسنتاين بقوة مؤلفة من ٣،٥٠٠ جندي و ٦ مدافع على مواضع سريتين من الخيـالة البريطانية في اغرنتينة واستيلاؤهم عليها بعد تكبيد المدافعين خسائر فادحة .

٢٤ نيسان قوة فون كريس تحتل بئر القاطية .

٢٥ انسحاب فون كريس الى بئر العبد وعودة البريطانيين الى القاطية والروماني .

٦ ايار جمال باشا السفاح قائد الجيش الرابع التركي يعدم احرار العرب .

٥ حزيران الشريف الحسين بن علي شريف مكة يعلن الثورة العربية (٩ شعبان ١٣٣٤) .

١٩ تموز تحشد قوة فون كريس في اغرنتينة .

٤ آب معركة الروماني .

٥ انسحاب الاتراك بعد فشلهم في الروماني .

٢١ كانون الاول البريطانيون يحتلون العريش .

٢٣ انتصار البريطانيين في معركة (المغضبة) انسحاب الاتراك بعد خسائر فادحة .

١٩١٧

٤ كانون الثاني وصول السكة الحديد البريطانية الى العريش .

٩ البريطانيون يحتلون رفح (معركة المقرونتين) . انسحاب الاتراك بعد تكبدهم خسائر فادحة ضمنها ١٦٠٠ اسير و ٤ مدافع .

٢٢ الجيش العربي بقيادة الامير فيصل بن الحسين يستولي على (الوجه) .

٥ شباط اندحار السنوسيين وانسحابهم من واحة سيوة .

٢٦ اذار معركة غزة الاولى . الهجوم البريطاني .

٢٧ آذار	الهجوم المقابل التركي .
٢٨	انتهاء معركة غزة الاولى بفشل البريطانيين وانسحابهم.
٥ نيسان	وصول السكة الحديد البريطانية الى دير البلح .
١٧	معركة غزة الثانية . شروع البريطانيين بالهجوم .
١٩	انتهاء معركة غزة الثانية . فشل البريطانيين وانسحابهم .
٢٨ حزيران	اللنبي يستلم قيادة الحملة المصرية .
٦ تموز	القوات العربية تحتل العقبة .
٢٢ تشرين الاول	اللنبي يصدر اوامره المتعلقة بمعركة غزة الثالثة .
٢٦	البريطانيون يشرعون بقصف غزة.
٣١	القوات البريطانية تهاجم بئر السبع وتستولي عليها .
١ تشرين الثاني	فتح مقر الجيش السابع التركي واستلام فوزي باشا لقيادة الجناح الايسر .
٢	الحكومة البريطانية تصدر وعد بلفور .
٥	شروع الاتراك بالانسحاب من غزة .
٦	المارشال فالكنهاين يستلم القيادة العامة للقوات التركية بجبهة فلسطين . البريطانيون يشرعون بمهاجمة الجناح التركي في (هريرة — الشريعة) .
٧	انتهاء معركة غزة الثالثة بانتصار البريطانيين واستيلائهم على غزة .
٨	البريطانيون يصلون دير سنيد .
١٤	البريطانيون يستولون على محطة وادي الصّرار (محطة الملتقى) .
١٥	البريطانيون يستولون على يافا واللد والرملة .

٢١	البريطانيون يستولون على تل النبي صموئيل .
٢٥ تشرين الثاني	توقف الهجوم البريطاني الاول على القدس .
٢٧	الهجوم المقابل التركي .
٧ كانون الاول	اعفاء الجنرال كريس فون كريسنتاين من قيادة الجيش الثامن التركي وتعيين جواد باشا خلفاً له .
٨	الهجوم البريطاني الثاني على القدس .
٩	الاتراك يخلون القدس .
١١	دخول اللنبي الى القدس .
٢٠ – ٢١	القطعات البريطانية تعبر نهر العوجة .
٢٦ – ٢٧	الهجوم المقابل التركي لاسترجاع القدس .

١٩١٨

٢١ شباط	البريطانيون يحتلون اريحا .
٢٦	اعفاء المارشال فالكنهاين من منصبه وتعيين الجنرال ليمان فون ساندرس خلفاً له .
٢٣ آذار	البريطانيون يعبرون نهر الاردن .
٢٤	البريطانيون يحتلون شونة نمرين .
٢٥	البريطانيون يحتلون السلط .
٢٧	البريطانيون يخربون سكة حديد الحجاز .
٢٨	الهجوم البريطاني على عمان .
٢٩	فشل الهجوم البريطاني على عمان واستئناف المحاولة .
٣٠	فشل الهجوم البريطاني على عمان والانسحاب ليلاً .
٣١	استمرار الانسحاب .
٢ نيسان	انسحاب البريطانيين عبر الاردن واحتفاظهم برأس جسر الغورانية .

٣٠ نيسان	هجوم البريطانيين على المواضع التركية في شونة نمرين وفشلهم في الاستيلاء عليها . الخيالة البريطانية تستولى على السلط .
١ ايار	الهجوم المقابـل التركي على القطعات البريطانية في شرقي الاردن .
٤	انسحاب البريطانيين الى غربي الاردن .
٩ أيلول	اللنبي يصدر اوامره حول التعرض الكبير المنوي القيام به.
١٤	تحشد الجحفل العربي السيار في المتاعية
١٦	القوات العربية تدمر السكة الحديد قرب درعا . غارات القوة الجوية البريطانية على درعا .
١٨	هجوم الفيلق ٢٠ البريطاني في جبهة نابلس .
١٩	الشروع بالهجوم البريطاني الكبير في السهل الساحلي . تقدم الفيلق ٢١ واحتلال الطيرة وطولكرم . فرقتا الخيالة الرابعة والخامسة تتخللان من المشاة للاندفاع الى داخل الخطوط التركية .
٢٠	الخيالة البريطانية تحتل العفولة والسامرة وجنين وبيسان وجسر المجامـع . الغـارة البريطانية على النـاصرة والانسحاب منها .
٢١	الاستيلاء على نابلس . انهيار المقاومات التركية .
٢٢	قوة تشيتر البريطانية تستولي على جسر دامية . الجيش الرابع التركي يتلقى امر الانسحاب .
٢٣	تطهير الضفة الغربية من الاردن من الاتراك . الجيش العربي يستولي على معان . الخيالة البريطانيـة تستولي على حيفا والناصرة وعكا .

٢٥ أيلول	البريطانيون يدخلون طبرية وعمان .
٢٧	الجيش العربي يستولي على درعا
٢٨	وصول الخيالة البريطانية الى درعا والقنيطرة في تقدمها نحو دمشق من اتجاهين .
٢٩	اشتباك الجيش العربي والخيالة البريطانية بالمؤخرات التركية في (صعصع والكسوة وكوكب) . وانسحاب الاتراك .
٣٠	الجيش العربي يدخل دمشق .
١ تشرين الاول	القطعات البريطانية تدخل دمشق .
٣	تقدم البريطانيين من حيفا نحو بيروت .
٨	وصول الاسطول الفرنسي والقطعات البريطانية الى بيروت .
١١	وصول القطعات البريطانية الى بعلبك .
٢٠	الشروع بمفاوضات الهدنة مع تركية . التقدم نحو حلب .
٢٥	الجيش العربي يدخل حلب .
٢٦	دخول الخيالة البريطانية الى حلب. اشتباك المقدمة البريطانية مع المواضع التركية في المسلمية .
٣١	عقد الهدنة بين الامبراطورية العثمانية والحلفاء .

مراجع الكتاب

الكتب العربية :

١ – تاريخ الشرق الادنى الحديث . وضع فرحان شبيلات والرئيس الاول الركن (اللواء الركن) عبدالمطلب السيد محمد امين . (طبع بمطبعة المعارف ببغداد ١٩٤٠) .

٢ – كيف غزونا مصر – مذكرات الجنرال التركي علي فؤاد . نقله الى العربية الدكتور نجيب الارمنازي – منشورات دار الكتاب الجديد (بيروت ١٩٦٢) .

٣ – محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ – ١٩١٨ القاها الفريق الركن نوري السعيد (طبع مطبعة الجيش ١٩٤٧) .

٤ – مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية بقلم تحسين العسكري . (مطبعة العهد بغداد ١٩٣٦) .

٥ – البلاد العربية والدولة العثمانية تأليف ساطع الحصري (دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٠) .

٦ – حرب العراق ١٩١٤ – ١٩١٨ دراسة علمية – تأليف الزعيم الركن شكري محمود نديم .

٧ – مذكرات جمال باشا (السفاح) – تعريب علي احمد شكري منشورات دار العصري (بغداد ١٩٦٣) .

الكتب التركية :

١ – ييلديرم – الزعيم الركن حسين حسني أمير .

٢ – حرب عموميده عثمانلي جبهة لري وقائعي – المرحوم المقـــدم الركن محمد امين بك .

٣ – بويوك حربده تورك حربي – للمقدم الركن الفرنسي لارشه ر. مع ذيول وحواشي للعقيد الركن محمد نهاد بك .

الكتب الانكليزية :

١ – تاريخ الحرب الرسمي البريطاني. جمع باشراف لجنة الدفاع الامبراطوري من قبل الرئيس سيريل فولز .

History of The Great war Military operations Egypt & Palestine .

٢ – prelude to Israel - By Alan R. Taylor .

٣ – Allenby , Soldier & Statesman By Field Marshal Viscount Wavell.

٤ – Outlines of the Palestine Campaign 1914 - 1918 By General Bowman - Manifold.

ترجمه الى العربية المقدم (العميد) الركن نورالدين محمود باسم (مختصر حرب فلسطين) طبع بغداد ١٩٣٥ .

٥ – The Palestine Campaign, By General Wavell

ترجمه الى العربية باشراف (مدرسة الاركان للجيش العراقي)باسم (حرب فلسطين) طبع بمطبعة الشعب ببغداد ١٩٣١ .

٦ – Seven Pillars of Wisdom. By T. E. Lawrence.

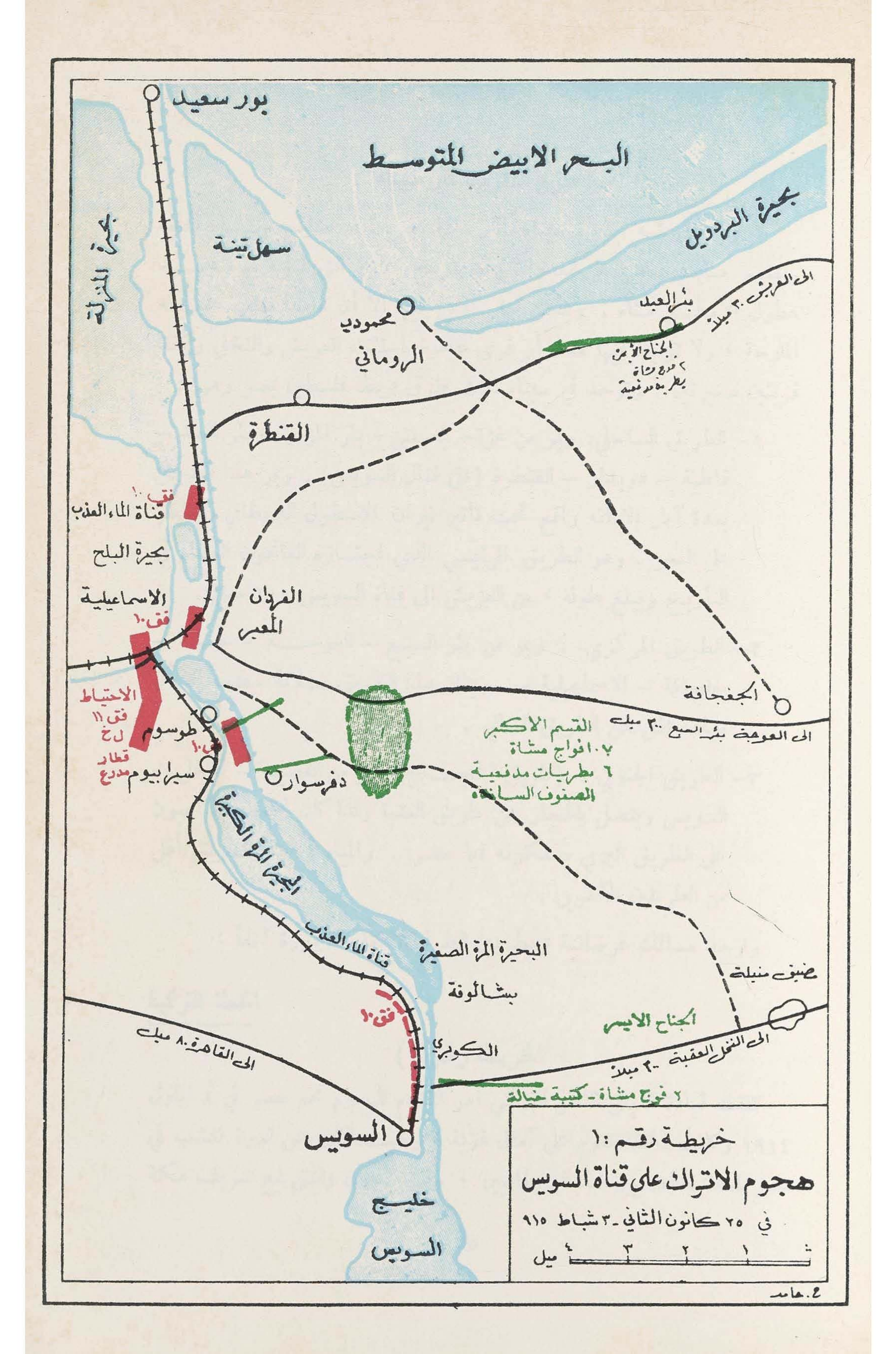
مترجم الى العربية في القاهرة وبيروت بعنوان (اعمدة الحكمة السبعة) .

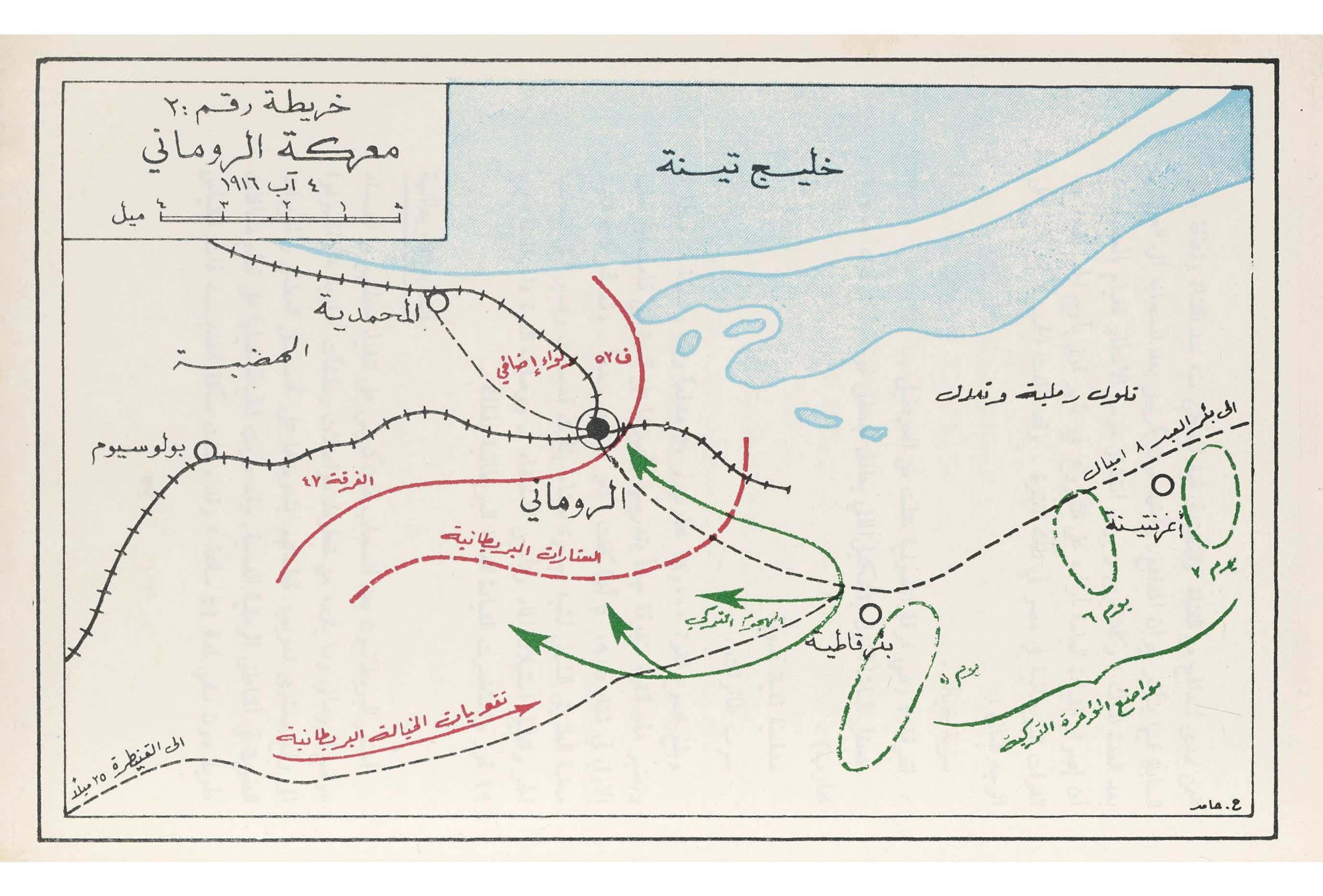
٧ – A study of the Strategy & Tactics of the palestine Campaign

ترجمه الى العربية المقدم (الزعيم) فرام هندو باسم (مجمـــل سوق الجيش والتعبئة في حرب فلسطين) . طبع ببغداد ١٩٤٠ .

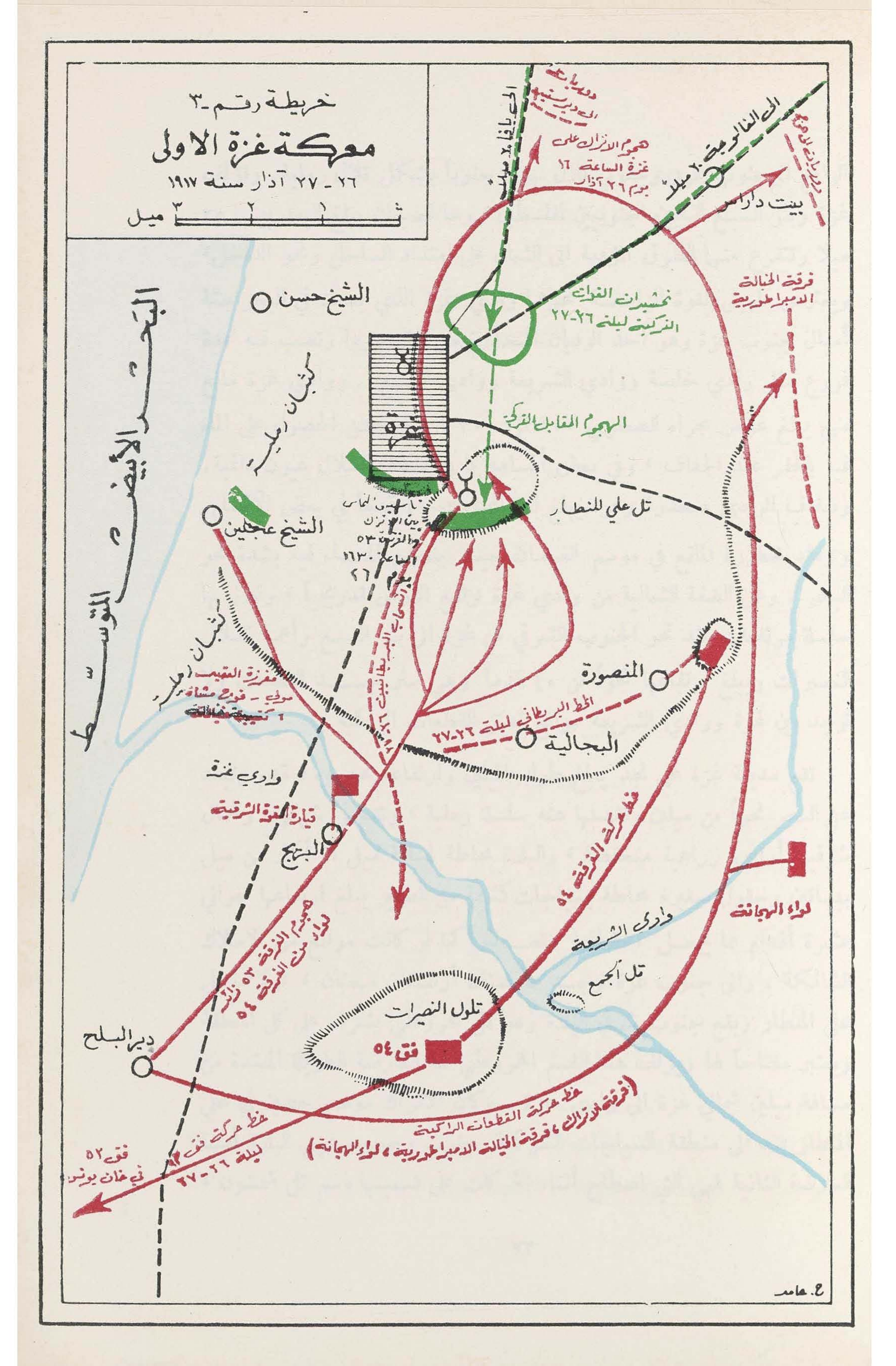
محتويات الكتاب

الصفحة

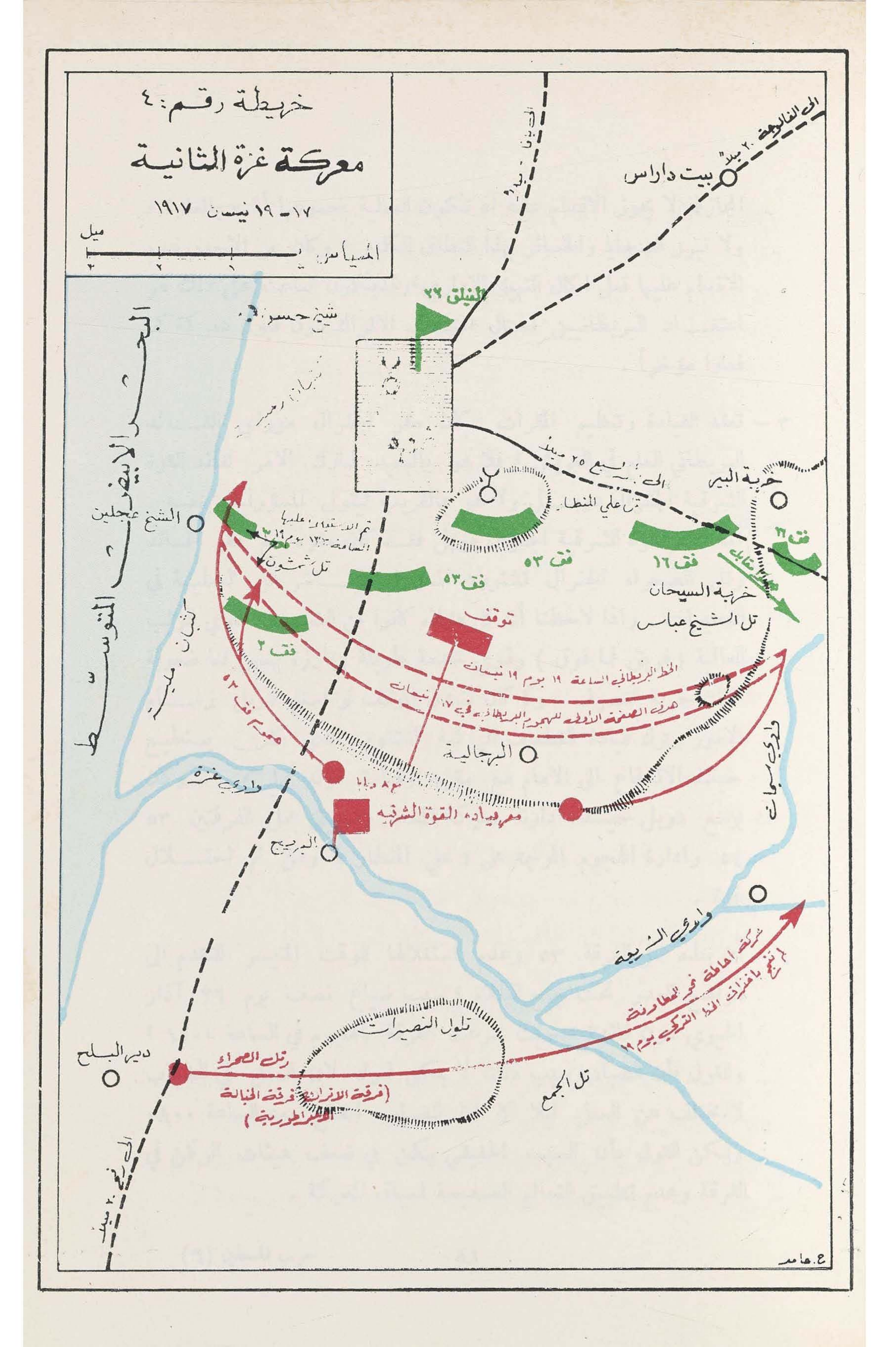

بور سعيد
البحر الابيض المتوسط
بحيرة البردويل
بحيرة المنزلة
سهل تينة
الى العريش ٣٠ ميلا
بئر العبد
محمودية
الروماني
الجناح الأيمن
٢ فوج مشاة
بطرية مدفعية
القنطرة
فق ١٠
قناة الماء العذب
بحيرة البلح
الاسماعيلية
فق ١٠
الفردان
المعبر
الاحتياط
فق ١١
ل خ
طوسوم
فق ١٠
قطار مدرع
سيرابيوم
دفرسوار
الجفجافة
الى العوجة بئر السبع ٢٠٠ ميل
القسم الاكبر
٧٫٠ افواج مشاة
٦ بطريات مدفعية
الصنوف الساندة
البحيرة المرة الكبيرة
قناة الماء العذب
البحيرة المرة الصغيرة
بشالوفة
مضيق منيلة
الجناح الايسر
الى النخل العقبة ٢٠٠ ميلا
الكوبري
فق ١٠
الى القاهرة ٨٠ ميل
٢ فوج مشاة - كتيبة خيالة
السويس
خليج السويس
خريطة رقم ١
هجوم الاتراك على قناة السويس
في ٢٥ كانون الثاني - ٣ شباط ٩١٥
٠ ١ ٢ ٣ ٤ ميل
ح. حامد



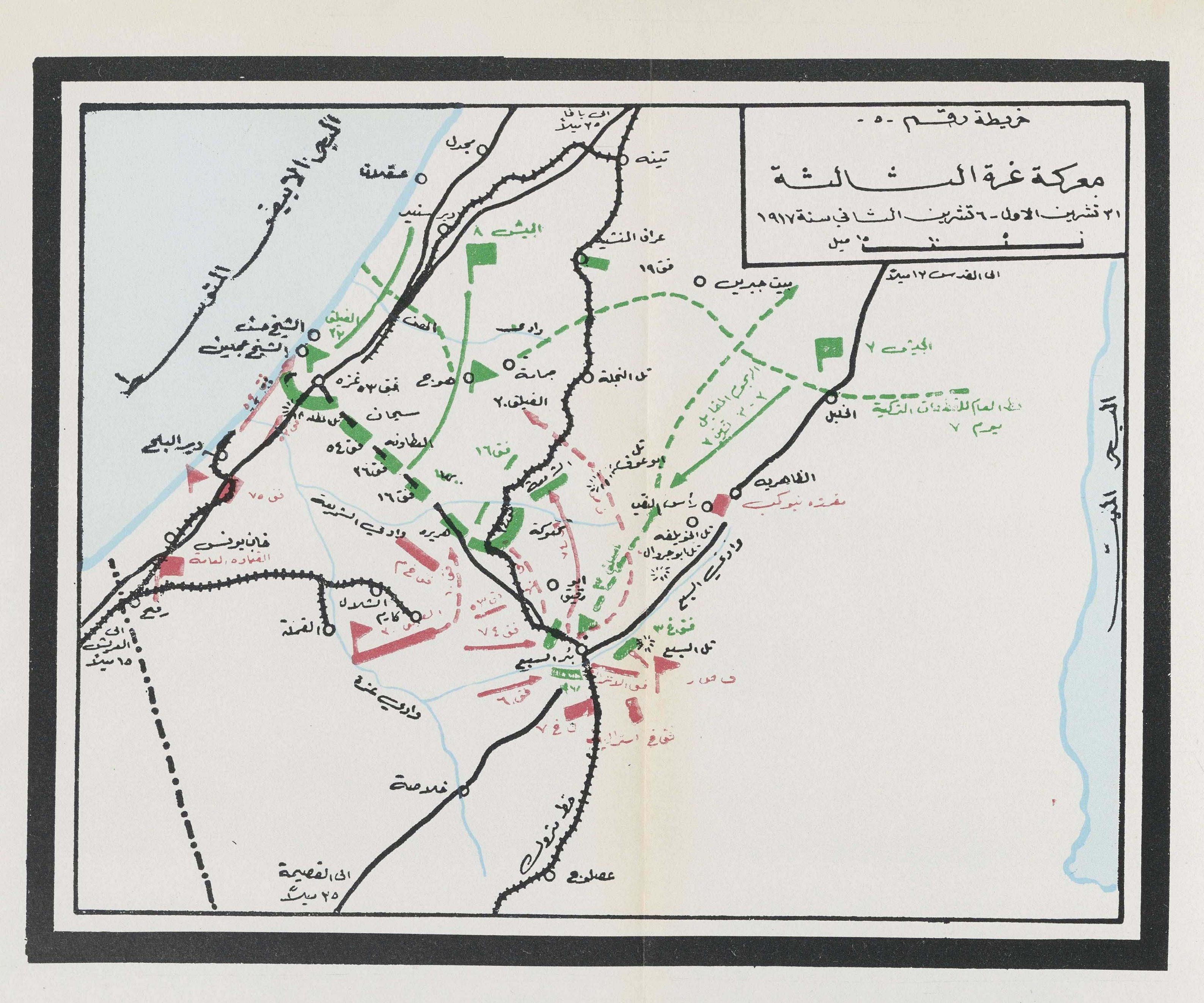
خريطة رقم ٢:
معركة الروماني
٤ آب ١٩١٦
ميل
خليج تينة
المحمدية
الهضبة
ف ٥٢ لواء إضافي
بولوسيوم
الفرقة ٤٢
الروماني
المتارات البريطانية
تلول رملية وتلال
الى بئر العبد ٨ اميال
أغزنتينة
يوم ٦
يوم ٧
بئر قاطية
الهجوم التركي
يوم ٥
مواضع المؤخرة التركية
تقويات الخيالة البريطانية
الى القنيطرة ٢٥ ميلا
ع. حامد



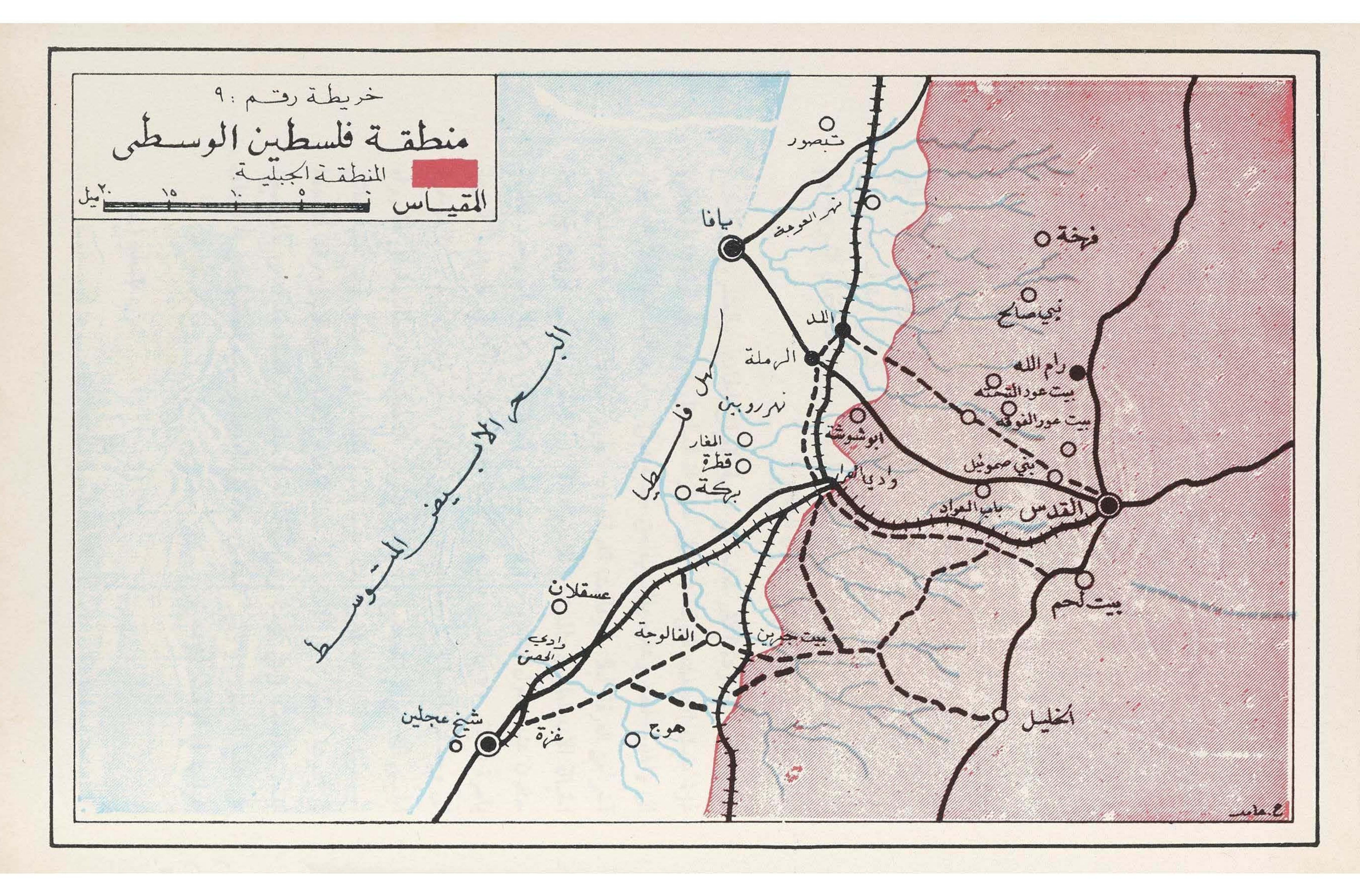
خريطة رقم ـ٣
معركة غزة الاولى
٢٦ ـ ٢٧ آذار سنة ١٩١٧
١ ٢ ٣
ميل
البحر الأبيض المتوسط
الى يافا ٤٠ ميلاً
الى العالوجة ٢٠ ميلاً
بيت دراس
هجوم الانزاك على
غزة الساعة ١٦
يوم ٢٦ آذار
تحشيدات القوات
التركية ليلة ٢٦-٢٧
فرقة الخيالة
الامبراطورية
الهجوم المقابل التركي
الشيخ حسن
كثبان رملية
غزة
تل علي للنطار
الشيخ عجلين
المنصورة
الخط البريطاني ليلة ٢٦-٢٧
البجالية
وادي غزة
قيادة القوة الشرقية
البريج
وادي الشريعة
تل الجمع
لواء الهجانة
تلول النصيرات
فق ٥٤
دير البلح
فق ٥٢
في خان يونس
خط حركة فق ٥٣
ليلة ٢٦-٢٧
خط حركة القطعات الراكبة
(فرقة الانزاك ، فرقة الخيالة الامبراطورية ، لواء الهجانة)
ع. عامد



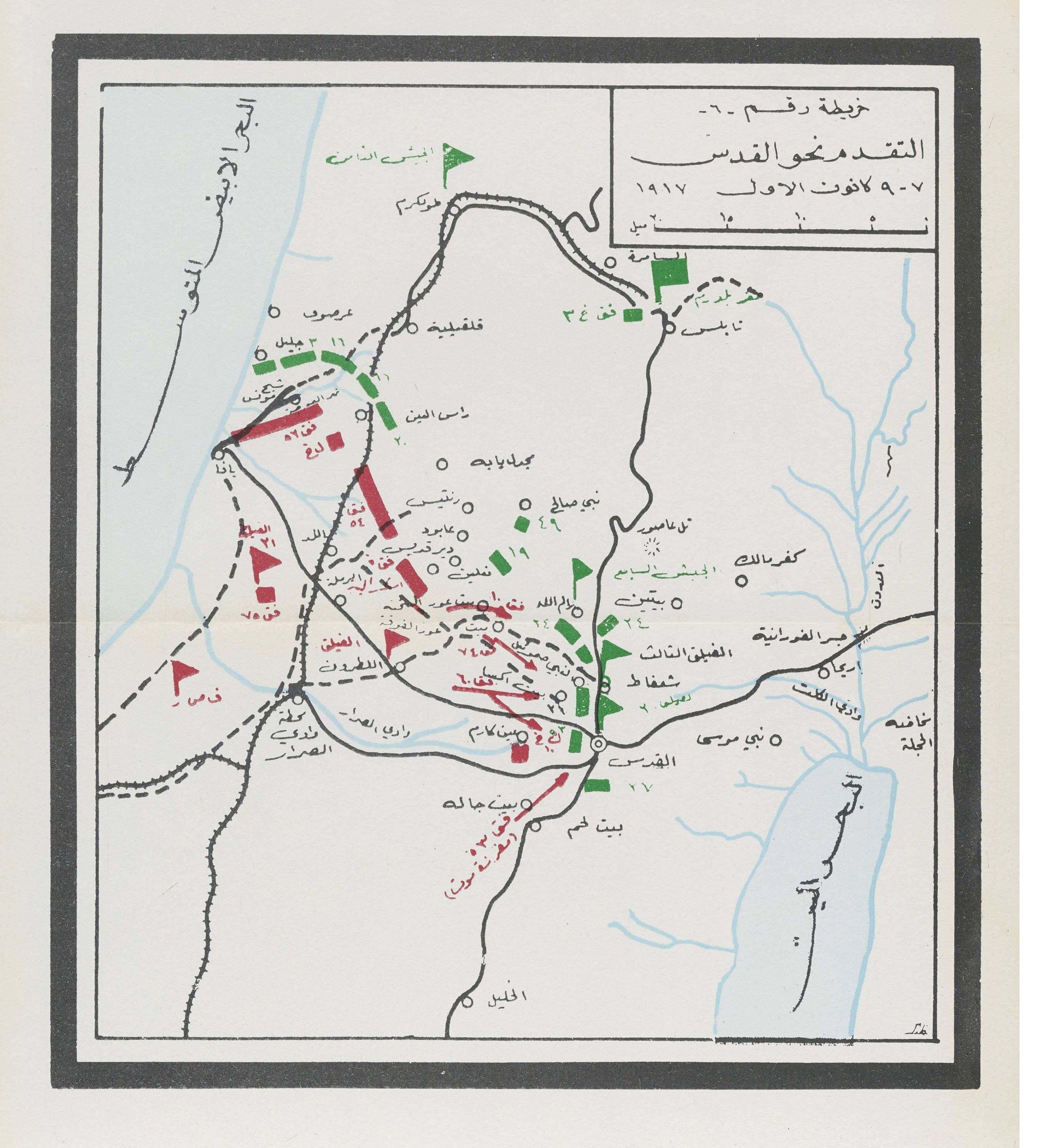
خريطة رقم: ٤
معركة غزة الثانية
١٧ - ١٩ نيسان ١٩١٧
ميل
البحر الأبيض المتوسط
بيت داراس
الفالوجة ٢٠ ميلا
النيلق ٢٢
شيخ حسن
إلى بئر السبع ٢٥ ميلا
خربة البير
تل علي المنطار
الشيخ عجلين
تل الشمشون
فق ٥٣
فق ١٦
فق ٥٣
فق ٣
خربة السيحان
تل الشيخ عباس
توقف
الخط البريطاني الساعة ١٩ يوم ١٩ نيسان
هدف الصفحة الأولى للهجوم البريطاني في ١٧ نيسان
هجمة فق ٥٢
البرجالية
وادي غزة
مقر قيادة القوة الشرقية
البريج
وادي الشريعة
تلول النصيرات
دير البلح
تل الجمع
رتل الصحراء
(فرقة الأنزاك فرقة الخيالة الامبراطورية)
ع. حامد



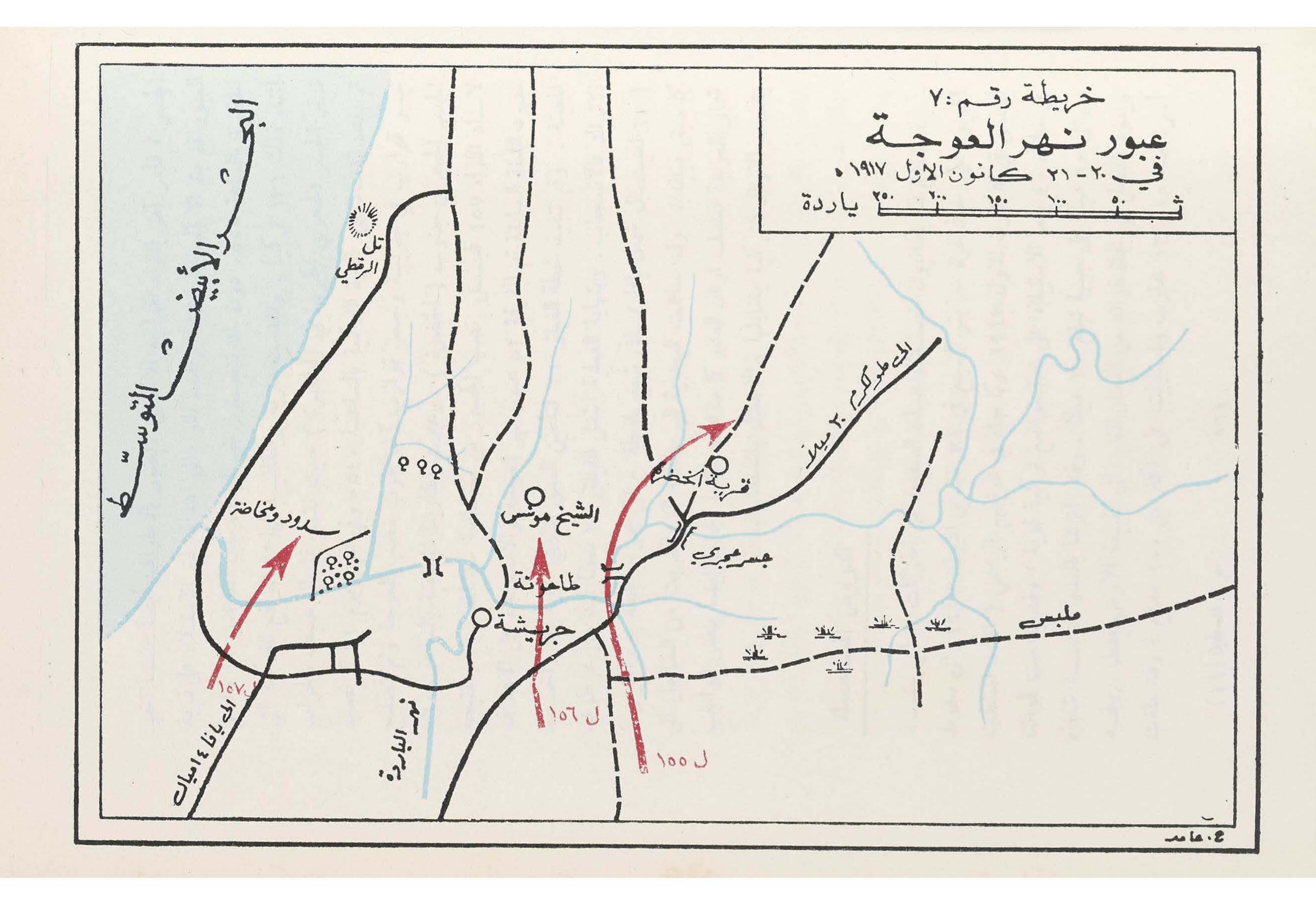
خريطة رقم -٥-
معركة غزة الثالثة
٣١ تشرين الاول - ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٧
ميل
الى القدس ١٢ ميلا
البحر الابيض المتوسط
عسقلان
المجدل
تينه
عراق المنشية
بيت جبرين
الشيخ حسن
غزه
دير البلح
خان يونس
رفح
القمة
خلصة
عصلوج
بئر السبع
تل السبع
الخليل
الظاهرية
الجيش ٨
الجيش ٧
البحر الميت



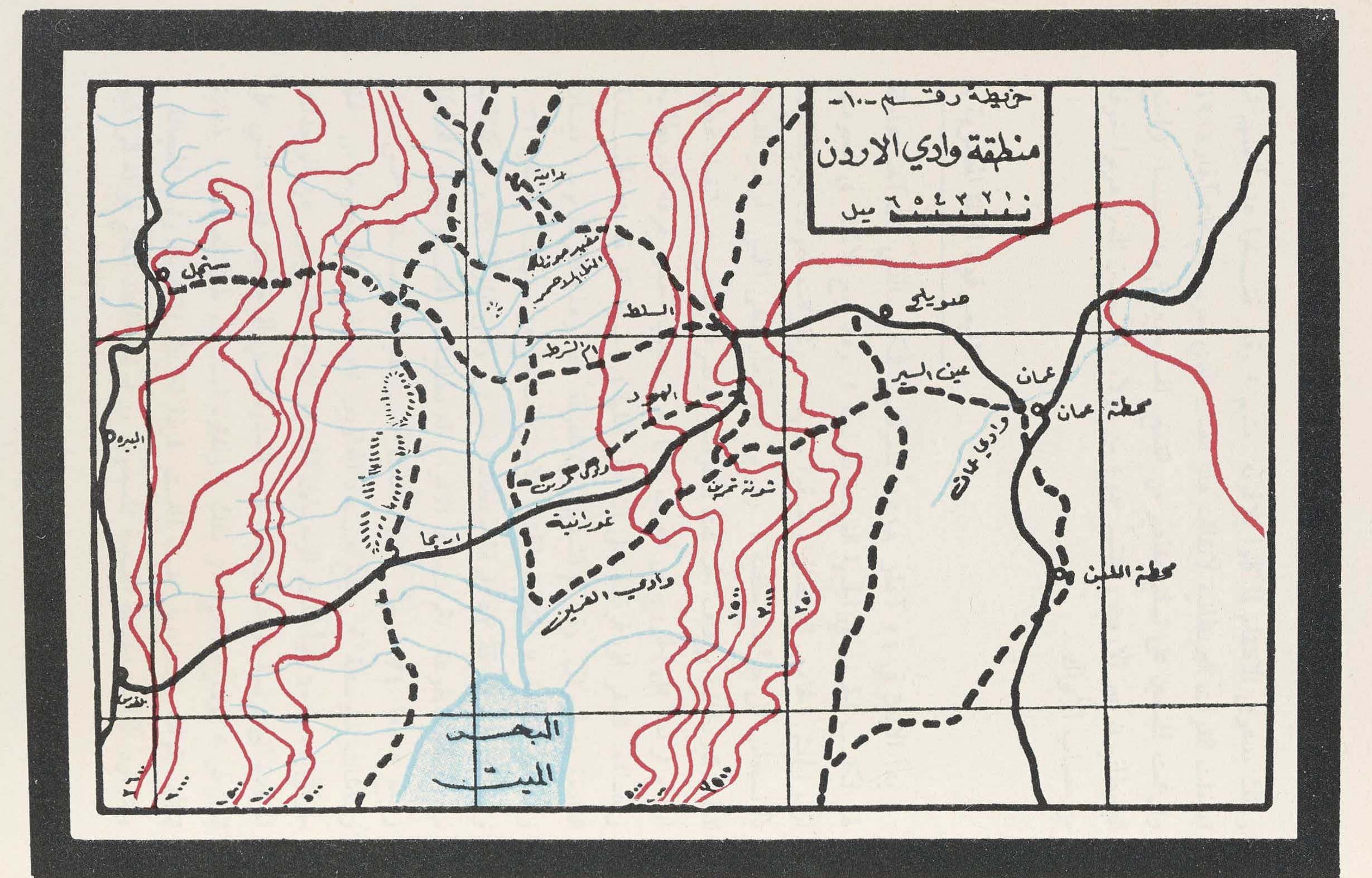
خريطة رقم ٩:
منطقة فلسطين الوسطى
المنطقة الجبلية
المقياس
٢٠ ميل
يافا
تبصور
نهر العوجة
اللد
الرملة
نهر روبين
المغار
قطرة
بركة
سهل فلسطين
البحر الابيض المتوسط
عسقلان
وادي الحصى
الفالوجة
بيت جبرين
غزة
شيخ عجلين
هوج
الخليل
بيت لحم
القدس
باب الواد
وادي الصرار
ابو شوشة
بني صموئيل
بيت عور الفوقا
بيت عور التحتا
رام الله
نبي صالح
فخة



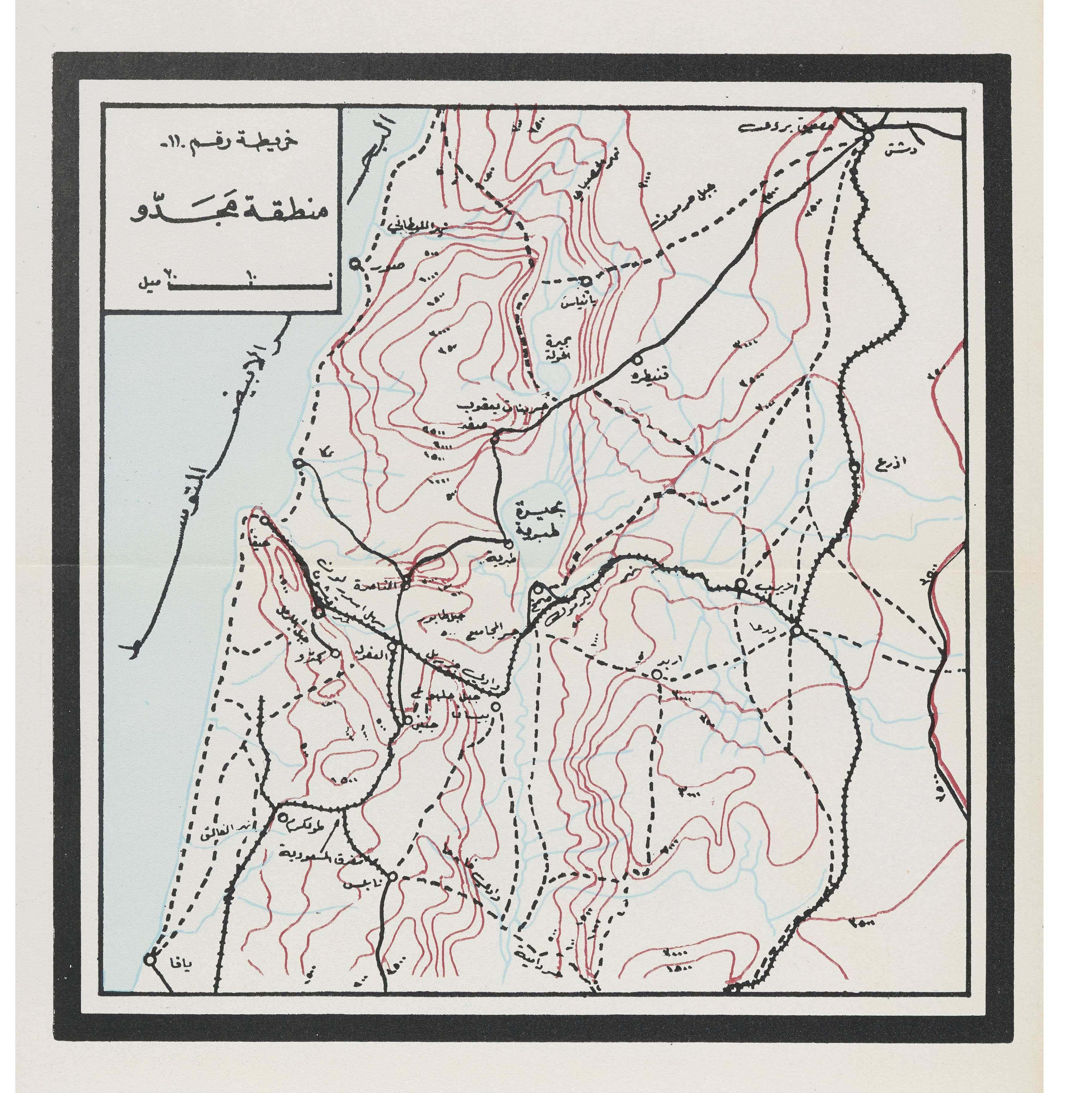
خريطة رقم -٦-
التقدم نحو القدس
٧-٩ كانون الاول ١٩١٧
ميل
الجيش الثامن
طولكرم
الطيرة
فق ٣٤
نابلس
عرصوف
قلقيلية
جلجولية
رأس العين
البحر الابيض المتوسط
يافا
مجدل يابا
رنتيس
نبي صالح
عابود
دير قديس
نعلين
تل عاصور
كفر مالك
الجيش السابع
بيتين
رام الله
الفيلق الثالث
شعفاط
جسر الغورانية
اريحا
وادي القلت
نبي موسى
القدس
بيت جالا
بيت لحم
الخليل
اللد
اللطرون
وادي الصرار
البحر الميت

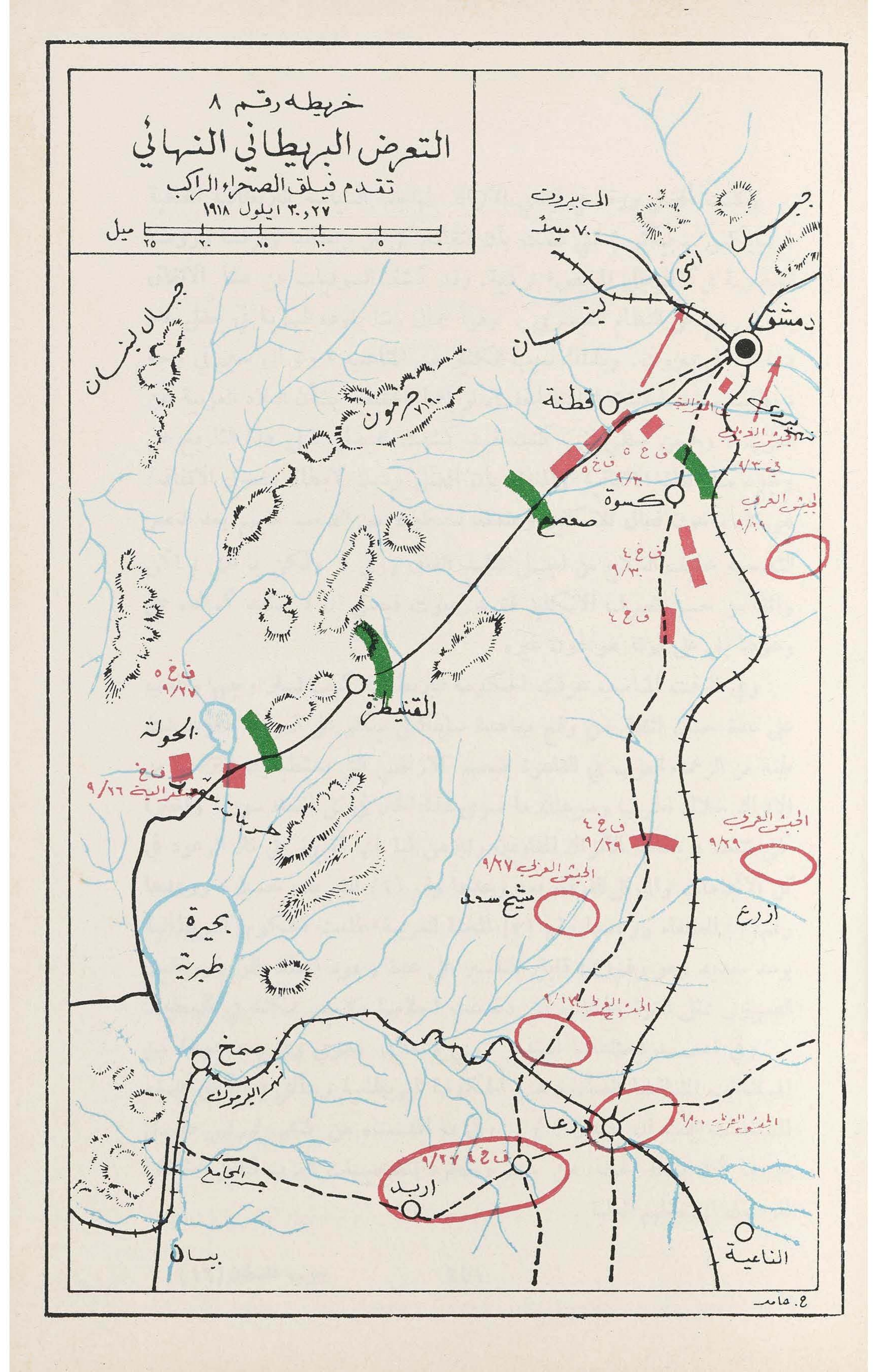


خريطة رقم: ٧
عبور نهر العوجة
في ٢٠ - ٢١ كانون الاول ١٩١٧
ياردة
البحر الأبيض المتوسط
تل الرقطي
سدود ومخاضة
الشيخ مونس
طاحونة
جريشة
قرية الخضرا
جسر مجري
ملبس
الى طولكرم ٢٠ ميلا
الى يافا ٤ اميال
نهر البارده
ل ١٥٧
ل ١٥٦
ل ١٥٥

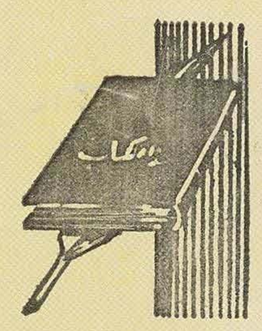


خريطة رقم -١٠-
منطقة وادي الاردن
ميل
صويلح
السلط
عمان
محطة عمان
عين السير
وادي عمان
محطة اللبن
شونة نمرين
غورانية
اريحا
البيرة
سنجل
البحر الميت


خريطة رقم ١١
منطقة مجدّو
ميل
دمشق
ازرع
قنيطرة
بانياس
بحيرة الحولة
جسر بنات يعقوب
صفد
عكا
بحيرة طبرية
طبرية
الناصرة
جبل طابور
الجامع
اربد
درعا
العفولة
جنين
طولكرم
نابلس
يافا
البحر الأبيض المتوسط



خريطه رقم ٨
التعرض البريطاني النهائي
تقدم فيلق الصحراء الراكب
٢٧ و ٣٠ ايلول ١٩١٨
ميل
٠ ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥
جبل
الى بيروت
٧٠ ميلاً
دمشق
لبنان
قطنة
حرمون ٢٧٦٠
جبال لبنان
ف خ ٥
٩/٣٠
كسوة
صعصع
ف خ ٤
٩/٣٠
ف خ ٤
القنيطرة
ف خ ٥
٩/٢٧
الحولة
جسر بنات يعقوب
ف خ ٤
٩/٢٩
الجيش العربي
٩/٢٩
الجيش العربي ٩/٢٧
شيخ سعد
ازرع
بحيرة طبرية
صمخ
نهر اليرموك
درعا
ف خ ٤ ٩/٢٧
اربد
جسر المجامع
بيسان
الناعية
ع. حامد



إنّ لهذه الدّراسة فائدة مزدوجة، فهي بالإضافة لما تزخر به من أمثلة لتطبيق مبادئ الحرب الأساسيّة وللعوامل المؤثرة على قرارات القادة وعلى تنفيذ خططهم، فإنّها دارت في جزء عزيز من الوطن العربي الكبير، كان دوماً مطمع أنظار الغاصبين، ولا يزال اليوم جزء منه تحت سيطرتهم مع الأسف الشديد.

فلا يخفى أن لدرس تأثير الأرض على الحركات العسكرية قيمة كبيرة في تفهّم طبيعتها تفهّماً تاماً، على أن يوضع نصب العين دوماً، أنّ هذا التأثير في تطوّر مستمر بالنّظر لتبدّل طبيعة الأسلحة وما يطرأ على قابليّات القوات العسكرية من تغير، نتيجة ما يبتكره العلم الحديث لتسهيل عملها.

وقد قمت بتأليف هذا الكتاب بناء على إلحاح الكثير من إخواني وتلامذتي ورجائي أن أكون عند حسن ظنّهم، وأن أوفق في وضع مصدر إضافي بين أيديهم ليكون متمّماً لما يتيسر لديهم من معلومات.

من مقدمة المؤلف

شركة النبراس للنشر والتوزيع
بغداد